الجمهوريـــة الجزائـرية الديمقـــراطية الشعـبية

وزارة التعليـــم العالي والبـــحث العلمي

جامعة السانيا وهران

كلية الآداب واللغات والفنون قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمه لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات بعنوان :

الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي

مشروع الدكتور محمد ملياني موسوم : اللسانيات

إعـــداد : *إشراف الدكتور:*

الطالب: باجي بن عودة محمد ملياني

لجنة المناقشة

أ.د. سليمان عشراتي	جامعة وهران	رئيســـــا
د. محمد ملياني	جامعة وهران	مشرفا ومقررا
د. العربي قلايليـــة	جامعة وهران	مناقشـــــا
د. محمد برونـــــة	جامعة وهران	مناقشـــــا

السنة الجامعية

2012/2011

﴿قل يا قوم أرأيتم أن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إني أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ سورة هود- الآية 88

إهداء....

إلى والديّ الكريمين ...

إلى إخوتي وأخواتي ...

إلى زوجتي وأبنائي ....

إلى من يحمل هم الدعوة إلى الله....

إلى الأوفياء بالعهد للجهد المشترك لمسيرة أحمل في أعماقي الوفاء لفكرتها

وعطائها في رحاب منهج الوسطية والاعتدال والتوازن وحب الوطن الذي تقود

موكبه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

إلى أستاذي المشرف محمد ملياني ...

إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة...

إلى كل متصفح لهذا البحث....

كلمة شكر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، ثم الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبي الهدى وإمام الرحمة عليه أزكي الصلاة وأفضل التسليم.

والشكر موسوم بذرة الرمل، وبحرقة الضمئ، وبوصلة الجوع، إلى أساتذتي وأشياخي.

وإلى كل من كان له الفضل علينا، يتقدمهم الأستاذ المشرف الدكتور محمد ملياني، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته السديدة ونصائحه الكافية الشافية.

شكرا للأستاذ الدكتور بلقاسم حسيني البدوي على تشجيعه وتذكيره لنا بما يخدم هذا البحث.

مقدمة

مقدمة

إن المتأمل في طبيعة الأبحاث اللغوية التي عنيت بموضوع اللغة، يدرك أنها انبرت في معظمها إلى تكشف أنجع الأدوات الإجرائية الكفيلة بفك شفراتها، التي تسم لحمولاتها الدلالية وأغراضها التعبيرية. انطلاقا من أن حدّ اللغة لم يحد عن حقيقة كونه مجموعة من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضه.

ولئن جاء تعريف ابن جني اللغة مقتضبا ومختصرا، إلاّ أننا نستشف منه مؤدى جوهر اللغة الذي يمتاحه المتكلم من الخطاب في تحقيق مقصديةٍ معينةٍ، يتغيا من خلالها الإقناع والتأثير على الآخرين في التعبير عن الحاجة والغرض؛ حيث يُحصر المخاطِب بين مسلكين حواريين، يحتكم المحور الأول إلى التلازم المعياري لنظامية اللغة، وينهل الثاني من أسلوبية الاختيار الإبداعي والجمالي.

إن مجمل هذا التوصيف، يدلل على خصوصية اللغة، بوصفها مدارا مبهما ونسيجا تتواشج فيه الدلالات المخبوءة تحت بنى الألفاظ والصيغ المشكلة للخطاب بنوعيه المنطوق والمكتوب ومن هنا، يتمثل لنا الخطاب في هيئة تشكيل لفظي يرتكن إلى جملة من القرائن المعنوية والمقصدية.

ولعل هذا المقتضى قد أوعز لرواد المدرسة البنوية البحث في مجموع العلائق القائمة بين القرينة المعنوية وشكل البنية التي يتمظهر فيها الخطاب، بوصفه تسلسلا من

الشفرات والرموز المتراتبة في خطية تعاقبية. وعند هذا المأخذ، فقد لُزّ البحث النبوي إلى أن يترواح بين حدي ثنائية التقابل(اللفظي والمعنوي) أو (العلامة والصورة الذهنية) أو (السطحي والغائص)، متملصا بذلك من ضوابط الخطاب التي تستمد سلطتها من النظرية التواصلية، وهو ما يدلل على مدى الانعطاف الإجرائي الذي توخته الدراسة اللّسانية الحديثة من خلال إحداثها مقاربات جديدة تتعدى قيد المحددات البنيوية للغة إلى تماهيات الخطاب في إطار مداره التواصلي.

وتلبية لهذا المطلب، تم الاحتكام إلى المقاربة التداولية، التي أحدثت توثبا نوعيا في نمطية البحث اللساني، الذي انفتح على الغايات الجوهرية التي ينشدها الخطاب، على نحو التأثير والإقناع والمحاججة، معتدا في الآن نفسه بمقتضيات الحال والمقام، من خلال الارتهان إلى سلطة السياق التواصلي.

وبتعدد استعمالات اللّغة وارتباطها الوثيق بالسياق كان اختلاف الباحثين في هذا المجال بينا، فتنوعت آراؤهم وأثمرت جهودهم في إخراج نظريات ومقولات عُرفت في بداية تأسيسها بنظرية الأفعال الكلامية التي يندرج ضمنها موضوع هذا البحث والموسوم بعنوان:

"الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي"

واختيارنا لهذا الموضوع مردّه دوافع وأسباب ذاتية، تمثلت في اهتمامنا بالدرس اللّساني والتداولي بوصفه مكتسبا إنسانيا يجب الانتفاع منه في مجال اللّغة وتطبيقاتها، إضافة إلى اهتمامنا بما خلفّه علمائنا الأصوليون من زادٍ لغوي قائم على الدقّة والبحث العميق بما يخدم تراثنا العلمي واللّغوي لتحقيق التثاقف وتبادل المعارف أخذاً وعطاءً مع ما توصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة.

وقد كانت البداية مع رسالة الليسانس الموسومة **بتعليمية اللّغة العربية في ضوء اللّسانيات** وذلك على مستوى تعليم النحو من خلال البعد الجمالي، ومحاولة دراسة أسباب نفور الناشئة من تعلّم النحو وذلك من خلال عقدين من الزمن انبرت فيه جهودنا للتعليم والتدريس والتوجيه وبحكم انتمائنا إلى وزارة الأوقاف وممارسة الخَطابة والتدريس إنْ في المساجد أو خارجها.

ورغبة منا في استكمال البحث فيما توصلت إليه جهود الدارسين في مجالات استعمال اللّغة ظلّت همّتنا معلقة في مد جسور التواصل مع النظرية التداولية وإمكانية تطبيقها على إبداعات **الشيخ البشير الإبراهيمي**. وكان لحصر الخطب الدينية للبشير الإبراهيمي المرتجلة بالمساجد على قلتها؛ الدافع الأساسي في اختيار هذا البحث.

ولئن كانت ندرة الدراسات التي تناولت بالتطبيق نظرية الأفعال الكلامية، قد أحدثت لدينا نوعا من التردد في خوض غمار هذا البحث، إلاّ أن مكمن الصعوبة والعسر، مثل لنا في الآن نفسه محفزا قويا للاندفاع قدما نحو كسر حاجز التمنع، انطلاقا من السعي إلى إثراء الدرس التداولي بتطبيقات لنظريات الأفعال الكلامية على خطب الشيخ **البشير الإبراهيمي**، بوصفه أنموذجا تطبيقيا ملائما، **نقيد من خلاله**

بمنهج إجرائي تداولي، قد يسهم حتما في فك ألغاز بعض الملابسات، من خلال الإجابة على جملة من المساءلات نجمعها في إشكالية رئيسة هي:

ما علاقة اللّسانيات التداولية بتحليل الخطاب ؟ وما مدى إسقاط نظرية الأفعال الكلامية على خطب الإبراهيمي الدينية، قصد ملامسة جماليات وإبداعات الإبراهيمي والوقوف على حرقته وقضاياه الساخنة التي كان يحمل همّها في ظل واقع استعماري بائس باعتبار أن الخطاب هو فعل كلامي شامل في حد ذاته؟.

وفي ضوء هذه المساءلة، نحن نتوخى إلى تحقيق الجمع والتوافق الممكن بين تحليل الخطاب اللّسانيات التداولية مع تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على خطب الشيخ **البشير الإبراهيمي**، متجاوزين في ذلك صعوبات التطبيق، النابعة من قلة الدراسات السابقة وكذا الاضطراب الذي لحق بالمصطلح.

إن الإبراهيمي الذي جُبل على شخصية قوية وفذة نجده يوظفها في نبرته الخطابية الحادة وأسلوبه الكتابي الجاد والمقنع، استطاع أن يماهي منتوجه القولي المنبري بماهية منتوجه المكتوب، ففاعليته الخطابية وتعبيراته الفريدة سواء على المنبر خطيباً، أم جلس إلى الصحيفة يحبر المقالة،حيث يتجاوز الإبراهيمي الازدواجية التي ذهب إليها أفلاطون، فالمتلقي يجد نفسه حيال ما يتلقاه عن الإبراهيمي من بيان مشافهة وما يتلاقاه من نصوص مكتوبة تحت ذات التأثير التواصلي الفروسي، وكأنه يشقق القول سواء ألقاه مشفوها أو محروفاً من نفس البوتقه ومن ذات المفاعل الخطابي الأصيل، كما أنّ كلماته على التسطير متوثبة متحركة كأنّ لها أيادي تشدّ بخناق القارئ وتهزه وتدفع به في وجه الوعي والصحوة والانبعاث.

إن المقترب التصوري الذي أحالتنا إليه خطابات الإبراهيمي، دفعت بنا إلى اعتماد صريح للإجراء الوصفي الذي اقتضى منا الاستناد على المنهج التحليلي، امتثالا لمحددات نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين ***Austin*** وسيرل ***Searle*** وهو ما تم تطبيقه على المدونة المشتملة على خطبتين ألقيت واحدة بإذاعة صوت القاهرة سنة 1955 وأخرى بمسجد كيتشاوه سنة 1962، والذود إلى تكشف ورصد القوة الإنجازية من الأفعال الكلامية والقوة التأثيرية مع ما صاحبها من تخريجات لغوية، وروابط حجاجية *Argumentation* وكذا، الوقوف على مواطن التّناص عند الإبراهيمي مع القرآن والحديث والشعر.

نتيجة لهذا، وفي ضوء الإشكالات المطروحة أعلاه ارتأينا تقسيم البحث وفق ما يخدم مقتضياته، فكان أن قسمناه إلى مدخل تمهيدي توخينا من خلاله إلى التقديم للطرح التداولي وإجرائياته، وكذا رصدٍ للخصوصيات التي انبنى عليها الخطاب الموجه من حيث اللغة والأسلوب عند الشيخ الإبراهيمي.

وقد جاء الفصل الأول تأسيسيا، نعرض فيه إلى جملة من المحددات المعرفية والمفاهيمية التي قامت عليها النظرية التداولية، وذلك من خلال التطرق إلى جملة

الاختلافات والتباينات التي وقفنا عليها عند رواد هذا الطرح، ارتكازا على عنصري النوع والوظيفة التداولية.

أما الفصل الثاني، فقد عمدنا فيه إلى البحث في إستراتيجية بناء الخطاب وعلاقته بالنظريات التداولية في فهم نظرية التلفظ، وعلاقة تحليل الخطاب بالنظرية الحجاجية، وعلاقة تحليل الخطاب بنظرية الأفعال الكلامية، وقد توسعنا في هذا المبحث الأخير المرتبط جوهريا بموضوع البحث وذلك لمعرفة مدى تطبيق نظرية الأفعال الكلامية، عند أوستين *Austin* وسيرل *Searle*، بالإضافة إلى محاولة معرفة مسارات الخطاب عند الإبراهيمي المرتبط بالعقيدة الإسلامية والانتماء العربي والخصوصية الجزائرية.

أما الفصل الثالث، فانصرفت جهودنا فيه إلى المجال التطبيقي من خلال رصد الأفعال الإنجازية والتأثيرية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي بين تصنيف أوستين ***Austin*** وسيرل *Searle*. كما قمنا بتحليل جميع الخطب المدونة بعد أن أحصينا الأفعال الكلامية الأكثر تواتراً فيها. انطلاقا من قراءتها من منظور القوة الإنجازية والتأثيرية.

وتلبية لضرورات تناول الموضوع، ولجنا إلى الاعتماد في مكتبة بحثنا على جملة من المصادر والمراجع، المثبتة في القائمة بالإضافة إلى العينة المنطوقة بصوت الخطيب الإبراهيمي ضُم نصها إلى باقي مدونات خطب الشيخ في ملحق الرسالة.

كما لا يسعنا في الأخير إلا أن نشكر أستاذنا الدكتور: **محمد ملياني** على توجيهاته وصبره وعلوّ همته في إفادتنا بالمعلومات القيمة وتوجيه مسار بحثنا إنْ في

السنة التحضيرية الأولى للماجستير أو في الإشراف من ملاحظات سديدة ساعدتنا على إتمام الرسالة وتحصيل المقصود وليس ذلك إلا جهد المقّل ونقص القادرين على التمام كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين سيتحملون عناء قراءة هذا البحث وتصويبه كما نتمنى من الله العلي القدير بعد أن استفرغنا الجهد التوفيق والسداد، وأن نُسّر يوم القيامة بما كتبنا وأن ينير هذا البحث درب كل باحث في مجال تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على الأعمال الإبداعية النثرية والشعرية منها على وجه الخصوص.

الطالب : باجي ابن عودة

البيض في الأول من محرم سنة 1433 هـ

الموافق لـ 25 نوفمبر 2011 م

مدخل تمهيدي

مدخل

يُشكل البحث جملة من المحطات الفكرية في النظرية اللّسانية المعاصرة عامةً، والنظرية اللّسانية العربية خاصة، ما كانت لِتنبثق لولا هاجس التنظير والممارسة والاشتغال بعمق في فهم الظاهرة اللّغوية التي أفرزت تيارات لسانية جديدة منها التيار التداولي، وهو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللّغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللّغوية بنجاح، والسياقات والمقامات المختلفة والبيئات ذات المرجعيات المتعددة التي تتشكل فيها مسارات الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة بينة بليغة التأثير، وناجحة التوصيل.

وتلبية لهذا المسعى، تم الاعتماد على الأدوات التحليلية التي تنتهج الصرامة والدقة في ضبط المعارف والمفاهيم من أجل إدراك المعاني الحقيقة للمنطوقات، انطلاقا من أنّ فاعلية اللّغة تتعلق بالاستعمال من حيث الوقوف على الأغراض والمقاصد، ومراعاة الأحوال، وفقه ملابسات الوضع والإنّتاج والفهم.

إن التداولية تنظر إلى اللّغة باعتبارها نشاط يمارس من قبل المتكلمين لإفادة السامعين معنى ما ضمن إطار سياقي، ولا تكتفي بوصف البني في أشكالها الظاهرة، ومن ثمّ، لا تفصل الإنّتاج اللّغوي عن شروطه الخارجية، ولا تدرس اللّغة وكأنّها وعاء معزول بوصفه نظام مجرد من القواعد، وإنّما تدرس اللّغة بوصفها كياناً مستعملاً من

قبل شخص معين في مقام معين موجّها إلى مخاطب معين لأداء غرض معين، فلا يكتفي بالوصف المجرد، والتصنيف النموذجي لوحدات اللّغة وتحديدها داخل نظامها، بل مجاوزة ذلك إلى الاهتمام بكيفية حدوث اللّغة ونقلها من كائن موجود بالقوّة إلى كائن وجود بالفعل؛ أي الكشف عن الحركية الداخلية للّغة التي بإمكانها إبراز الطّاقة الإبداعية الخلاّقة عند الفرد المتكلم.

انضوى البحث في اللّسانيات التداولية *la linguistique pragmatique* ضمن الدراسات اللّغوية الحديثة. حيث يمكننا التمييز في مجال تناول اللّغة بين جانبين هما: "الدّرس والاستعمال. فأمّا الدّرس، فقد سعى إلى الكشف عن تكوين كل لغة بواسطة النّظر في عناصرها على مستوى الجملة وما دونها نظرا تحليلياً يعتمد على التبويب والتصنيف والتأصيل وغير ذلك من الظواهر التي تقوم على الافتراض لا على الواقع النّطقي".[1] حيث عنيت التّداولية بالعناصر اللّغوية وغير اللّغوية التي ينجز فيها الحدث الكلامي، فلم تُهمل الأشخاص المتكلمين ولم تُقصِ الكلام ولم تهُمل السياق والظروف والملابسات، فهي تستند إلى الواقع الاستعمالي من أجل تفسير الظواهر اللّغوية.

ومن هنا، يتبدى دور التداولية في منح اللّغة حجمها الحقيقي. فالاستناد إلى الواقع الاستعمالي من أجل تفسير الظواهر اللّغوية سيسهم في وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابية وما تمتلك من وسائل الإيضاح والإبانة عن

[1] – النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند ، تر : تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط: 01، ت: 1418 هـ/1998م، ص: 04 .

الدلالات المختلفة شأنها في ذلك شأن اللّغات الطبيعية تتضمن بنياتها وظائف دلالية تحقق آلية التواصل بين أفرادها المتكلمين؛ لأن النّشاط اللّغوي في مجال الاستعمال له مرتكزات لا تتفق دائما مع المعايير الافتراضية، فللمتكلّم من الأغراض ما لا يتفق أحيانا مع المحافظة على القواعد، وهي التي تدعو للخروج من الحقيقة إلى المجاز، ومن المطابقة إلى الترخّص في معايير الإجراء بوسائل متنوعة كالنقل والحذف والزيادة ومخالفة القاعدة والتعويل على الدّلالات الصوتية والعقلية والتقديم والتّأخير والإيماءات الجسمية والتعويل على دلالة الموقف أثناء الاتصال وعلى القرائن التاريخية والجغرافية وغيرها ممّا يخرج عن مجال دراسة القواعد النّحوية.

أمّا في مجال البحث في النّظام الافتراضي، فإن الغرض من التراكيب هو الاتصال" الذي لا يتم بواسطة وصف الوحدات الصّغرى صوتية وصرفية ولا بعرض العلاقات النّحوية، وإنّما يتمّ باستعمال اللّغة في موقف أدائي حقيقي، أي بإنشاء نصّ ما، وقد يطول هذا النصّ أو يقصر".[1]

ومن هنا، جاءت اللّسانيات التداولية لتدرس اللّغة في الاستعمال *L'étude de L'usage du Langage* ويبقى التركيز على دراسة اللّغة في الاستعمال بالتركيز على هذا الاستعمال الذي تندرج ضمنه مجمل مقولات اللّسانيات التّداولية التي تراعي المقام

[1]– النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، مرجع سابق، ص: 04.

مثل: الاستلزام الحواري والافتراض المسبق *Présupposition* والقول المضمر – *Sous Entendu* والأفعال الكلامية *Les actes de Langage* .

إلى جانب كل هذا تعتبر اللّسانيات التداولية ثلاث درجات كما جاء في كتاب التداولية لفرنسواز أرمنيكو *Françoise Armengud* فقد قسمها إلى:

التداولية

تداولية الدرجة الأولى	**تداولية الدرجة الثانية**	**تداولية الدرجة الثالثة**
النظرية التلفظية	**النظرية الحجاجية**	**الأفعال الكلامية**
دراسة البصمات التي تشير إلى عنصر الذاتية في الخطاب فهم يدرسون الأقوال والصيغ التي تتجلى مرجعيتها ودلالتها في سياق الحديث.	تدرس كيفية انتقال الدّلالة من المستوى الصريح إلى المستوى التلميحي في إطار قوانين الخطاب والمحادثة وما ينبثق عنهما من ظواهر خطابية كالافتراض المسبق والأقوال المضمرة والحجاج .	تنطلق من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية.

فإذا كانت اللّسانيات التّداولية قد ارتبطت في بداية نشأتها "بنظرية الأفعال الكلامية"[1]، حتى أصبح من المتعذر الفصل بين اللّسانيات التداولية وإشكالية أفعال الكلام التي استطاع من خلالها الفيلسوف الإنّجليزي "جون أوستين" " Austin" أن يبين فكرة معنى القول التي لا تكون إلا حالة تمثيلية للعالم بمعزل عن تلفظه" ودراسة المعنى يجب أن تبتعد عن التراكيب الجوفاء بمعزل عن سياقها".[2]

ولئن كانت أغلب الدراسات التي تضم نظرية الأفعال الكلامية تنهض على جملة من المفاهيم " تنطلق من مسلمة مفادها أنّ الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية "[3]، فإن أبرز هذه المفاهيم، هو مفهوم الفعل الكلامي الذي يتجلّى من خلال توظيف مبدأين هامين في دراسة اللّغة هما:

أ . **القصدية:** وتنهض على ربط اللّغة كمنظومة من القواعد المجرّدة بالأغراض والمقاصد المراد تأديتها في إطار التّواصل اللّغوي، فدلالة الكلام مبنيّة على معرفة المقاصد؛ وهي قدرة العقل أن يوجه ذاته نحو الأشياء ويمثلها وهي مسلّمة في الفعل اللّغوي، وتتضمن شبكة من المفاهيم المترابطة على نحو مبدأ الإستراتيّجية، ونمط تنظيم

---

[1]- ينظر: تحليل الخطاب في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: 01، ت : 2003، ص: 12، 13 .

[2]- ينظر: لسانيات التلّفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، دار الأمل للطباعة والنشر، والتوزيع، الجزائر، ط:01، ت: 2005، ص: 125.

[3]- تحليل الخطاب المسرحي، عمر بلخير، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003، ص: 13 .

الخطاب، لأن الأفعال الكلامية تتخذ الاستعمال أساساً لها. والاستعمال ينبني على المقاصد، فالقصد هو كلّ لحظة من لحظات استعمال اللّغة.

ب –**المعطيات السّياقية**: أثناء التخاطب والتحادث والتحاور يتم استحضار متغيّرات العالم الخارجي والمكونات الذّاتية، على نحو البيئة الاجتماعية، والمشتركات المعرفية بين طرفي الخطاب من أجل تطويع استعمال اللّغة، وتطوير ذوات النّاس التخاطبية بما يواكب متطلبات السّياق وما يكفل التكيّف مع تقلُّباته قصد تقريب وجهات النظر وتبيان الحقائق وهو ما يمكن معرفة أثر السّياق في الخطاب أثناء إنتاجه من خلال الافتراضات المسبقة، والأقوال المضمرة.

ومن منظور نظرية الفعل الكلامي، لا تكون اللّغة مجرد أداة للتّواصل كما تتصوّرها المدارس الوظيفية، أو رموزا للتّعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية، وإنّما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه. بين هذين المفصلين، تم تقسيم البحث اللّغوي في اللّسانيات الغربية إلى نموذجين لسانيّين متنافسين: المنحنى الشكلي الصّوري، والمنحنى الوظيفي التّواصلي. فكان للدرس التداولي أن عمق الهوة بين التوجهين.

إنّ المتأمل في مكنون الدرس التداولي يقف على حقيقة خصوبته وحيويته، التي لا تتوقف عن توليد الأفكار الجديدة، ومد ساحة الدراسات اللّغوية والمعرفية بالمفاهيم

والرؤى الجديدة ومن ثمة الانعطاف إلى إقامة الروابط بين الحقول المعرفيّة المتعدّدة. ولذلك بات لزاماً على الباحث الواعي بجوهر الخطاب التّداولي وأبعاده المنهجيّة واستعمالاته اللّغوية، رصد مسالك الاستدلال وطرق معالجة الملفوظات ومقتضياتها التّفاعلية وفق البعد التّداولي الذي صبغ بالصبغة الفلسفية تارة والمنطقية تارة أخرى، حتى صار مركز استقطاب العديد من العلوم على غرار اللّسانيات والسيميائيّات والمنطق والقانون وعلم النفس الوظيفي والفلسفة وعلوم الاتصال.

ولما كانت الغاية من متابعة البعد التّداولي في الخطاب بوصفه جنسا لغويا وأدبيا ضمن المورث العربي، من أجل مسألته بخاصة ما ارتبط منه بالممارسة التّواصلية تحليلاً وتفسيراً قصد استخلاص مقترحات في موضوع المستفيدين من النّظرية اللّغوية عمومًا، وفق جدليّة تفاعلية بين التراث والمكتسبات المنهجيّة الحديثة، فاتحين العقل على مقتضيات العصر من غير استلاب ولا ذوبان، محافظين على الخصوصية الفكرية والحضارية من غير انغلاق.

إنّ التّفاعل الذي يمكن أنّ نجده بين الفكر اللّغوي العربي والدّراسات اللّغوية الحديثة، لا يعني الانصهار أو الترادف، بقدر ما هو الفكر الذي يشكل مرحلة من أهمّ المراحل التي عرفها التطور اللّساني بشكل عام". كما أنه لا يعقل أن نتعرّض لمقاربات لسانيّة دون ذكر لما ورد في إنتاج اللّغويين العرب"[1]، ونحن نقوم بهذا الجهد

[1]- ينظر : اللّسانيات الوظيفة، أحمد المتوكل، منشورات عكاظ، الرباط 1989، ص41.

المتواضع في فهم ظاهرة الأفعال الكلامية من خلال خطب الشيخ البشير الإبراهيمي محاولين التأصيل والإثراء للرؤية الغربية المعاصرة باعتبار أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ومزاوجتها بالجهد الذي بذله أسلافنا القدامى وفق ذكاء معرفي متقدم في تناول الظاهرة اللّغوية من خلال علم الأصول، والنحو، والبلاغة.

إن هذا المسعى، مثّل المنعطف الهادف لمسيرة البحث التّداولي في ظاهرة المنجز من الكلام عند العرب على نحو الجرجاني والقزويني والسكّاكي والآمدي والأستربادي والجويني وابن الحاجب وغيرهم، ممن اعتدوا بالتداولية وسيلة لا غاية وجُعلت عندهم مدخلاً لفهم علوم أخرى غير لغوية في الغالب، ولم يفردوها بالبحث والتّأليف ولا قصدوها لذاتها، مما يجعل قراءتها قراءة معاصرة تتسلّح بالمناهج الحديثة ولاسيما إذا توفرت الكفاية العلمية الوصفية والتفسيرية المناسبة لدراسة البعد التّواصلي البلاغي للظواهر الخطابية، وما تحويه من أفعال لغوية تُجسّد الأساس المعرفي الذي وصلت إليه اللّسانيات المعاصرة بصفة عامة وما أفادت به الدراسات التداولية بصفة خاصة في مجال اللّغة وما قامت بتصحيحه لبعض المفاهيم الفلسفية والمنطقية المستعصية، سواء في تراثنا أم عند المعاصرين.

ووفق هذا المعطى، فإننا نعتقد أن تطبيق المفهوم التّداولي على اللّغة العربية وفي ظلّ البلاغة العربية التي تعدّ أرضية خصبة للتّطبيقات التداولية لما تشتمل عليه من دلالات ومعنى مكثف يحقق استعمال اللّغة في الخطاب، فإن التداولية تمثل مدخلاً

مناسباً من مداخل فهم التراث وأداة من أدوات قراءته تماشيًا ولغة العصر وما أفرزته من زلزال معرفي انعكس على خطابنا في جميع مساراته وتوجهاته، كان لابد ألاّ ننكفئ معه، ونصبو إلى مد جسر التّواصل أخذًا وعطاءً، مع وجود مصبّات يفرز فيها الغثّ من السمين بما لا يصطدم مع خصوصية التراث.

ومن زاوية نظرية شاملة، فإن الخطاب مازال يشغل اهتمام الباحثين في مختلف المجالات المعرفيّة، انطلاقا من الطرح القائل أن كل موجود قابل لأن يُقرأ على أنّه خطاب مفتوح على تأويلات عديدة. ونظراً لهذا التّعدد والتّنوع والثّراء تصبح الضرورة ملحّة لتطوير موضوع تحليل الخطاب وموائمته مع كل التّطورات الحاصلة في جميع الميادين.

ومن هنا، فقد كان لظهور اللّسانيات التّداولية في الأوساط اللّغوية، بداية لتحليل الخطاب، حيث جاءت"نتائج الدراسات التي تناولت تحليل الخطاب لبنة أساسية لبداية التحليل التداولي للخطاب"[1]. فموضوع تحليل الخطاب هو الرّابط والجامع بين اللّسانيات والعلوم الإنّسانية الأخرى وبين نظرية الأفعال الكلامية، ليمثل بذلك بؤرة جميع تلك المفاهيم في اللّسانيات التّداولية.

[1] - *Discours Analysis, Gillian Brown & George Yule, Gambridge University Presse, Cambridge 1، st publishe، 1983 ، P.8.*

وتمت الإستعانة بالترجمة، ينظر: براون ج، ب، يول، و، ج، تحليل الخطاب، ترجمة وتعريب، محمد لطفي الزايطي التريكي، جامعة الملك سعود، د ط، ت: 1418 هـ / 1997 م .

لقد تم بحث علاقة اللّسانيات التّداولية بنظرية التّلفظ، واشتراكها بالسّياق الذي تتحدّد من خلاله العوامل غير اللّغوية، وبفضلها تتّضح التّبادلية والاستعماليّة للّغة، حيث يشكل التّلفظ أساس التّداولية إذ بدون الأولى لا تتحقق الثانية. فتتخذ التّداولية معنى جريان الكلام على اللّسان "أي اكتساب اللّغة وتوظيفها في ممارسة وتفاعل *L'interacation*"[1]. إلاّ أن التّحليل اللّغوي للخطاب ينطلق من كون الخطاب مرادف للملفوظ، حيث يطرح حدود بينما هو لغوي وغير لغوي، ذلك لأن اللّسانيات تهدف إلى دراسة الملفوظات في تجمّعها، ومعيّنة مسارها "عندما تتحدّد قوانين الخطاب وقواعده. *lois du discours*، فهي إذن تقوم بوصف سلسلة متتالية من الجمل".[2]

[1]- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، مرجع سابق، ص 07 .

[2]- المرجع نفسه، ص : 131 – 132 .

الخطابة والخطاب عند الشيخ الإبراهيمي:

شهدت الخطابة على عهد الإبراهيمي ازدهارا كبيراً بفضل ما تميز به فصاحة لسان وعرض بيان، وسرعة بديهة، وقوة حافظة. وهي في ذلك كله تستمد أصالتها من العصور الذهبية لهذا الفن. ولعلّ اهتمام الإبراهيمي بالخطابة وكلفه بها كان نتيجة لشعوره بأهميتها في تلبية حاجة الجمعية لطرح أفكارها وعرض فلسفتها ولما كانت الخطابة ذات أهمية بالغة، ومنزلة عالية عند الأمم، فإنّ الإبراهيمي قارنها بالتمثيل عند الأمم حين قال:« التمثيل والخطابة عند الأمم الحية توأمان، وأخوان شقيقان.وأنّ منزلتهما من دواعي التهذيب والتربية الفاضلة لأرفع منزلة، وأنّ مكانتها من بين مقومات الأخلاق لمنزلة الطعام والشراب من بين المقومات الجسدية. وما بنيت نهضة من النهضات الأخلاقية في الأمم الجديدة إلاّ والتمثيل والخطابة في بنائها القسط الأوفر والحظ الأول.[1] »

لقد شغف الإبراهيمي بالخطابة وأجاد أساليب التعبير فيها، وتوسلها لنشر دعوته بين الجماهير وهو يتنقل في ربوع كثيرة، وخطب في مناسبات متعددة داخل الوطن وخارجه، غير أنّ هذه الخطب لم تجمع، فقد ضاع معظمها ولم يبقى منها إلا القليل ويفسر محمد عباس هذه الظاهرة بقوله:« والمؤكد أنّ الميزة الغالبة على هذه الخطب هي الارتجال، لأن صاحبها ظلّ صِنْوَ أسفار، وكانت ظروف السفر والترحال تحول بينه

[1]– محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام الإبراهيمي، جمع وتقديم، أحمد الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ج.1، ص67.

وبين تحضير هذه الخطب، علاوة على قدرة الإبراهيمي اللامتناهية في الارتجال والخبرة الفائقة في إدارة الكلمة.

انبرت خطب الشيخ الإبراهيمي إلى التنوع والشمولية، وذلك بتعدد سياقات القول ومقاماتها بحسب ما تقتضيه الحاجة والحال والمناسبة، فكان نتاج ذلك كم هائل من الخطابات، بيد أن هذه الوفرة لم تقف حائلا أمام ضياع الكثير من خطبه إلى جانب محاضرات ودروس متنوعة لا تعدّ، كان لها ثقلها في الميدان الأدبي الثقافي » [1] مما جعل الإبراهيمي خطيباً من الدرجة الأولى، يتبوّأ في هذا الميدان مكانة مرموقةً جعلته « ينتمي إلى مدرسة البلغاء العرب وكتابهم وخطبائهم المشهورين بالقدرة على توليد المعاني والاحتفال الذي يأتي عفو الخاطرة، أو يقصد لذاته أحياناً »[2]ويتفق جميع الدّارسين على أنّ الإبراهيمي كان يمتلك قدرات خطابية لا تُجارى ومهارات بيانية لا تُبارى، فقد « كان رحمه الله إماماً في العربية وبلاغتها، تفقه في أسرارها وتغذّى بأدبها واستنار بقرآنها، وكان خطيباً مِصقاعاً يهزّ القلوب ببيان ساحر، يعيد للأذهان ما كان للخطابة العربية من سلطان، في عهد قس بن ساعدة وسُحبان[3]» ويقول عنه عبد المالك مرتاض مُعجباً بزعامته في فنّ الخطابة : « إنّ هذا الخطيب كان شديد العارضة،

[1]– البشير أديباً، محمد عباس، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران، د ت، ص185.

[2]– الخطابة في النثر الجزائري الحديث، عبد الله ركيبي، مجلّة الأصالة، العدد 25، جامعة الجزائر، جوان 1975، ص64.

[3]– الإمام الشيخ البشير الإبراهيمي، عبد الرحمان شيبان، مجلّة الثقافة، العدد 87، ماي 1985، ص73.

فصيحاً، لَسناً، ساعده على ذلك محصول من اللّغة وفير، وإلمام بالأمثال وبراعة في حسن إجرائها في مضاربها، ومعرفة عميقة بطرائق الكلام، وقدرة على التصرّف فيه[1]».

لقد جمع الإبراهيمي بين ثقافة الخطابة وصفات الخطيب ولم تكن الخطابة عنده غاية تُقصَد لذاتها بغرض المتعة الفنّية فحسب، وإنّما كانت كذلك أداة يبثّ من خلالها فكرة الإصلاح في عقول السامعين ويستميلهم بها، اعتمادا على الخطاب التأثيري والإقناعي في الآن ذاته.

كما أنه ليس للخطيب أن يبلغ مبلغ التأثير في الآخر، إذا لم يكن هو ذاته منصاعا لسلطة التأثر، بخاصة إذا ما تعلق الأمر بشخوص تعاضدت مواقفهم الخطابية مع قضايا مجتمعاتهم، على نحو الشيخ البشير الإبراهيمي الذي ظلَ يحمل في قلبه قضايا أمته الساخنة ويعيش بداخله الأهداف العلّيا للوطن، وينافح عن الفكرة والمشروع في ظل المرجعية الإسلامية المتجذرة في عمق الشعب الجزائري حتى يكون تأثيره عميقاً وفعالاً، لأن آلية الاستقبال تشتمل التلقي وتركيب المعنى في علاقة بين إنتاج القول والاستقبال كعلاقة تأثير متبادل لها طابع جدليَ، فالخطيب يأخذ بعين الاعتبار المستمعين بمختلف أطيافهم ومشاربهم ومستويات عقولهم ويتخير لهم نوعية التأثير الملائمة، وهذا ما يسمى اليوم في ظل نظرية تحليل الخطاب استراتيجية الخطاب التي تنبني على الانّفعال، والإدراك والفهم والتأثير والذاكرة.

[1]– فنون النثر الأدبي في الجزائر1931،1954، عبد المالك مرتاض، ديوان الطبوعات الجامعية، الجزائر1983، ص282.

وإذا كان البحث في موقع المستمع داخل المجال التداولي يلغي تقريبا الطرائق المعيارية وينتج طرائق متنوعة تتلاءم مع الوضع التخاطبي أو التواصل المطلوب في عملية التأثير والإقناع بالإضافة إلى الشروط والاقتضاءات **المجالَية***ذلك لأن الفعل التأثيري يستوجب منذ البداية الاهتمام بالمستمع والبحث فيه[1]، فإنه يجد في خطابات الشيخ الإبراهيمي فضاءات واسعة وحقولا خصبة، تتوافق فيها أفعال الكلام مع أنسقة الخطاب، كما تتماهى فيها مع الأسيقة التي يصنعها المقام والحال.

* – المجالَية مصطلح جغرافي وظف في المجال السَياسي ثم في المنهج التداولي ثم الحجاج.

[1] – ينظر: عندما نتواصل نغيَر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، ت:2006. ص: 21.

الفصل الأول

الأسس النظرية والمعرفية للتداولية

الأسس النظرية والمعرفية للتّداولية

بات لزامًا على كل تجارب البحث العلمية تحديد منطلقاتها المعرفيّة قبل الخوض في ما تُريد تبيانه. كما أن اعتماد شرط البحث العلمي يجنبنا الاضطراب والخوض والتّيه الذي قد تخلقه شساعة صرح التّنظير الذي يعطي مجالات البحث اللّغوي على اختلاف بيئاته، فالإطار العلمي هو الذي يكسب تجربة البحث خصوصيّتها ويرسم لها السّبيل وخاصة في مجال التّطبيق ويوفّر للمتتبّع مفاتح دراستها وتقييمها وتطوير إجراءاتها في متابعة الظاهرة اللّغوية وخاصة ما ارتبط منها بالممارسة التّواصلية تحليلا وتفسيرا من أجل استخلاص المقترحات وفهم إشكاليّة الموضوع.

إن المعرفة المتقدمة التي تناولت اللّغة صوتيّاً ونحويّاً وصرفيّاً ومعجميّاً وبلاغيّاً درست اللّغة بذاتها ولذاتها. وعجز الدّرس اللّغوي عن تفسير ودراسة بعض جوانب استعمال اللّغة في طبقاتها المقاصديّة المختلفة باعتبارها كلاماً محدّداً بلفظٍ محدّدٍ صادر عن متكلّم وموجّه إلى مخاطب محدّد لتحقيق غرض تواصليّ هادف، ولهذا يميل جلّ المهتمّين بالدّرس اللّغوي إلى تحديد موضوع التّداولية ومجال تخصّصها بفعل تعدّد توجهّات اللّسانيات التّداولية وتشعّب موضوعاتها وكثرة اهتماماتها وصلتها ببعض الحقول المعرفية الأخرى على نحو الفلسفة واللّسانيات وعلم النفس وعلوم الاتّصال وعلم التّخاطب التي تشترك معها في بعض الأسس المعرفية الأخرى سواء كانت نظرية أو إجرائية لأن طبيعة المعنى وتحصيله يتداخل فيه كلّ ذلك حسب رؤيته الفلسفيّة والمنطقيّة والقانونيّة.

وإذا كانت اللّغة ظاهرة طبيعيّة تشكل موضوعًا مشتركا تستقطب جميع العلوم الإنّسانية، فقد تشعبت إلى نظريات ومناهج تدرجت من الوصف إلى التّفسير وقد تمّ خلال هذا التدرج صقل الأدوات العلميّة التي تلامس ظاهرة المعرفة.

في مفهوم التداولية:

يُدلّل التعريف اللغوي على أن المصطلح مشتق من مصدر تداول، يقال: "دال، يدول،دولا، أي انتقل من حال إلى آخر، وأدال الشيء أخذه مرة وتلك مرة"[1] وجاء في مقاييس اللّغة في مادة (دول) وقد وردت في أصلين: "أحدهما يدل على تحوّل الشيء من مكان إلى آخر، والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء، فقال أهل اللّغة اندالَ القومُ، إذا تحوَّلوا من مكان إلى آخر، ومن هذا الباب، تداول القوم الشيء بينهم، إذا صار بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان، ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب".[2]

ومن مفاهيمها المعجميّة أيضاً، ما جاء في أساس البلاغة: "دالت له الدّولة، ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلأن من عدّوهم، جعل الكثرة لهم عليه، ومن الحجاج: ان الأرض ستدل منا كما أدلنا منها (...)، وإليه يداول الأيام بين النّاس مرّة لهم ومرّة عليهم، والدّهر دول وعقب ونوب"[3] "واشتقاق التداول *Pragmatique* يعود على اللّغة اليونانية، من أصل *Pragma* والذي يعني *Action* ومنه اشتقّت الصّفة *Pragmatikos* والتي تتعلّق بمعاني اعمل." [4] .

---

[1]: دراسات من اللّسانيات العربية، بنية الجملة العربية التراكيب اللّغوية التداولية علم النحو وعلم المعاني (مصطفي عبد الحميد) ، دار ومكتبة الحامد عمان، 2003، ص119.

[2]: معجم مقايس اللّغة، ابن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط2، 1991، ج2، ص 314.

[3]: أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، عرف به أمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1982، ص139.

[4]– التداولية اللّسانية، لوصيف (الطاهر)، مجلة العربي والأدب، مجلة اللّغة والأدب، جامعة الجزائر 2006، ص06

أما اصطلاحًا، فقد عرف مصطلح "Pragmatique" عدّة ترجمات في اللّغة العربية، وذلك حسب ارتباطه بالعلوم المختلفة كالفلسفة، اللّسانيات، والاتّصال، وعلم الاجتماع وعلم التّرجمة وارتبط المصطلح بمفهوم النّفعية، والذرائعيّة، والمقاصديّة، دون أن يكتسب إشارة إلى امتلاكه حدودا واضحة، فهو يقع في مفترق طرق بين الأبحاث الفلسفية واللّسانية، كما جاءت التداولية محاولة للإجابة على جملة من الأسئلة، على نحو ماذا نصنع حين نتكلّم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم ؟ فمن يتكلّم ؟ وإلى من يتكلّم؟

ووفق هذا المعطى، "فلاشكّ أن الحديث عن المصطلح تداولية يدلّ بانتمائه إلى حقل مفهومي يضمّ مستويات متداخلة، كقواعد التّخاطب والاستدلالات التّداولية والعمليّات الذهنية المتحكّمة في إنتاج وفهم اللّغويين وعلاقة البنية اللّغوية بشروط الاستعمال"[1]. فالتداولية بهذا المعنى، هي دراسة لكل جوانب المعنى.

وإذا ما ولجنا إلى حصر مفهوم لها في ظل ما تدعو إليه النظريات الدلاليّة، فإننا نجدها "تدرس كيفيّة تفسير الأقوال المستعملة واعتمادها على معرفة بالعالم الواقعي المحيط بالنّص، وبكيفية فهم المتحدثين للأحداث الكلامية وكيفية تأثر تركيب الجمل بالعلاقة بين المتحدث والسّامع"[2] .فهي بهذا المعنى، حقلا لسانيا يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام ويأخذ بعين الاعتبار المتكلّم والسّياق، وهي أيضا فرع

---

[1]- التعريف المصطلحاتي في بعض المعاجم العربية تعريف نموذجا، د. توبي (لحسن)، ص11 اللّسانيات العربي على *http: //www. Arabzation.org.m/dounioads/magalla/48/docis24d: doc*

[2]- علم اللّغة النّصي، بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية الفقى (صبحي إبراهيم)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ج1، ص 43.

من علم اللّغة يبحث في كيفيّة اكتشاف السّامع مقاصد المتكلّم، أو هي دراسة معنى المتكلّم، فقول القائل أنا عطشان مثلا قد يعني أحضر لي كوبا من الماء، وليس من اللازم أن يكون إخبارا بأنه عطشان وكثيرا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته وإذا كان كذلك فكيف يمكن للناس أن يفهم بعضهم بعضا.

إن التّداولية هي عبارة عن مجموعة من النّظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات ومتفقة على أن اللّغة هي نشاط يمارس ضمن سياق متعدد الأبحاث. قد استعمل بعض المحدثين مصطلح **البراغماتية*** وآخرون مصطلح الذرائعية فالبرغماتية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد سقراط ثم تبعه أرسطو والرواقيون بعد ذلك. وهي دراسة اللّغة من خلال الجانب المعياري والوظيفي الذي يحاول أن يبيّن ملامح التركيب اللّغوي عن طريق الإشارة إلى الأسباب غير اللّغوية. وهي النتيجة العملية التي تترتّب عليها من حيث كونها مفيدة أو مضرّة وكذلك تدرس نظرية الأعمال اللّغوية وتنظر إلى الأقوال بما هي مسرح تظهر عليه عدة مستويات من العمل اللّغوي.

*- ظهر مصطلح *Pragmatique* من الأصل اليوناني *Pragma* الذي يعني العمل *action* و منه اشتقت الصفة اليونانية *Pragmatikos* التي حيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل... ابتداءً من القرن السابع عشر ميلادي انتقل الاستعمال إلى الميدان العلّمي فصارت *Pragmatique* تعني كل بحث أو اكتشاف من شانه ان يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار علمية" ينظر: الطاهر لوصيف: التداولية اللّسانية، مجلة اللّغة و الأدب، جامعة الجزائر، العدد 17 جانفي 2006، ص6.

أما **الذرائعية*** فقد وضعت مقابل كلمة *Pragmatique* اليونانية التي تعني الاستعمال فحسب، ولا تعني التفاعل التخاطبي الذي تدلّ عليه كلمة تداول. كما أن المصطلح اتّخذ بعداً تجريديّاً بعيداً عن اللّغة والدرس اللّغوي، وتطلق هذه التّسمية على أحد الاتجاهات التي ظهرت في مرحلة ما بعد البنيوية كردّ فعل لكثرة التّنظيرات التي ازدهرت في تلك المرحلة، حيث رأى مجموعة من الفلاسفة والنُّقاد أن ما يُعرف بالنّظرية– ويقصدون أية تركيبة معرفية لغوية تدعى صفة النظرية– أنّما جاءت نتيجة محاولة خاطئة في المقام الأول لفرض المعايير التفسيرية أو التّقويمية كلّيةً على ظواهر تستدعي طبيعتها التّعددية والمتنوّعة على الاختزال في أنموذج تفسيري أو التقويمي أو تحليلي واحد، وهو ما تسعى النظريات عادة إلى تحقيقه.

ينهض وصف البراغماتية على الصفات المنطقيّة، التي تفضي عن تطبيق الأشياء كمجموعة في مصلحة الفاعليّة، نستطيع تقريبها إلى الإنجازية. لتقابل الجانب التركيبي للاستعمال الشكلي للبنى اللّسانية والسّيميائية (علاقة بين الكيانات اللّسانية والعالم). "دراسة علاقة العلامات بمستعمليها وبمسؤوليتها فالتّداولية هي جزء من السيميائية"** وأحد مكوناتها، تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات وبين مستعمليها أو مفسريها (متكلّم، سامع، قارئ، كاتب...) بعلاقة العلامات المعبّر عنها، وذلك بعد دلالي

*الذرائعية مذهب(*) فلسفي اجتماعي يقول بأنّ الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنّسانية: لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع. وأنّ المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وان صدق قضية ما: هو في كونها مفيدة للناس، وان الفكر في طبيعته غائي. وقد أصبحت الذرائعية طابعاً مميزاً للسياسة الأمريكية وفلسفة الأعمال الأمريكية كذلك، لأنها تجعل الفائدة العملية معياراً للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقائدي.

** ومن أشهر أعلام السيميولوجيا، تشارلس ساندرز بيرس، ورولانّ بارت

يهتم به علم الدّلالة. علاقة العلامات بالنّاطقين بها، وبالمتلقي، وبالظّواهر النّفسية والحياتية والاجتماعية، المرافقة لاستعمال العلامات وتوظيفها وذلك هو البعد التّداولي.

إنّ استعراض منشأ اللّسانية التّداولية ليس بالأمر الهيّن، لاسيما إنّها مدينة لعدد من التيارات الفلسفية، فقد استمدّت أسسها انطلاقا من إدراك أهمية المرجعية التي تتدخّل في تحديد كل نمط من أنّماطها ولم تكن التّداولية في بدايتها مرتبطة بفلسفة اللّغة. لأنها كانت وإنما قامت على جملة من التساؤلات ذات الصّلة بفلسفة اللّغة وتاريخ الفلسفة أهمها: كيف نشأ بالتحديد هذا التفكير التداولي، وما هي نتائجه على علم اللّغة؟.

لم يقع الاختلاف في ارتباط نشأة"التّداولية ببداية العناية بعلاقة العلامة اللّغوية بمستخدميها وارتباط بعض صيغها بما يحيل عليه المقام، وتأكد مع "أوستين" أن اللّغة لا تكفي بمجرد وصف الكون والأخبار والتّواصل بل هي أداتنا لإنّجاز أعمال لا تتحقّق إلاّ بواسطة اللّغة الأعمال اللّغوية المؤثّرة في المقام ولعلّ انصرافها إلى المقام جعل البعض يرى فيها العالم الذي يدرس تأثير المقام في معنى الأقوال".[1]

فالتّداولية تصبح مجالاً يُعتدُّ به في الدرس اللّغوي المعاصر إلاّ في العقد السابع من القرن العشرين. بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللّغة المنتمين إلى التراث الفلسفي بجامعة أكسفورد "أوستين J.Austin" و"سيرل J.R searle " و"غرايس H.P

[1]–ينظر: المدارس اللّسانية، أعلامها، مبادئها، مناهج تحليلها للأداء التواصلي، د عزوز أحمد، دار الأديب، للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر. ص224_230.

Grice" وكانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللّغة الإنّسانية الطبيعيّة من خلال إيداع مرسل رسالة إلى مستقبِل يفسّرها. وكان هذا من صميم عملهم. وهو من صميم التّداولية دون أن نتجاهل جهود "بيرس" إذ يعدّ مؤسّس المنهج الفلسفي الحديث **البراغماتية** «***Pragmatique***».

إن ملامح التداولية في الدّراسات العربية القديمة تعود جذورها إلى الدراسات التّنظيرية الأولى عند الجاحظ من خلال تقسيمه البيان إلى ثلاث وظائف واهتمامه أكثر بالوظيفة التأثيرية. التي تمثل جانباً مهمّاً في التّداولية الحديثة يقول الجاحظ: "أما بعد، يمكن إرجاع وظائف البيان اعتمادا على كل ما سبق إلى ثلاث وظائف أساسية هي:

– الوظيفة الإخبارية المعرفة التّعليمية(حالة حياد) إظهار الأمر على وجه الأخبار قصد الإفهام.

– الوظيفة التّأثيرية (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستحالة وجلب القلوب.

– الوظيفة الحجاجية (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطراب"[1]وهي الوظائف ذاتها، التي مثلت منطلقا وأساسا فيما ذهب إليه المنظّرون، التي لا تبتعد عن دائرة المرسل والمتلقّي، والرسالة، وعملية التأثير والتأثّر، والقصد ونوايا المتكلّم. والفائدة من الكلام والإفهام، فإنّها تعد جوهر النّظرية التّداولية.

[1]– مجلة الموقف الادبي: مجلة أدبية شهرية، تصدر عن اتحاد كتاب العرب بدمشق، العدد 399، تموز 2004 *mailto: aru@net.sy.*

وتعود أول إشارة إلى التّداولية في التّراث العربي القديم إلى ابن قتيبه*[1] في كتاب الشعر والشعراء من خلال حديثه عن تهيئة المخاطّب نفسيّا ليتقبّل ما يقصده المخاطب. والانّفعال به انفعالاً ظاهراً. وتعدّ الدراسات البلاغية من الأعمال التي تطرقت إلى ما يقتضيه المنهج التّداولي بما في ذلك بعض ما قدمه السكّاكي في مفتاح العلوم والجرجاني* في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز والجاحظ في البيان والتبيين والخفاجي في سرّ الفصاحة.

وقد اقتضت الحاجة في دراسات الأصوليّين** إلى الإلمام بأدوات المنهج التّداولي وآليّاته واعتبار متطلّباته سياقية واستحضارها. كون دراساتهم قائمة أساسا على البحث في خطابات متنوعة ذات سياقات مختلفة. من هنا، كانت هذه الدراسات من أبرز الدراسات القديمة التي عالجت بعض جوانب المنهج التّداولي. مثل ما يتعلق بإنتاج المعنى

* أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (213 هـ-15 رجب 276 هـ/828 م-13 نوفمبر 889 م) أديب فقيه محدث مؤرخ عربي. له العديد من المصنفات أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها.

*- أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، فارسي الأصل، جرجاني الدار، ولد في جرجان وعاش فيها دون أن ينتقل إلى غيرها حتى توفي سنة 471 همهو يعتبر مؤسس علم البلاغة، او أحد المؤسسين لهذا العلّم، ويعد كتاباه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة من ما أفضل ما أسس في هذا العلّم

**عرف علم الأصول بانه " العلّم بالقواعد الممهدة لاستنباط الحكم الشرعي، يعم المسائل اللّغوية، وأخرى بتفسير الاستنباط بمعنى الاثبات التنجيزي والتعذيري، وهو اثبات تشترك فيه الأدلة المحرزة، والأصول العملية معا.

وتأويله وشروط ترجيح معنى آخر كما في دراسات الشاطبي *** في الموافقات والغزالي في المستصفي والقرافي **** في التنقيح.

ووفق منظور آخر، تعد أعمال الفقهاء من الأعمال التي لامست بعض ما يندرج في إطار التّداولية. من ذلك ما ورد عن ابن تيميه في الفتاوى وابن قيّم الجوزية في إعلام الموقّعين وغيرهم كثر. حيث تم التركيز عندهم على بعض الجوانب في الأبواب التي تعالج المعاملات والعقود. ومع ورود هذه الشذرات وتعدد تلك الإشارات، إلا أن معالجتهم كانت متناثرة لا يجمعها رابط ولا تندرج في إطار معين بوصفها منهجا دراسياً لغويا متكاملا. بالرغم من عمقها في بعض المواضيع وانضباطها في مواضيع أخرى.

ومن الدّراسات ما تطرق له بعض النّحويين، مثل ما تجسد في بعض المؤلفات كالكتاب لسيبويه، وشرح المفصّل لابن يعيش وهمَعُ الهَوامع للسيوطي* وغيرهم تجسد في مواضع متفرقة من الخصائص عند ابن الجني. وبالرغم من ندرة الدراسات العربية القديمة المتخصصة والموصِلة للمنهج التداولي، إلا أن هذا لا يعني غيابها تماماً، إذ وردت

*** هو إبراهيم بن موسى بن محمد أبو إسحاق اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، وكنيته التي عرف بها أبو إسحاق،.من مؤلفاته الموفقات

****هو القرافي أحمد بن إدريس . 684 هـ/ 1285م أحمد بن إدريس أبي العلّاء بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يَلِّيْنَ الصنهاجي (نسباً) البهنسي القرافي من مؤلفاته الخصائص في النحو

*عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، (القاهرة 849 هـ/1445 م- القاهرة 911 هـ/1505م) من كبار علماء المسلمين. من أهم مؤلفاته، الإتقان في علوم القران.

في صورة مثبته ومعالجات متفرقة بقصد، وغير قصد من خلال طرق عرفه المتفاوتة انطلاقاً من ضرورة المنهج اللّغوي نفسه، أو من ضرورة المعالجة التي يستدعيها إنتاج الخطاب أو تأويله شتى ضروبه ومختلف ميادينه.

إضافة إلى هذا، فإننا نقع على جملة من الأسباب تقف وراء الاهتمام بالتداولية مؤخرا، بعضها تاريخي وبعضها غير ذلك، فقد بدأ الاهتمام بها باعتبارها ردّة فعل على معالجات تشومسكي **[1] للّغة بوصفها أداة تجريدية أو قدرة ذهنية قابلة للانّفصال عن استعمالاتها ومستعمليها، والسبب الأخر هو التوصل إلى قناعة، مفادها أن المعرفة المتصلة بالنحو والصوت والدلالة لم تستطع التعامل بتوسع مع ظواهر معينة ذات أهمية بالغة.

ويمكن اعتبار الإدراك المتزايد بوجود فجوة بين النّظريات اللّسانية من جهة ودراسة الاتصال اللّغوي من جهة أخرى، سبب آخر في الاهتمام بالتداولية، ومن الأسباب الأخرى اتجاه معظم التفسيرات اللّسانية لتكون داخلية بمعنى أن السمة اللّغوية

---

* * .أفرام نعوم تشومسكي (*Avram Noam Chomsky*) (و. 7 ديسمبر 1928 فيلادلفيا، پنسلفانيا) هو أستاذ جامعي مدى الحياة في اللّغويات في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. هو صاحب نظرية النحو التوليدي، والتي كثيراً ما تعتبر أهم إسهام في مجال اللّغويات النظرية في القرن العشرين. وقد أسهم كذلك في إشعال شرارة الثورة الإدراكية في علم النفس من خلال مراجعته للسلوك الفعلي لـ ب.ف. سكينر، والذي تحدى المقاربة السلوكية لدراسة العقل واللّغة والتي كانت سائدة في الخمسينات. مقاربته الطبيعية لدراسة اللّغة أثّرت كذلك على فلسفة اللّغة والعقل (انظر هارمان وفودور). ويعود إليه كذلك فضل تأسيس ما أصبح يُعرف بـ تراتب تشومسكي، وهي تصنيف للغات الشكلية حسب قدرتها التوليدية. لقد مر فكر تشومسكي، والنظرية التوليدية التحولية على وجه الدقة بمراحل ثلاث ارتبطت بدورها بمؤلفات ثلاث لتشومسكي وهي على التوالي:

مرحلة"البنى التركيبة"(1957) *Syntaxic Structurs*

مرحلة" النظرية التركيبية"*Aspects of the theory of Syntax(1965)*

مرحلة" دراسات الدلالة في القواعد النحوية" (1972)*Studies on semantics in generative grammar*

تفسر بالإشارة إلى سمة لغوية أخرى، أو إلى جوانب معينة من داخل النظرية، وظهرت الحاجة إلى تفسير ذي مرجعية خارجية، وهنا ظهرت الوظيفة بوصفها اتجاها ممهدا للتداولية.

وانطلاقا من أننا لا نستطيع فهم اللّغة ذاتها إلا إذا فهمنا التداولية من خلال التأثير المتبادل بين مرسل ومتلقي في حالة مشاهدة وغياب، باستعمال الأدلة اللّغوية المطابقة لمقتضى المقام والمقال، وعليه فاللّغة ليست خارجة عن مستعمليها.

وما دمنا لا نستطيع الحديث عن تداولية واحدة شأنها في ذلك شأن جميع المناهج، وإنما نحن أمام تداوليات متعددة يوحدها العنصر الشكلي لممارسة سلطة المعرفة في إطار استراتيجيات توجه النقاش والحوار، مادام ارتباط الحقيقة قائم على حركة التواصل وتبليغ المعنى فلا غرابة أن نصادف تداوليات نحو:

ـ تداولية البلاغيين الجدد

ـ تداولية السيكو- سيوسيولوجيين

ـ تداولية الفلاسفة والمناطقة [1]

فالتّداولية في محاولتها الجادّة تحاول وضع يدها على الأبعاد الحاضرة الغائبة في الخطاب الأدبي، بحكم أنّها تطوير للوظيفة، في سعيها لسد النّقص الذي شاب التّيارات اللّسانية السابقة، لنسجل في الوقت نفسه من باب الإنّصاف، قيمة ما قدمه رواد التّداولية، على تعدّد توجهاتها وأهدافها على غرار ما قدمه "طه عبد الرحمان" في

[1]- ينظر: المدارس اللّسانية. أعلامها، مبادئها. ومناهج تحليلها للأداء التواصلي عزوز(أحمد): ، ص228-229 .

دراسته التّداولية التي تعالج الخطاب والحوار والحجاج من وجهة نظر فلسفية وأخرى لغوية.

ليس هذا فحسب، بل انبنت على هذه الجهود بعض الدراسات الأخرى مثل دراسة "محمد يونس علي" الذي بحث في كيفية تحليل الفقهاء للخطاب الفقهي تحليلاً تداولياً في سبيل استخراج الأحكام الشرعية والتقعيد لها وتصنيف مراتبها، حيث حاول أن يوفّق في بعض الدراسات ذات النهج البلاغي، وخاصة الخطاب الإقناعي وتأثير الحجاج.

ولما كان البحث عن الدلالة في الحقل اللّساني، بحث عن علاقة العلامة بمدلولاتها، فان التداولية تهتم بعلاقة العلامة بمؤولها. ولم تعد موضعا للمهملات يودع فيها ركام البنايات المستعصية على التصنيف العلمي بشكل مناسب؛ لأنه لا يمكن فهم اللّغة فهماً حقيقياً ما لم نفهم التداولية؛ من منطلق التساؤل، عن كيفية استعمال اللّغة في الاتصال.

ولعلّ نقطة التقاء بين المذاهب الفلسفية والتداولية تتحدد في الواقع العملي الذي يجمع بينهما. ونستشف ذلك من جملة التقاطعات التي نقرؤها في ما قدمه أبي هلال العسكري*، وحازم القرطاجني**، وغيرهم.بالرغم من أنها جاءت ذات طابع معياري

*وهو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري وكنيته أبو هلال، ولد عام 920م، وتوفي عام 1005م. وكان شاعرا وأديبا له مؤلفات كثيرة، ويرجع نسبه إلى عسكر مكرم من كور الأهواز، وهو ابن أخت أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، وهو تلميذه أيضا من مؤلفاته الفروق في اللّغة.

تهتم بالأثر الناتج مباشرة عن الرسالة، والشروط التي تجعل الخطاب ناجحًا، من خلال استقراء تماهيات المرسل والمرسل والمتلقي، والرسالة، وعملية التأثِير والتأثُر، والقصد ونوايا المتكلم، والفائدة من الكلام.

والمتأمل في جملة هذه العناصر، يقف على حقيقة تماثلها مع جوهر النظرية التّداولية التي تتمدد في مساحة واسعة من ساحات الدّرس اللّغوي الحديث، لتُفصل بدراسات أخرى لها صلة بالمنطق والسيميائية واللّسانيات ومنها علم الاجتماع اللّغوي، أو علم اللّغة الاجتماعي، فهو شديد الكلف والعناية بالأفعال الكلامية. "فالمستوى التداولي هو مستوى الفعل الكلامي وما يتطلبه من قيود ومعايير، فلم يعدّ كافيًا أن يوصف المنطوق من جهتين: بنيوية ودلالية،"وإنها باعتبار الفعل المنجز من خلال استنتاج ذلك المنطوق أي أن إضافة هذا المستوى ستُمكن من إعادة جزء من المقتضيات التي تجعل الأقوال (المنطوقات) الجمل الصغرى مقبولة تداوليًا،وبتعبير أخر مناسباتها بالنظر إلى السياق التواصلي الذي تنجز فيه"[1].

وبعد كلّ هذه التشعبات التي أثارها الموضوع يظهر لنا جليًا تعدد قراءات النّصوص حول مفهوم التداولية،" فهناك من يرى أنها نظرية في المعرفة لأنّها تهتم بالواقع،

[**]- حازم بن محمد بن حازم أو أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني كان شاعرًا وأديبًا أخذ عن الشلوبين وعنه أخذ جماعة منهم العبدري. قدم إلى تونس ومدح السلطان الحفصي أبي عبد الله محمد المستنصر، وأشهر قصائده له القصيدة الطائية. له تأليف منها: منهاج البلغاء وسراج الأدباء في البلاغة. توفي عام 684 هـ\1386 م.

[1]- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، فن ديك *Ta .Van Dik*: ترجمة د. سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1424هـ-2004، ص193.

وهناك من يرى أن جوهرها ميتافيزيقي"[1] .ومن هنا، تكمن أهميتها على أنّها"دراسة اللّغة في الاستعمالimuse أو في التواصل interaction in؛ لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئًا متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده.

إن صنّاعة المعنى تتمثل في تداول Negotiation اللّغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد مادي، اجتماعي، ولغوي وصولاً إلى المعنى الكامل في معنى ما."[2] فالمتعمق في مجال الدراسات التداولية يجد صعوبة في الإلمام بها. ولعلّ السبب في ذلك هو سعة مجالها في المنظومة الفكرية الحديثة، كما أن مفهومها تتقاذفه مصادر معرفية عديدة "فعُدت ملتقى لمصادر الأفكار والتأملات المختلفة يصعب حصرها، ولا يكاد يستقر في أحد منها، إضافة إلا أنها تتداخل مع علوم أخرى، مما جعل مجالها ثريًا وواسعًا وعسيراً"[3]

إنّ المقاربة اللّسانية التي لازالت إلى اليوم تبحث في المعنى الذي لا ينفك دلاليًا يتابع الألفاظ والتراكيب في وصفها لحالات الأشياء وعلاقتها بالمرجع والحقيقة، فإن بحثًا في التّجاوز الدّلالي لم يجِد بُدّاً من كونه تداولياً يستنفذ مشاكل المعنى في هذا المستوى. ما تعلق منها بالتّلفظ والذوات المتفاعلة فيه، وما تعلق بظروفه وملابساته وكلّها عوامل تداولية باعتبارها مقاربة تجد لبدايتها منشأ في حضن فلسفة اللّغة العادية

[1]– المنطق البرغماتي عند تشارلز بيرس، حامدخليل، دار اليانبيع للطباعة والنشر والتوزيع، بمصر، بلبنان، 1966، ص214.

[2]– ينظر: أفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، نحلة(محمود أحمددار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2002، ص14.

[3]– ينظر: في اللّسانيات التداولية خليفة بوجادي، ص63، عن *Dominique Maingueneau :Pragmatique pour le Discours Littéraire Collection Lettres SVP .Dunod.Paris 1977.P01*،

هذا التّيار الذي نشأ مع رواد الفلسفة والمنطق أمثال: *Russel Frege Wittgensten Strawson. Bar-Hillelle. Carnap*.– وغيرهم الذين حاولوا التّمهيد لتداوليّات نظرية انطلاقاً من فكرة المعارف والعلاقات بين الأفراد والملفوظات اللّغوية في سياقات ومقامات متعدّدة.

إنها جملة من المنطلقات بيّنت أنّ جانب الاستعمال في اللّغة العادية هو الذي يؤدي إلى حسن الفهم للموضوعات، وهو الذي يكسب تعلم اللّغة واستخداماتها ويكشف الظواهر الدّلالية والتّداولية والتي كانت مهملة ومهمشة من ذي قبل، وأن الأبحاث التي قدمت في إطار الفلسفة التّحليلية والتي تجاوزت البنيوية والمواريث اللّسانية أدّت إلى بروز التّداولية مع أوستين*[1] وتلميذه "سيرل" اللّذين تميزت بحوثهم بالجدّية والعمق والاتّساع والشّمول والتّقاطع، ومحاولة الوصول رغم الاختلاف إلى القوانين الكلّية للاستعمال اللّغوي والتّعرف على القدرة الإنسانية ومعرفة أحوال المستعملين في ظلّ الطّبقات المختلفة حسب أغراض المتكلّمين وأحوال المخاطبين. مدركين للروابط بين اللّغة والإدراك في رحاب علم النفس المعرفي، وبين اللّغة وعلم الاتّصال، وما

*جون أوستين ***jhon austin*** : الفيلسوف الإنجليزي وأحد أهم ممثلي فلسفة اللغة والفلسفة التحليلية ، ولد في مدينة لانكا ستر سنة 1911 تخرج في جامعة إكسفورد متخصص في الأداب اليونانية والرومانية ودرس الفلسفة فيها سنة 1952 . 1960 وشغل فيها كرسي الفلسفة الأخلاقية من عام 1952 حتى وفاته لم تنشر لأوستن مؤلفات في حياته ما عدا بعض المقالات والمحاضرات التي ألقاها أمام جمعيات أو في مؤتمرات علمية فقد كان يعني للتدريس وإعداد دروس الجامعية ويعقد كل يوم سبت حلقة يحضرها الطلاب والأصدقاء ويغلب عليها طابع النقاش والحوار واعتمد الأوراق التي خلفها فيما نشر له بعد وفاته من كتب أهمها أوراق فلسفة ، الحس والمحسوسات، وكيف تصنع أشياء بالكلمات ، توفي في أكسفورد سنة 1962 ، التداولية اليوم، آن روبول جاك موشلار ص 250 .

استأنست به المجموعة اللّغوية من مراجع مختلفة ذات أبعاد دلالية وتداوليّة في إطار اللّسان الواحد الحامل للموروث التي تساعد محلّلي الخطاب على الفهم الدّقيق لمقاصدية التّواصل المدمجة فيها مختلف الأبعاد. وأمام هذا التّنوع الذي نشأ فيه الفكر التّداولي يجد الباحث نفسه أمام تداوليات متنوعة مع أنّها في قمّة ازدهارها.

لقد أصبح الاهتمام بالتّداوليات متزايداً يطوّر في كل لحظة اهتماماً معين تتحدّد التّداوليات وفقه، حيث كانت التّحليلات السّابقة على بنيات تحتية سيكولوجية وتارة على تمفصلات ذواتية واجتماعية لتبقى التّعريفات والمصطلحات التي تستوعب هذا العلم مضطربة ومعمّمة وتتعدّد أحيانا وتتضارب. وما ينبغي التّأكيد عليه هو أنّ هذا الاهتمام في حدّ ذاته ليس منسجماً، وموحّداً لأنّه يقف عند مجالات تداولية مختلفة مَيَّز فيها الباحثون التّداوليون بين ثلاث تداوليات.

التّداولية التّلفظية: تهتم بوصف العلاقات الموجودة بين بعض المعطيات الداخلية للملفوظ وبعض خصائص الجهاز التلّفظي مرسل التلّفظ الذي تندرج ضمنه الملفوظات متلقى وضعيّة.

التّداولية التّخاطبية: أو نظرية أفعال اللّغة وهي عند أوستين وسيرل تختصّ بدراسة القيم التّخاطبية من خلال اللّفظ والتي تسمح له بالاشتغال كفعل لغوي خاص.

التّداولية التّحاورية في ظلّ الأفكار المؤسسة: والتي تهتم بدراسة هذا النّمط الخاص من التّفاعلات التّواصلية، الحِوارات والتّبادلات الكلامية.

لقد جرى استعمال الصّفة (تداولي) للدّلالة على ما يؤخذ الاعتبار به في الأمور الممتنعة والمربكة أو المحيّرة للنّظريات المعرفية. ثم إنّ التّداولية في الحقيقة تفصل بقانون الكيفيّة في الاستعمال التّطبيقي، وتنطلق الأسس الفلسفية عموماً من أنّ العبرة من الفكرة بالاستعمال وليس مشروعاً للعمل فقط. فالعمل ذاته هو أساس الحكم على صحّة الفكرة وتقديم هذا العمل وفق النتائج التي يؤديها بالموازاة مع الجانب الأخلاقي. فكلُّ عمل مفيد هو عمل حقيق، وهذا ما خلُص إليه "وليام جونس" (قيمة الفكرة ليست في الصّورة والأشكال التي تثيرها في الذهن، وإنّما في الأعمال التي تؤديها هذه الفكرة، وفي التّغيّرات التي تنتجها في الدنيا المحيطة بنا، هو ما عبّر عنه الأصوليون في أنّنا لا نتكلّم ولانخوضُ فيما لايَنبَني عنه عمل.

فالتّداولية ليست علماً لغوياً بالمعنى التّقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير مكوّنات النّص على مستوى اللّغة، ولكنّه يهتمّ ويركز على دراسة اللّغة أثناء الاستعمال. فهي تعتمد على الاستدلالات ومعالجة الملفوظات في إطار اللّغة العاديّة التي عجزت البنيوية عن معالجتها وصولاً إلى المعنى وتقلّباته، وهي حلقة وصْلٍ هامّة بين حقول معرفيّة عديدة، منها الفلسفة التّحليلية في فلسفة اللّغة العاديّة، ومنها علم النّفس المعرفي ممثلاً في نظرية الملائمة، ومنها علوم الاتّصال ونظريّة الأفعال الكلامية مستمدّة من الفلسفة التّحليلية، ونظرية المحادثة المستمدّة من فلسفة بول غرايس.

وعلى الرّغم من اختلاف وجهات النّظر بين الدّارسين حول التّداولية وتساؤلاتهم حول القيمة العلميّة، وتشكيكهم في جدواها فإنّ معظمهم يقرُّ أنّ قضيّة التّداولية هي إيجاد القوانين الكلّية للاستعمال اللّغوي، والتّعرف على القدرات الإنّسانية للتّواصل

اللّغوي. وعلى هذا الأساس تصير التّداولية علم الاستعمال اللّغوي أو نظرية أفعال اللّغة التي كشفت أنّ اللّغة الطبيعية لم تبق لغة طبيعية في عصر الإعلاميات بل أصبحت لغة تقنية تتحكّم فيها آليات التّخاطب والتّواصل المعاصرة.

وفي ظلّ سيادة تكنولوجيا المعلوماتية التي مهّدت إلى سقوط الحواجز المكانية والزّمانيّة والخصوصيّات الثقافية والحضاريّة، وغدا النّاس يتواصلون كأنّهم في قرية كونيّة صغرى، أدّت إلى مزيد من الانفتاح الثّقافي والتفاعل الحضاري فلم يعد في ظلّ الثورة المعرفيّة مطلوب إلينا أن نتلقى الخطاب كما صاغه غيرنا، وخاصّة بعد عجز البلاغة القديمة والنحو القديم عن المسايرة، وإنّما يجب أن نُحلّل ونتواصل مع الثورة المعرفية، وبواسطة هذه التّقنية المفروضة من أجل متابعة وفهم سيرورة التّاريخ وتحليل أحداثه بوعي وذكاء كي يتيسّر فهم خطابنا في ظلّ الخصوصيّة التي تقوم على التّمسّك بالأصل من غير انغلاق، و الانفتاح على العصر من غير ذوبان؛ لأنّ أفعال الكلام والتّداولية بوجه عام أصبحت قدراً محتوماً لأي لغة تفهم وتتواصل وتستوعب قضاياها الأدبية والعلمية والفكريّة فلا ينْهَدّ كيانها ولا يَتيهُ فكرها بين العماء والغُموض.

فنظرية أفعال الكلام العامّة لأوستين عُدّت أوّل محاولة جادّة تتجاوز بالفعل الطّرح الأرسطي في كتابه الخطابة للقول الخطابي والدراسة البلاغية، بإعادة تنظيم اللّغة الطبيعية على ضوء الدّراسات اللّسانية المعاصرة. لقد أصبح اعتبار المعطيات الجدُّ عادية والملموسة في التّواصل أمراً ضرورياً وقد أثيرت في ذلك مجموعة من الأسئلة التي باتت محيّرة وتتطلب إجابات نظرية، مثل الباعث الأساسي لضرورة قيام تحليل أفعال اللّغة تداوليّاً في ظلّ الإتمام بجوانب مهمّة تتعلّق بالإحالة والمرجع، وتتعلّق بالاقتضاء

والاستلزام والفعل، وقضايا مثلت دروساً حيويّة في الفلسفة ودشّنت لمشروع لسانيّات التّداول.

وحسب معجم (ديبوا) التّداولية هي:"الدور الذي تؤدّيه الوحدة اللّسانية(...) في البنية التركيبة في الملفوظ، ويعدّ كلّ عنصر من الجملة مشاركاً في معناه العام..."[1] كما جعلها أحمد المتوكّل نوعين: داخلية وخارجية. وتتّسم الوظائف التّداولية الدّاخلية بكونها تستند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة ذاتها أمّا الوظائف الخارجية فغير مرتبطة بعناصر الجملة حيث تستند إلى مكوّنات خارجة عن الجملة. وتشمل وظائف المبتدأ والذيل وبذلك مجموع الوظائف التّداولية حسب (سيمون ديك) أربع.

وقد أضاف المتوكّل وظيفة خاصة هي وظيفة المنادى، فيقول: ونقترح شخصيًا أن تُضاف إلى الوظيفتين التّداوليّتين الخارجيّتين "وظيفة المنادى التي نعتبرها واردة بالنّسبة لنحو وظائف كافٍ لا لوصف اللّغة العربية فحسب. بل كذلك لوصف اللّغات الطبيعية بصفة عامّة..."[2]

[1]- في اللّسانيات التداولية، في الدّرس العربي القديم بوجادي (خليفة)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، ت2009، ص118.

[2]- الوظائف التداولية في اللّغة العربية، المتوكل (أحمد): دار الثقافة للنشر والتوزيع، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 1405-1985، ص101.

أ . **الوظيفة الدّاخلية** :

1–**وظيفة المحور**: تستند إلى المكوّن الدّال على ما يشكّل المحدّث عنه محطّ الحديث داخل الجملة والمحور هو الذّات التي تشكّل استقطاب الكلام أو الذّات التي تُشكّل موضوع حمولة المعلومات الواردة في الخطاب، فهي تؤدّي وظيفة المحور، بمقتضى الوضع التّخابري القائم بين المتكلّم والمخاطب في طبقة مقاميّة معينةً في الأوّل محور الاستخبار وفي الثانية محور الإخبار .

2–**وظيفة البُؤرة**: تستند إلى المكّون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزاً في الجملة، ولا تستند إلى الجملة ولا إلى أحد حدودها، وترتبط بالمكوّن الحامل للمعلومة المجهولة لدى المخاطب لا المعرفة ولا تدخل في القسم الإخباري المشترك بينه وبين المتكلم. ومنها بؤرة المقابلة: التي ترتبط بالمكوّن الحامل للمعلومة التي هي محلّ شكّ أو إنكارٍ من المخاطب.

ب . **الوظيفة الخارجية**:

1–**وظيفة المبتدأ**: المبتدأ هو ما يحدِّد مجال الخطابِ الذي يعتبر الجمل بالنسبة إليه واردًا. ومن خصائصه أن يكون معرفة لدى المخاطب والمتكلّم، وأن تكون إحالية مرتبطة بالمقام، أي بالوضع التّخابري بين المتخاطبين.

2– **وظيفة الذّيل**: تستند إلى المكوّن الدّال على الذيل، وهو الحامل للمعلومة التي توضّح معلومة داخل الجمل، تُعدِّلُها أو تصحّحها ومن خصائصه الإحالية، وهي مفهوم تداولي مرتبط بالمقام وبالوضع التّخابري القائم بين المتكلّم والسّامع بشكل خاص.

3- **وظيفة المنادى:** تستند إلى المكوّن الدّال على الكائن المنادى في مقام معيّن، وينبغي التّمييز بين النّداء بِعَدِّهِ فعلاً لغوياً، شأنه شأن الإخبار أو الاستفهام أو الأمر، وبين المنادى بِعَدِّهِ وظيفةً، علاقةً تستند إلى أحد مكوّنات الجملة،" فالوظيفة التّداولية مرتبطة بالمقام، على نحو ارتباط المبتدأ أو الذّيل".[1]

ومهمّة الوظائف التّداولية أن تحدّد وضعية مكوّنات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية في علاقة الجملة بالطبقات المقاميّة المحتملة، تنجز فيها، فهي- إذاً- وظائف مرتبطة بالسّياق والمقام، وبمدى إنجازيّتها في واقع التّواصل[2]. وتتّضح أهمية التّداولية من حيث " أنّها مشروع شاسع في اللّسانيات النّصية، تهتم بالخطاب والمناحي النّصّية فيه، نحو المحادثة، المحاججة والتّضمين.

ولدراسة التّواصل بشكل عام، بِدءاً من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصدٌ محدّد، إلى ما يمكن أن تُنشئه من تأثيرات في السّامع و عناصر السّياق[3]. وقد حاول الباحثون الاستفادة منها في طرائق وتعلّمها وكذلك الحال في تعليم اللّغات بوصفها لغات ثانية، كما تجاوزت الدّراسات التّداولية إلى الدّراسات المقارنة بين اللّغات التي تنتمي إلى ثقافات متباينة[4].

---

[1]- في اللّسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بوجادي (خليفة): بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، ت2009. ص120-121-122.

[2]- المرجع نفسه، ص119.

[3]-ينظر : المقاربة التداولية، فراسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علواش، مركز الإنّماء القومي، دط، دت، ص07.

[4]- إستراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ابن ظافر الشهري (عبد الهادي): دار الكتب الجديدة المتّحدة، بيروت، لبنان ص24

ويعترف "كارناب" أنّ التّداولية درس غزير وجديد، بل يذهب إلى أكثر من هذا بقوله:"أنّها قاعدة اللّسانيات، إذ أنّها محاولة للإجابة عن أسئلة تطرح نفسها على البحث العلّمي، ولم تجب عليها المناهج الكثيرة، وقد لا تَسلَم من المشكلات حالها حال أي منهج لدراسة اللّغة ومن الأسئلة التي يثيرها الباحثون ويحاولون من جهة أخرى أن يجيبوا عنها هي:" ماذا نصنع حينما نتكلّم؟ ماذا نقول بالضّبط حين نتكلّم؟ فمن يتكلّم إذن؟ وإلى من يتكلّم؟ ومع من يتكلم؟ من يتكلم ولأجل من؟ ما هي استعمالات اللّغة؟"[1].

وقد برزت عدة مشكلات في التّحليلات اللّغوية الشّكلية، ولذلك يرى "ليتش Lytch" أنّ في المنهج التّداولي حلاًّ لبعض هذه المشكلات، من جهة نظر كلّ من المرسِل والمرسَل إليه، فالمرسِل يبحث عن أفضل طريقة ليُنتج خطاباً يؤثّر في المرسَل إليه، كما أنّ المرسَل إليه يبحث عن أفضل كيفيّة للوصول إلى مقاصد المرسِل كما يريدها عند إنتاج خطابه لحظة التلّفظ. وهذه الإجراءات لا تتبلور عبر منظومة خوارزمية تجريدية كما هو الحال في النحو، بل عبر تقدير ذهني عام ومحتمل وفقاً لعناصر السياق2

"لقد تعمّق أوستين J.Austin في إنجاز فلسفة دلاليّة تهتمّ بالمضامين والمقاصد التّواصلية وتختلف عمّا عرفناه عند علماء الدّلالة اللّغويين، وخصوصاً البنيويّين منهم فقد كان أوستين Austin يلِحّ على القيمة التّداولية لعبارات لغوية كثيرة تستخدم في

[1]– ينظر: إستراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ابن ظافر الشهري (عبد الهادي)، ص24.

[2]– ينظر : المقاربة التداولية، فراسواز أرمينكو: ترجمة سعيد علواش، مركز الإنّماء القومي، دط، دت، ص07.

اللّغة الإنجليزية وربمّا في كلّ اللّغات"[1] فالمهمّ هو التّعامل مع المصدر، كتاب أوستين Austin **How to think with words كيف ننجز الأشياء بالكلام** كيف أنّ قول شيء هو الأداء والتّصرف، والإنّجاز وبعبارة أخرى أنّ قولنا شيئاً ما يعني تصرّفنا أو فعلنا شيئًا ما، و على وجه آخر أنّ النّطق بشيء ما هو تعلّق بالمفعوليّة،" إذ أنّ التّصرّف يحتاج في حدوثه إلى النطق"[2]. وهو ما يهيّئ للدخول في نظريّة الأفعال الكلامية " إنّ فعل التكلّم بشيء ما، بالمعنى الواسع لهذا المركّب إنّما أسمّيه أمنحه هذا اللّقب وهو إنجاز فعل الكلامLocutionary act، ومن هذا السّياق فإنّ دراسة العبارات المتلفّظ بها هي في الحقيقة وللسّبب نفسه دراسة أفعال الكلام، وإن شئت قلت" دراسة الوحدات الشاملة لعناصر التكلّم اللّغوي Speech"[3] وبعده يميز بين الفعل الصّوتي والفعل الكلامي والفعل الخطابي، ثمّ يتدرّج في اكتشاف الأفعال الكلامية الثلاثة.

وبغية إنجاز فعل الكلام، وبالتّالي تحقيق قوّة فعل الكلام، لا بُدّ أيضاً من أن ننجز نوعاً آخر من الأفعال. فأن نقول شيئًا ما قد يترتب عليه أحياناً أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطَب وأفكاره أو تصرّفاته"4. ثمّ يخلص أوستين Austin إلى تصنيفه الثّلاثي للأفعال الكلامية الفعل اللّفظي،الفعل الإنجازي، الفعل التأثيري. ثمّ يخرج بنتيجة مفادها أنّ **الفعل act** هو مفهوم متشعّب غامض،

---

[1] – التداولية عند علماء العرب– دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت– لبنان، ط: 01، ت: تموز (يوليو) 2005، ص10.

[2] *.J. Austin, How to do think with words.P. 94*

[3] *.J. L. Austin, Ibid, P.95*

وهو يتصوّر الفعل على أنّه حدث مادّي فيزيائي نقوم بإنجازه، ونعتبره مُتَمايزاً عن ضروب التّواضع والتّواطؤ في كيفيّة الوقوع ومتمايزاً أيضاً عن آثاره ونتائجه.

وإن كانت فلسفة اللّغة العاديّة تعالج الحقائق المفهوميّة فإن اللّسانيات ستعالج الوقائع التجريبية وما كان من الوقائع التّواصلية يمثل موضوعاً فلسفياً إلى عهد قريب سيكون آليّات ضرورية للبحث اللّساني المعاصر. فقد ميّزت الدّراسات بين نوعين من المعنى الطّبيعي وغير الطّبيعي لأنّ التّداولية تتمركز حول البعد الاستعمالي للمعنى في كيفيّة فهم النّاس وإنتاجهم لفعل تواصلي أو فعل كلامي في إطار موقف كلامي ضمن سياق محدّد. وتميز التّداولية بين معنيين في كلّ ملفوظ أو فعل تواصلي لفظي. الأول هو القصد الإخباري أو معنى الجملة والثاني القصد التّواصلي أو معنى المتكلّم.

إنّ القدرة على فهم و إنتاج فعل تواصلي يطلق عليه"الكفاءة التّداولية" والتي تتضمّن معرفة المرء بالمسافة الاجتماعية والمرجعيّة الثّقافية بين المشاركين في المواقف، والمعرفة الظاهرية والضّمنيّة، ومن بين مظاهر اللّغة التي تدرسها التّداولية والتي تشير إلى المعنى السّياقي للضّمائر ومفردات المكان والزّمان، والفرضيات المسبقة التي تشير إلى المعنى المنطقي المقترن بالجمل بأفعال اللّغة للإشارة أوّلا، لقد أثار مصطلح *speech acts* الذي جاء به j.searle مصدر قلق وحيرة بالنسبة للتّرجمات التي تناولته، إذ اختلفت على هذا المصطلح المقابلات الفرنسية التالية *actes de langage*، *actes de parole* و*actes de discours* وعلى هدي هذا القلق سارت التّرجمات العربية، إذ قوبل المصطلح بـ: أفعال اللّغة، أفعال الكلام وأفعال الخطاب ، وعلم استعمال اللّغة عند العرب القدامى.

ومن هنا، نصطدم مع تساؤل جديد نبتغي من خلاله البحث عن أيّ من هذه المقابلات يمكن حمل المصطلح؟ لقد انتبه "**ديكرو** *O. Ducrot*" إلى هذا القلق، وفي هذا السّياق يذهب إلى أنّ حمل هذا المصطلح على مقابلته بـ: **أفعال الكلام**– *Les actes de parole* سيضطرنا إلى نوع من التّناقض، على اعتبار أنّ Searle يجعل هذا الفعل جزء من اللّسانيات. وإذا حملناه على مقابلته بـ **أفعال اللّسانيات**– *les actes de langue* ، فإنّ مقابلته بهذا تكون غير مستوفيه. ولا يبقى إلاّ أن نحمله على مقابلته بـ " **أفعال اللّغة**–*les actes de langage* وهذا يجنّبنا الوقوع في ما ذهب إليه دسوسير في نسقيته الثّنائية"[1]. هذا ما ذهب إليه **ديكرو***Ducrot* بشأن الاصطلاح، وما لنا نحن إلاّ أن نأخذ بهذا، وليس لهذا التّبرير فقط، بل أيضاً لأنّ أفعال اللّغة هو المقابل الذي راج بشكل كبير في أوساطنا اللّسانية.

وعلى العموم، فإنّ الاصطلاح يأتي على مفهوم تداولي ينسحب على ما يحقّقه مستعملو اللّغات الطبيعة في مقاماتهم التّواصلية من فعل، إنّه يتمثّل في ما يصدر عن الاستعمال، ولا تكمن طبيعته الفعلية أو الحدثيّة هذه في كونه إنجازاً أو ممارسة فيزيولجية وفقط بل لأنّه، فضلاً عن ذلك سلوك لغوي أو ممارسة يستطيع المتكلّم تجسيدها عبر العمليّة التّواصليّة، فلا يختلف الفعل اللّغوي عن باقي الأفعال الإنّسانية غير اللّغوية.

ووفق هذا التّصور الذي أرسى دعائمه"J. L. Austin" وأجلى معالمه "J.Searle"، أصبحت اللّغة تمثل فضاءاً للإنّجاز والممارسة والفعل، حيث الأمر والنّهي والأخبار

[1] - *O Ducrot: les actes de langage. « Préface ».p7.*

والاستفهام وغيرها تمثل إنجازات لغويّة، وحيث الملفوظات اللّغوية لا تنفكّ تجسّد هذه الإنّجازات.

ومن هنا، فقد أمكن للنّظرية اللّغوية أن تشكّل جزءاً هاماً من النّظرية العامّة للفعل، والسّبب في ذلك يقوم على افتراضٍ مفاده" أنّ التّكلّم في حدّ ذاته يمثّل شكلا ًمن أشكال السّلوك الإنّساني المنظّم[1]" "وأنّ كُنْهَ الكلام ليس في تبادل المعلومات فقط، بل هو أيضا تحقيق فعليّ للحدث، تحقيق تحكمه القواعد وتوجّهه الأهداف."[2] فأنْ تتلفّظ يعني أنّك تفعل، وكما أنّنا لا نفعل لأجل لاشيء، فكذلك أنّنا لا نتلفّظ لأجل لا شيء، أنّنا نتلفّظ لأجل غايات وأهداف محدّدة كأن نخبر أو نسأل أو نعِد.

وكما أنّ فعل التلّفظ شأنه شأن باقي الأفعال ليس فعلاً مجّاناً، فإنّه كذلك ليس حرّاً، إنّ له قانونا ينظّمه كما لباقي الأفعال قوانينها المنظّمة. وبهذا يفترض الموقف التّداولي أنّ التّلفّظ هو الفعل، أو نوع من الفعل، وبذلك سوف لن يستخدم اللّسانيات الإطار الحامل للموروث ليحيل على نفسه. بقدر ما يستعمل ليعكس فعل التلّفظ. الذي لن يتوقّف على قيامي بفعل التلّفظ بل على ما يستتبِعه من سلوك.

وقد دشّن "Benveniste" أعماله لهذا المشروع متجاوزاً القُدرة على الإنّجاز إلى قيام الذّاتية في التّواصل حيث يقول "إنّه قبل العملية التّلفظيّة لا يكوّن اللّسانيات إلاّ إمكانيّة اللسان".[3] ويضيف: "إنّ العملية التلّفظية هي حيث يوظف اللّسان بواسطة

---

[1]- J searle: les actes de langage de philosophie du langage, Collection Hertmann, Paris, 1972, p59.

[2] - Catherine Kerbrat-Orecchioni, L'énonciation, De la subjectivité dans la langue, Paris, p185

[3] : E.Beneveniste: problèmes de linguistique générale. Tome 11 ed 3, P80 lbid-:

فعل الاستعمال الفردي" [1] فلم تعد اللّغة لذاتها هي موضوع البحث اللّساني إذْ أصبح الاهتمام منصبّا ًعلى التّلفظ وما يستتبعه إنّنا في العمليّة التّلفظيّة نأخذ بعين الاعتبار، على التّوالي، الحدث نفسه، والسّياق المقامي الذي يتحقّق فيه، وآليات إتمامه. إنّنا مع *Benveniste* نمرّ من لسانيّات اللّغة إلى لسانيّات التلّفظ، ثمّ إنّ هذا يحدّد مؤشّرات العبور إلى لسانيّات تداوليّة.

إنّ الفعل اللّغوي اكتسب خاصيّته الجوهريّة التي جعلت منه وحدة التّواصل الأساسيّة. ثمّ إنّ الفعل اللّغوي من حيث الإنتاج يعتبر مساهمة في مشروع شامل للتّواصل يدشّنه المتكلّم، هذا الذي ينظّم ما هو جاهز داخل قدراته التّواصلية، وبما يتوافق مع نظام العلاقات الاجتماعية، وبما يتيحه هذا النّظام من حريّات ويفرضه من قيود وإرغامات. وعليه فإنّ أيّ إنتاج أو تحقيق ناجع للفعل يجب أن يعتمد على مجموع التّعاقدات والمرجعيات الاجتماعية.

ولعلّ فكرة التّعاقد، تقتضي أن يكون للأفراد المنتمين لنفس جماعة الفعل الاجتماعي، قابليّةً للتّفاهم حول العروض اللّغوية الممكنة لهذا الفعل. بحيث إذا ترتّب عن التّعاقد اشتراك في المعارف، فإنّ شرط نجاح الفعل اللّغوي يكون مضموناً. وهذا يثبت للفعل اللّغوي الخاصّية التي تجعل منه مؤسّساتياً ومن ثمّ يصبح سلوكاً منظّما ًتحكمه القواعد وتوجّهه المبادئ المتعارف عليها.وبالتالي يصبح مقيّداً وليس حرّاً.

---

* *benvenist* بنفنيست أسهم في بناء التيار الوظيفي في اللّسانيات البنيوية الفرنسية، له سيميولوجيا اللّغة (1961)، مشكلات اللّسانيات العامة، اقترح نظرية الجذر الثلاثي صامت – صائت –صامت الذي اعتبره أساساً تنتج عنه تفرعات كثيرة، ناقش نظرية دي سوسير حول اعتباطية الاشارة، من أشهر كتبه: "مسائل في الألسنية العامة"، سنة1976.

وباعتبار ما سبق، نعتبر أنّ الفعل اللّغوي هو فعل قصدي، أنّنا لا نتكلّم لأجل لاشيء، وأنّنا نتكلّم بالضّبط لأجل غايات وأهداف محدّدة فالفعل اللّغوي يمثّل سلوكا ًمقصودًا وفق استراتيجيات محدّدة تخول للمتكلّم إخراج مقاصده بالطريقة التي تمكّن المخاطَب من إدراك تلك المقاصد فحين نتكلّم نستوعب التّعاقد والمواضعة من جهة، ومن جهة أخرى نحرص على نجاح تأثير ما نعتمده من إستراتيجيّات[1]. فما العوامل التي تضمن نجاح ذلك؟.

إذا كان إدراك المقاصد عموماً يتوقّف على مدى انسجام المتكلّم مع السّياق والسّياق المقامي بشكل عام، وعلى مدى انتباه المخاطب لهذا الانسجام، فان هذا نفسه هو ما يتوقّف عليه نجاح تمرير القصد الإنجازي، وهو ما يتوقّف عليه نجاح الفعل اللّغوي. فإذا كانت الجملة الواحدة يمكن أن تستعمل لإنّجاز الأخبار أو الإنّكار أو التّوبيخ..." فانه يجب أن نعرف ليس للجملة فحسب، بل المقام المستعمل فيه لمعرفة ما ينجزه متلفظها بها من فعل."[1] ومن هنا ندرك أهميّة السّياق المقالي والمقامي وعلى هذا الأساس فالفعل اللّغوي ينتج عن تحقيق الحدث *L acation_* وأنّه فعل قصدي — *I Ntentionnel*–. وأنّه فعل خاضع للمواظبة والتّعاقد–*Conventionnel*–. وأنّه ذو طبيعة سياقيّة ومقاميّه–*Cotextuelle et Contextelle*–.

لقد سار **J.L AUSTIN** إلى أنّ الفعل اللّغوي يمثل وحدة مركبة من ثلاث عناصر فعليّة مرتبطة فيما بينها ولا يمكن فصل بعضها عن بعض إلاّ إجرائيّا، وهذه العناصر هي:

- الفعل الكلامي —*L'acte Locutoire*–

[1]. *J. Moeschler: Argumentation et conversation. Ed- HATIER PARIS, 1985p: 24-25.*

•الفعل الإنجازي– *Lacte Illocutoire*–

•الفعل التأثيري –*L'acte Perlocutoire*–

•بأي وجه يكون مجرّد القول فعلاً؟

•بأيّ وجه نكون منجزين لفعل ما بقولنا لشيء ما؟

•بأي وجه يمكن أن نفعل شيئا ما بتأثير ما ننجز بما نقول؟

الملفوظ (التلفظ) وعلاقته بتحليل الخطاب :

هناك من يعتبر أنّ الخطاب ما هو إلاّ ملفوظ كبير، أو بالأحرى يمكن للملفوظ أن يكون أصغر وحدة لغويّة، حيث نجد أنّ بنفنست *Benveniste* يعرف الخطاب باعتباره الملفوظ منظورا ًإليه من وجهة آليات وعمليات استغلاله في التّواصل. والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما، وهذا الفعل هو عمليّة التّلفظ، حيث يجد الخطاب متّسعاً في التّأويل" كل تلفّظ يفترض متكلّماً ومستمعاً وعند الأوّل هدف التّأثير على الثاني بطريقة ما"[1]. وهنا نجد أنّ معنى الخطاب يشمل الملفوظ وعملية التّلفظ على حدٍّ سواء وأنّ لِعمليةِ التّلفظ أو الملفوظيّة مرجعيّات يُشارُ إليها من داخل الملفوظ وتتمثّل في: المتحدّث، والمخاطب والبيئة الزّمانيّة والمكانيّة للملفوظية، أمّا مرجعيّة الملفوظ فيمكن تعريفها بأنّها" علامات تحيل إلى ملفوظيّاتها. ويقال أحياناً أنّها تفترض وجود متحدّث ومخاطب وهي تتموضع في الزّمن عند لحظة محدّدة " . [2]

[1] - *Voir : Emile Benveniste . Problémes de Linguistique Générale . P . P 241.244.*

[2]– الملفوظية، جان سيرفوني، ترجمت: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، د ط، ت: 1998 ص27.

إن لسانيّات التّلفظ تقوم على هدف وصف العلاقات التي تنسج بين الملفوظ ومختلف العلاقات المكوّنة للإطار التّلفظي، عندئذ تستعين لسانيّات التّلفّظ وتتداخل مع تحليل الخطاب. وذلك بالنّظر إلى: محركات الخطاب (المرسِل والمرسَل إليه)، والمرسِل هنا هو المتكلّم الذي يحتلّ " مكانة هامّة في لسانيّات التلّفظ حتى أنّه دُعي بمتكلّم صانع الأقوال *Locuteur – Scriipteur*، يتداخل في الخطاب كبعد في إطار شروط معيّنة لتحقيقها ، وبحاجة إلى مستمع يتحوّل بدوره إلى متكلّم بفعل خاصّية التّناظر، أحيانا ما يكون هو المتكلّم ذاته".[1] سياق التّواصل، أو سياق العملية التّخاطبية (الظروف المحيطة بالعملية التّخاطبية). الظّروف الزّمانية والمكانية. **الشّروط العامة لإنتاج/ تلقي الرّسالة : طبيعة القناة، سياق اجتماعي، تاريخي، ...إلخ** .[2]، حيث يصبح أخذ الملّفوظية بعين الاعتبار أمرا أساسيا في تحليل الخطاب.

ومن هنا، تتحول الغاية من التحليل هي الوقوف على بصمات الخطاب المنقول التي تسمح بمقابلة مختلف الأوضاع أو لتشخيص أنواع الخطاب. فمن وجهة نظر الخطاب Discours، تُؤخذ الملفوظيّة بالأساس في ما بين الخطاب، وتعود " إلى طرح الحدود بين ما هو منتقى ومحدّد شيئاً فشيئاً وما هو مطروح أيضا، يوجد مرسوم ضمن مجال كل ما يتعارض مع ما قاله الفاعل".[3] فالملفوظيّة تتحدّد بين تصوّر خطابي وتصوّر لساني في نمط السّياق وتعدّد الأبعاد الاجتماعية والنّفسية إلاّ أنّ الملفوظية يمكن أن تتأمّل في الإطار اللّساني المحض كجملة من العمليات المكونة للملفوظ .

---

[1]– لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، مرجع سابق، ص 88.

[2] – *kerbrat . Orecchioni ، l'énonciation ، de la Subjectivité dans la Langue ، Paris Armand colin ، PP . 30 .31 .*

[1]– *Patrick Charaudeaux et Dominique Maingueneau ، Dictionnaire D'analyse du Discours . P 231 .*

وما هي في الأخير سوى نظريّة تتناول بالدّراسة بعض العناصر اللّغوية التي لا تعرف دلالتها المرجعية إلاّ من خلال السّياق، وتمثّل آلية وعمليّة تحوّل اللّغة إلى الخطاب، تتحقّق بتوافر ضمائر الشّخص الزّمان المكان (هنا و الآن)، عناصر لا تحيل إلى شيء في العالم ولا على أحوال موضوعية في الزّمان والمكان، ولكن تحيل إلى آنية الخطاب الذي ترد فيه، "تمكّن المتكلّم من إسناد اللّغة لصالحه بمجرد نطقه بلفظة "**أنا**" وتنصيبه شخصا آخر أمامه يمثل مخاطبة ". [1]

يعتبر "**بنفنيست**" الضمائر وعاء المصطلحات أنا، أنت، هو، وكلّ أنا له مرجع خاصّ به، يقول: كلّ مرجع استعمل لاسم يرجع إلى فكرة ثابتة وموضوعيّة قادرة على أن تبقى وهميّة افتراضية أو تحدث مع موضوع مفرد. ثمّ يصل إلى تعريف الضّمير (أنا). فيقول : هو الشّخص الذي يتلفّظ حاليّا ووعاء الخطاب اللّساني أنا ينتج عن ذلك.. أي ينتج عن مرجعية الخطاب ويعرف الضمير أنت بقوله:"هو الشخص المخاطَب في الزّمن الحاضر ويرجع للخطاب. "[2]

تظهر معالم التلّفظ في الملفوظ، فكما أنّ كل فعل أو حدث يشهد عليه أثره، فكذلك الملفوظ يمثّل الشاهد الحقيقي على التّلفظ. وتظهر معالم القول والمقول أو

---

[1]- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج مرجع سابق، ص : 87 – 88

[2] *: Benveniste E, Problème de linguistique générale Paris ,Ed Gallimard,1966*

التلّفظ والملفوظ أو الخطاب أو التّخاطب واضحة، إذ يكون الأول هو العملية أو الحدث الذي بموجبه يتم تحقيق اللّسانيات تحقيقاً فعلياً، في حين يكون الملفوظ أو المقول أو التّخاطب هو حاصل هذه العملية.

وههنا، يمكن أن نقف على اشتباه آخر بين مصطلح **فعل التلّفظ** ومصطلح **فعل القول** فكلاهما استعمل كذلك لمقابلة المصطلح *Acte D'énonciation*. فحين نجد فعل القول قد استعمل كذلك لمقابلة *L'acte de Dire* وأيضا لمقابلة *L'acte Locutoire* وبهذا فان الأمر يشتبه على مصطلح **فعل القول***[1]، إذ يستعمل ولا ندري أي مصطلح من الثلاثة يراد به.

وإذا كان مصطلح فعل التّلفظ قد استعمل خالصاً لمقابلة*l'acte D'énonciation* فسنجعله خالصا ًله، وسنعْدُل عن مقابلة ب فعل القول حتّى يتسنّى لنا تخصيص فعل القول لمقابلة *L'acte de Dire*. أمّا مصطلح *L'acte Locutoire* فسنجعل له مقابل في الفعل الكلامي كما سنرى في العلاقة الوطيدة بين التّلفظ والفعل الكلامي ؛ لأنّ كل فعل كلامي يستلزم تلفظا ًإلى جانب الملفوظ مثلما لا يمكن تصوّر الملفوظ بمعزل عن فعل الكلام .

* : الكلام يعني القول ، ويتمثل فيما يتلفظ به المتحدث سواء كان الكلام أو القول حرفا أو جملة ، أو هو كل لفظ نطق به الإنّسان أفاد أو لم يفد ، فإذا كان الكلام أو القول مرادفا للجملة في نظر " إبن الجن " فان من منظور التداولية يختلف عن الجملة (المسند والمسند إليه) ، وهو ما يحدده أيميل بينفينست E.Benveniste القول على انه ذلك الفعل الناتج ضمن ظروف وأحوال سياقية وحتى يعالج لا بد من دراسة تلك الأحوال التي شكلته ، واعتبار القول أعم من الجملة، يقتضي ان تكون دلالة القول متجاوزة لدلالة الجملة " (ينظر ليسانيات التلفظ وتداولية ،ذهبية حمو الحاج ، الخطاب،ص: 128).

وللإشارة، فإنّ ما قد يحصل من خلط في الاصطلاح يمكن أن يعزى إلى تماهي المفاهيم التي تختلف عليها هذه المصطلحات، إذ قد لا تجد فرقا ًواضحاً بين مفهوم" فعل القول ومفهوم فعل التلّفظ،ويبقى ما يشبه التّمايز حين يتعلق الأمر بـ **الفعل الكلامي– Acte Loctoire–** كما حدّدته نظريّة الفعل الكلامي. والفرق بين هذه المفاهيم، يرجع إلى نوع من التّجريد النّظري حيث إنّ كلّ نظرية . إن لم نقل كل منظّر. تحتاج فضلا عن تحديد موضوعها ومنهجها إلى تحديد مفاهيمها وتجريد مصطلحاتها الخاصّة.

ووفق هذا المعطى، يتمثل الإطار الذي من خلاله نشتغل إلى الإطار ذاته الذي يحدّد نوعية المصطلح الذي تستعمل، ثمّ إن استخدامك لاصطلاح "فعل التلّفظ" إلاّ التزاماً بنظريّة الفعل. هذه النّظرية التي نطمح إلى معالجة الظاهرة على هديها. والوقوف على تطبيقاتها على خُطَب الشيخ البشير الإبراهيمي.

الملفوظية وإستراتيجية الحجاج : *Argumentation*:

للوقوف على علاقة تحليل الخطاب بالنّظرية الحجاجيّة يتعيّن الوقوف عند المحطّات الأساسيّة في النّظرية الحجاجيّة، ومن أبرزها ارتباط الحجاج بالبرهان والإقناع، والحجّة.

ويتعالق الخطاب مع **الحجاج**. *حيث إنّ تحليل الخطاب يبحث عن البرهان خلف الخطاب الذي يؤدي بمؤلف الخطاب إلى إقناع المتلقّي بطريقة أو بأخرى وفق إستراتيجية الإقناع التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحجاج.

ونعتبر "بيرلمان *Perlman*"، و"شارودو *P.Charaudeau*" و"دومنيك مونقانو *D. Maingueneau*"، ممن أسّس لنظرية الحجاج *Argumentation* في محالة لإعادة تأسيس البرهان أو المحاججة الاستدلاليّة وفق المفهوم المنطقي الواسع المرتبط تقليديّا بنظريّة العمليات الذّهنية الثلاث: التّصور والحكم والبرهان. فعن طريق التّصور يدرك العقل فكرة الموضوع، وعن طريق الحكم يؤكد أو ينفي شيء ما عن هذه الفكرة، لأجل الوصول إلى إثبات (الإنّسان كائن يموت) .

كما أنه عن طريق البرهان، يربط بين الأحكام بطريقة ترقى من المعلوم إلى المجهول"يتوافق الحجاج أيضا على المستوى التّخاطبي مع البرهان على المستوى المعرفي."[1] ويتجلّى لنا الارتباط القوي بين الحجاج والبرهان، فلا حجاج بلا برهان ولا

---

*ورد في لسان العرب لإبن منظور في مادة (ح ج ج) ما يأتي : " حجج : الحج ، الفصد ، حج فلإنّ إلينا أي قدم ، وحجه يحجه حجا قصده وحججت فلإنّ وإعتمدته أي قصدته (.....) يقال : حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته الحجج التي أدليت بها (.....) والحجة البرهان ، وقيل الحجة ما دفع به الخصم (.....) وحاجه محاجة وحجاجا : نازعه الحجة : (ابن منظور لسان العرب ، مج : 3(ح) ، ص : 52 – 53 – 54) ورد في قوله تعالى : من سورة الإنّعام ﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ.﴾ الأية 149.

﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ ان يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ الأية 80 من سورة الإنّعام .

[1] - *Patrick Charaudeau et Deminique Maingueneau Dictionnair D'analyse du Discours P.66*

برهان بلا حجاج. وقد صنفه د.طه عبد الرحمان–إلى: الحجاج التجريدي، والحجاج التّوجيهي، والحجاج التقويمي .

وللحجاج تقنيات لابدّ من توافرها في الخطاب هي تقنيات طرق الوصل، وتقنيات طرق الفصل ويقصد بالأولى "ما يتمّ به فهم الخطب التي تقرّب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا ًأو إيجاباً وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعدّ كلّ واحداً، أو على الأقل مجموعة متّحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها " [1] .

والخطاب الحجاجي يتميّز بطريقة . داخل خطابيّة *Intrdiscurive* بمختلف الأشكال البنيوية وبطرق خارج خطابيّة *Extradiscoursive* بالأثر الأدائي الذي كان مرتبطا بالإقناع، لقد وضع هذا الأثر في المستوى الأوّل من خلال التّعريف انيوكلاسيك New *Classic* لبيرلمان *Perlman* و"تيتيكا *Tytica*" لأجل أن يكون موضوع النّظرية الحجاجية هو "دراسة التّقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة أو التّنمية التحام العقول مع الفرضيّات التي نقدّمها لقبولها"[2]. فإذا توفّرت معايير الحجاج في الخطاب قلنا أنّه خطاب حجاجي معاييره أربعة :

---

[1] إستراتيجية الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط: 01، ت: 2004، ص 476 .

[2]: ينظر: اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط:01، ت1998، ص 227، 228 .

. الانسجام النصّي : *Cohérence Textuelle* .

. الفعاليّة : *L'efficacité*.

. الحقائقية : *La Véridiction* .

. الاستقامة الأخلاقية : *La Rectitude éthique* .

وهذا معناه أنّ كل من العلاقة التّخاطبية والقيمة الإبلاغية تصبّان في مجال الإقناع والاقتناع بملفوظ ما، وهو الذي تعني به النظرية الحجاجية.

الفصل الثاني

تحليل الخطاب ونظرية الأفعال الكلامية

التحليل التّداولي للخطاب

يأتي اهتمام الباحثين بموضوع الخطاب، في مختلف مجالات المعرفة فهو يقوم على إستراتجية تظلّ مفتوحة على تأويلات كثيرة في إطار المرجعية الثقافية، كما أصبح هذا المصطلح محور التقاء دراسات مختلفة مثل: اللّسانية الاجتماعية *Sociolinguistes*، واللّسانيةالنفسية*Psycholinguistes*، وفلسفة اللّغة *Philosophcollinguisties*، واللّسانية الاحصائية *Computional Linguistes*،" فقد كانت نتائج الدراسات التي تناولت تحليل الخطاب لبنة أساسية لبداية التحليل التداولي للخطاب."[1]

وعليه سنحاول بحث علاقة تحليل الخطاب باللّسانيات التداولية في إطار الأفعال الكلامية، ضمن الدّراسات اللّغوية الحديثة.حيث يمكننا أن نتناول اللّغة بين "جانبين هما: الدرس والاستعمال، فأما الدرس فقد سعى إلى الكشف عن تكوين كل لغة بواسطة النظر في عناصرها على مستوى الجملة وما دونها نظرا تحليليًا يعتمد على التبويب والتصنيف والتأصيل، وغير ذلك من الظواهر التي تقوم على الافتراض لا على الواقع النطقي. "[2] وإن البحث في العناصر اللّغوية التي تحكم المشكلة للخطاب وعلاقتها في ما بينها وفق ما تقتضيه، فللمتكلم من الأغراض ما لا يتفق أحيانا مع

[1]- عندما نتواصل نغيّر مقاربة تداولية معرفية لآلية التواصل والحجاج، عبد السّلام عشير، افريقيا الشرق، المغرب، دط، ت: 2006، ص61.

[2]- النص والخطاب والاجراء :روبرت دي يوحرائد، ترجمة تمّام حسان، عالم الكتب-مصر -القاهرة. ط01، ت1918ه 1998م.

المحافظة على القواعد، وهي التي تدعو إلى الانزياح عن الحقيقة إلى المجاز، ومن المطابقة إلى الترخيص في معايير الإجراء بوسائل متنوعة على نحو النقل والحذف والزيادة ومخالفة القاعدة والتعويل على الدلالات الصوتية والعقلية والتقديم والتأخير والإيماءات الحسية والتعويل على دلالة الموقف أثناء الاتصال وعلى القرائن التاريخية والجغرافية وغيرها مما يخرج في مجال دراسة القواعد النحوية 63

ويعود الاهتمام بتحليل الخطاب انطلاقا من مسألتين: أولهما توسيع حدود الوصف اللّساني إلى ما هو خارج الجملة، وقد عّرف الخطاب على أنّه ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة مغلقة يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية يجعلنا نظل على مجال لساني محض64

وما دام اللّسانيات هي أداة نعبر عنها بواسطة الخطاب، فالجملة تنتمي إلى الخطاب، بل هي وحدة الخطاب، وهناك من يعتبر الخطاب ملفوظ كبير، كما يمكن للملفوظ أن يكون أصغر وحدة لغوية يمكن أن يكون هو الخطاب ذاته بل ويتجاوزه، وتجد أنّ **بنفست**[65] **Beniveniste** يعرف الخطاب باعتباره منظورا إليه من جهة آليات وعملية انتقاله في التواصل والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنّتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين وهذا الفعل هو عملية التلّفظ.وبمعنى آخر الخطاب عنده أكثر اتساعا.

---

[1]- ينظر: روبرت دي يوحرائد، النص والخطاب والاجراء، مرجع سابق، ص14

[2]- المرجع نفسه ص116

[65]- إميل بنفنست *Emille Benveneniste*: فيلسوف أمريكي (1913_1988) من أهمّ فلاسفة اللّغة ممن كان أثر كبير في توجيه الدرس الفلسفي للمعنى وكيفية تشكله من اللّغة انطلاقاً من فهم آليات المحادثة، صاغ نظريته في الدلالة القصدية من خلال محاضرته الشهيرة (محاضرات وليم جيمس) *William Jenmes Lectures*

وهنا، تجد معنى الخطاب يشمل الملفوظ وعملية التلّفظ على حد سواء بين متكلم ومستمع، الأول هدفه التأثير على الثاني بطريقة ما.في ظل مرجعية التلّفظ التي تعني اللّسانيات وهو الإطار الحامل للموروث من أجل نجاح عملية التواصل بين قطبي عملية الاتصال (المتكلم و المتلقي)، أو المرسِل والمرسل إليه وهما محركات الخطاب، فالمرسل هنا هو المتكلم الذي يحتل مكانة هامه في لسانيات التلّفظ حتى أنّه يسمي بتكلم مانع الأقوال، يتخل في الخطاب كبعد في شروط معينة لتحقيقها، وبحاجه إلى مستمع يتحول بدوره إلى متكلم بفعل خاصية التناظر، أحياناً ما يكون هو المتكلم ذاته.

ويفترض مسبقا أيضا في تحليل الخطاب علاقة بنظرية الأقوال الكلامية، وذلك لأن الباحثين في مجال تحليل الخطاب يستعينون بكل ما له علاقة بالتحليل اللّغوي، بما في ذلك نظرية الأفعال الكلامية. ويستمد الخطاب قوته من تقنيات تجعله متجانس مع المخاطبين والشرط الأساسي فيها هي معرفة مستوى المخاطبين، وأُمرنا أنّ نخاطب النّاس حسب عقولهم، وأن لا نفتنهم بكلام يصعب فهمه.

إنّ التأثير والتلقي مسألة كائنة منذ أن وُجد الكلام والتواصل بين البشر، فالكلام هو الوسيلة التي يؤثر بها الإنّسان على الغير ويتأثر بها أيضا، وإما أن يتخاطب المرء مع غيره، حيث يوجه كلاما إلى الغير، وانتظار ردّة فعله، فلا يمكن تصور حياة إنسان بدون كلام (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أنبئوني بِأَسْمَاء هَؤُلاء[66])البقرة 31. (وَقُلْ لَهُمْ فِي أنفسهم قَوْلًا بَلِيغًا[67]). بحيث هو الوحيد الذي يخرجه من عالم الساكن المجهول إلى عالم الحيوية والتجلي" ويُعرف بعلم جمال التلقي".[68]

لا شكّ أنّ من أهمّ أهداف الخطيب التأثير على الجمهور، فهو يسعى جاهداً الوصول إلى قلوب النّاس ويخاطبهم حسب عقولهم ويقول لهم في أنفسهم القول البليغ، فيستميلهم ويأسر قلوبهم ونفوسهم وأحاسيسهم و يختار ما يناسب انفعالهم، وخاصّة إذا كان الخطيب صاحب رسالة ومشروع، فإنّه يتجاوز حدود التأثير إلى محاولة إحداث التغيير في الفهم و السلوك عبر سلاح الكلمة قال تعالى: (أَلمْ تَرَ

---

[66]- سورة البقرة، الآية 31

[67]-سورة النساء، الآية63

[68]-التأثير أو الواقع هو مفهوم أطلقه الشكلانّيون الروس ومن بعدهم أعضاء حلقة براغ فصار يُعرف فيما بعد بعلم جمال التلقّي وبدايات الشكلانّيين الروس كانت علم 1914 حينما نشر **فيكتور شكلوفسكي** مقالته عن الشعر المستقبلي "انبعاث الكلمة" أما نهايتها التي نجمت عن ضغط سياسي خارجي فتحدد بالتراجع العلّني الذي نشره شلوفسكي في كانون الثاني (جانفي) 1930، غير ان الحركة كانت في الحقيقة هدفا لهجوم متواصل منذ 1923 حينما كرّس تروتسكي فصلا من كتابه، الأدب والثورة لنقد "الشكلانّية" إن جيفرسون- ديفيد روبي، النظرية الأدبية الحديثة، ترجمة: سمير مسعود، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، دط، ت: 1992، ص: 32.

كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي اكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بإذن رَبِّهَا[69]).

فنظرية الأفعال الكلامية لا يكتمل وجودها بعد الفعل اللّفظي والإنجازي الاّ بوجود الفعل التأثيري، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بهما أي: بالفعل اللّفظي والإنجازي، ولما كانت اللّسانيات التداولية تهتمّ بدراسة اللّغة العادية، فقد تم التركيز على الفعل الإنجازي والقوّة الإنجازية له، وكان الفعل التأثيري من التحصيل الحاصل له، وذلك نظرا لطبيعة الأمثلة والصياغة، وإسقاط فقه اللّغة على فقه الواقع، قصد تحديد القوّة الإنجازية للأفعال الكلامية في مدوّنة خُطب الشيخ البشير الإبراهيمي التي كان يشدّ بها انتباه المستمع، ويبرز الأغراض بما يتلاءم وطبيعة الموضوع، والعصر وقضاياه فهو يخاطب المستمع بما أوتي من قوّة إبداعيّة وتحكّم بالغ في اللّغة وصور بلاغية، وتناسق منطقي للخطاب مستعملا الحُجَج من أجل التأثير على المتلقي حتى وان اختلفت مشاربه.

إن ذوق المتلقّي وتكوينه المعرفي ومعرفته بقُدُرات الخطيب، ومدى اهتمامه بالموضوع الذي يُفترض أن يتناول الإنّسان والزمان والمكان والعمق الحضاري، كلّ ذلك يلعب دورا هامّا في مستوى ونوعية المتلقي؛ لأن عملية التلقي والمتابعة تتم على مستوى الانّفعال، الفكري والحسي المضمون، الشكل الجمالي أو مستوى الأداء، وهي التي تحدد مستوى المتعة وطبيعتها وفق ذوق عال ومن ناحية ثانية هناك عوامل أخرى تلعب دورًا في التلقي منها ما هو موضوعي وذاتي وفي الواقع فإنّ المهمَ في عملية التلقي هو ردةَ الفعل التي يقوم بها المستمع، باعتبار الاستماع حس حضاري

[69]–سورة ابراهيم، الآية24

راق فمثلما تكون متكلم جيد يجب أن تكون مستمع جيد، وبهذا أصبح الانّشغال بالجمهور والقراءة والتلقي والاستجابة والتأثير والتأويل أمراً مركزياً في النقد المعاصر.

لقد قام "**وايترايش**" بدراسة عنيت بالزمن في الخطابات المختلفة، وخلُص إلى نتيجة مفادها " أنّ الخطاب الشديد يتبدى وهو يلفت انتباه المتلقي، إنّه الخطاب الذي يشدّ السامع أمّا الخطاب الهادىء فهو الخطاب الذي لا يفعل شيء للفت الانتباه"[70]. وهو الرأي ذاته الذي نستشفه من قول مصطفي صادق الرّافعي " ألا ليت المنابر الإسلامية لا يخطب عليها إلا رجال فيهم أرواح المدافع، لا رجال في أيديهم سيوف من خشب"[71]. ويمكن تحديد السمات المختلفة للتفاعل الحواري، حسب فانديك vandijk كالآتي:

. تتابع أفعال الكلام.

. فئات المشاركين في التفاعل واسهاماتهم الممكنة.

. الموقف الاجتماعي (خاصَ، عام ً، مؤسساتي....).

. درجة التشكيل المعرفي (المعياري).

. الهدف الاجتماعي للتفاعل.

. الأعراف (القواعد، المعايير، الاستعلامات.... الخ) [72].

إن الفهم والتأويل شرطان للتأثير والتأثر في إحداث الفعل التأثيري، فقد انتهى **فاين ديك Vin Dijk** إلى إنّ النّص أو الخطاب يعتبر تتويجا لدراسات سياقية تبدأ بالسَياق التداولي، فالسَياق المعرفي ثم السياق الاجتماعي النفسي، وأخيراً السياق الاجتماعي الثقافي، وربط كل دراسة سياقية بهدف له علاقة بالنّص الأدبي. ثم

---

[70] – الانسجام والاتساق في القران، ينظر مفتاح بن عروس، ، ص: 147.

[71]- وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، ج1 المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص23.

[72] . علم النص . مدخل متداخل الاختصاصات ، تون فاين ديك *ton vin dijh*، ترجمت وتعلين: سعيد حسن بحيري، ص: 371.

بالنّص كفعل لغوي، ثم بعملية فهمه، وتأثيره، وأخيراً تفاعلاً مع المؤسسة الاجتماعية .

فحينما يستقبل المتلقي قولا ما، فإنّه يشرع في تأويله على ضوء ما يملك من معطيات ويصبح ما توصل إليه، من فرضيات سياقًا يستقبل فيه القول اللاحق "وتتحول مجموعة من الفرضيات الموجودة في ذاكرة الجهاز الاستنتاجي التي لم تلعب دورا في تأويل القول السابق إلى ذاكرة عامة قصيرة المدى." [73] والتأويل بوصفه جزء من عملية الاستقبال هو عملية تتخطى مجرد تفكيك الرموز للبحث عن المعنى.

فقد دلّت التجربة أنّ التأويل والتفسير يمكن أن يمثّلا قراءة متكاملة تتم على مستويات متعددة وتأخذ أبعادًا منها السياسي والنفسي والاجتماعي. ويظل مجال التأويل للخطاب المجال الأهم لعملية التأويل فعملية تلقي الخطاب المكون من مجموعة منظمة للعلّامات تكون مفتوحة دائما على احتمالات متعددة تربط الخطاب بما هو أبعد منه؛ أي بالعالم الخارجي.

فالعملية التفسيرية للخطاب تتداخل فيها عوامل نفسية منها وضع المخَاطبين المستقبلين للنّص وخبرتهم وخلفيتهم الثقافية والمعرفية بغية الوصول إلى المعنى الشامل وهذا يستدعي الحضور العلّمي الثقافي لتشفير مفاتيح النّص والفعل التأثيري من خلال الخطاب يجب أن يرتبط بالقصد ونية المخاطب[74] فالقول يشير إلى تلك التأثيرات وردود الأفعال التي يمكن أن يحدثها الفعل الإنجازي في المتلقي، في أفكاره ومشاعره وحتى مِزاجه ولذلك تجد القرآن الكريم يحث الرسول صلى الله عليه وسلم أن

---

[73]– الانسجام والاتساق في القران، مفتاح بن عروس، ص: 188.

[74]. " النية تتقلب في القلب كما يتقلب الماء في القدر إذا استجمع غليانا. " حديث

يقول للمشركين قولاً بليغًا قال تعالى: (أولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فاعْرِض عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا[75]).

إنّ ربط الأفعال الكلامية لتحليل الخطاب يساعد كثيرا في إبرازه، ويجعله دائما منفتحا على التأويل الذي لا يمكن حصره في مجال ضيق، ويمكن أن يثير إنجاز فعل الإخباريات مثلا بلغة **سيرل *Searle***، *أو فعل تقريري بلغة **أوستين *Austin*** ومن هنا يمكن اعتبار كلَ خطاب هو فعل كلامي شمولي، أو مجموعة من الأفعال الكلامية، ويحمل قوة إنجازية، وتأثيرية يراد بها تخصيص الخطاب، أو الحرص على تضمين الخطاب رسالة تواصلية معينة أو تأكيد الرسالة الإبلاغية.

وفي ضوء هذه المعطاة، تبقى العملية التأويلية غير مقدسة وغير مبخّسة لأنها إنسانية لا تتجرد من بشريتها العقلية والذاتية؛ لأنها موصولة بالمرجع والمصلحة والزمان والمكان والأمة لا يمكنها في إطار اللّسانيات الواحدة أن تظل مجتمعة حول معاقل الأصول ولا تتفرق وهي لا تعطل التأويل، قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِيَ انزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيات مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ امُّ الْكِتَابِ وَأخَرى مُتَشَابِهَاتٌ فأما الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تأويله وَمَا يَعْلَمُ تَأويلَهُ إلا اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العلّمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُواْ الأَلْبَابِ[76]).

---

[75]- سورة النساء، الآية63

*- جون روجز سيرل *Jhon Rogers Searle* فيلسوف أمريكي ولد سنة 1932 تلميذ أوستين وواحد من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين ينتمون إلى تيار الفلسفة التحليلية، كما انه من أبرز فلاسفة المدرسة التداولية اللّغوية التي ولدت في أحضان الفلسفة التحليلية، وينسب إليه وإلى جون أوستين وضع وتطوير ما يسمى (نظرية الأفعال الكلامية)، وقد كتب جون سارل في الفلسفة وإشكالاتها الرئيسية، فحاول تحليل العقل والشعور، كما كتب في المجتمع واللّغة والمعنى حتى تعددت محاولاته المعرفية، وقد إعتبر ان وحدة التواصل هي العمل اللّغوي، ومن أهم مؤلفاته:

[76]- سورة آل عمران، الآية7.

الفعل الكلامي

عندما نصدر عبارة ما، ألسنا فاعلين لشيء ما؟ ألا يمثل ذلك تصرّفاً عملياً ؟ أليس إصدار العبارة هو قولها أو النطق بها؟ وأنّ هذا النّطق متعلّق بالمفعوليّة، وأنّ التّصرف يحتاج إلى حدوث النّطق الذي يرتبط بنوع من الفعل طبعا. ويمكن توضيح ذلك في التّفريق بين من فعل ومن لم يفعل: فمن فعل هو من تكلّم، ومن لم يفعل هو من لم يتكلّم. فقد تكتفي بالتّفكير في الشيء دون أن تعبّر عمّا فكّرت فيه، وهذا يعني أنّك لم تحقّق الفعل الكلامي. ولم تتجاوز التّفكير إلى التّعبير، فإنّك حينها تقوم بالفعل، والفعل الذي قمت به هو الفعل الكلامي.

ومن هنا، فإننا نخلص إلى" أنّ الفعل الكلامي يتمثّل في حصول الكلام عن المتكلّم".[77] إلاّ أنّ الفعل الكلامي لا يقف عند حدود السطحية التي قد يظهرها هذا التّحديد. إنّه فعل معقد وينسحب على تركيبة ثلاثية العناصر، هذه التركيبة هي:

. الفعل التّصويتي : *L'acte Phonetique*

. الفعل التّأليفي : *L'acte Phatique*

. الفعل الإحالي : *L'acte Rhétique*

[77] : *John. L. Austin, Quand dire c'est faire, trad. Gilles Lane, Edidtion du Seuil, 1970.*

الفعل التّصويتي:

يتمثّل في إصدار أصوات معيّنة من مخارج صوتيّة معلومة، ويمثّل هذا الفعل عنصراً من الفعل الكلامي، لأنّ الكلام يقتضي إحداث الأصوات. والتّدقيق إذا كان الفعل الكلامي يتمثّل في قول شيء ما، فإنّ قول شيء، معناه إحداث هذا الشّيء على الوجه الذي يضمن ثبوته في الواقع، ولعلّ التّصويت هو الذي يضمن ثبوت قول الشيء. وبهذا الفعل الكلامي في جانب منه على الفعل التّصويتي.

وإذا كان الفعل التّصويتي، يتمثل في إصدار الأصوات، والتّلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معيّنة، فان الفعل التّأليفي أو التّركيبي يتمثّل في إصدار متواليات الأصوات طبقًا لنظام تأليف هذه المتواليات، انه يتمثل في إحداث هذه المتواليات على الطريقة التي يسمح بها النظام الفونولوجي والتركيبي والمعجمي، طبقاً لقواعد معينة، ليشكل بذلك العنصر الثاني داخل الفعل الكلامي، وأما الفعل الإحالي "فإنّه يتمثل في مراعاة ارتباط الوحدات التأليفية بالمراجع الخارجية للدلالة على معاني مخصوصة."[78] حسب معان وإحالات محددة.

كان هذا مجرد فصل إجرائي للعناصر الفعلية التي يقوم عليها الفعل الكلامي، والثابت أن هذه العناصر ترتبط مع بعضها ارتباطاً وثيقاً لدرجة يصعب معها فصل عنصر عن آخر فصلاً تطبيقياً، إذن لاحظ أن الفعل الإحالي يتوقف على تحقيق الفعل التأليفي إلا بتحقيق **الفعل التصويتي**[79]. فهذه أفعال متلازمة يؤدي تحقيق واحد منها إلى تحقيق كلّها، وهذا التحقيق الكلّي هو ما يمثل تحقيق الفعل الكلامي. وعليه، فالفعل الكلامي يتمثل في قول شيء ما عن طريق التصويت وطبقا لنظام التركيب والدلالة.

78. Lbid P 109 – 110.
79. Lbid. P110.

الفعل الإنجازي:

هو فعل دالّ يتحقق بوجه عام إنجاز الفعل الذي تؤديه الصيغة التعبيرية الناتجة عن تحقيق الفعل الكلامي، عن قول ما بوظائف تؤديها تعبيرات لغوية في سياقات ومقامات معينة كالاستفهام أو الأخبار الأمر أو الوعد أو غيرها. فكلّما حققنا فعلاً كلامياً في سياق استعمالي معين، نكون منجزين للفعل، كأن نخبر أو نعد أو نتساءل ولا يتحقق ذلك إلاّ في حدود الدلالات المرجعية، التي تمثل القصد التداولي لأنها تبرز معالم الاستعمال اللّغوي لما تنطوي عليه من قوى إنجازية — *Forces Illocutoires*–.

الفعل التأثيري:

يظهر في واقع القول الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب، فأن نقول شيئا ما يترتب عنه عادة إحداث بعض الآثار في الأنّظمة المعرفية والعادات السلوكية، فإحداث التأثير بالقول هو مناط الفعل التأثيري؛ أي أنه يترك آثار معينة في الواقع، خصوصاً إذا كان فعلاً ناجحاً وهو الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي عندما نقول شيئا ما قد يترتب عليه حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته كأن أجعل المستمع يقتنع بشيء ما، أو اجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء. وقد يكون ذلك عن قصد أو عن غير قصد.

كما أن الفعل الإنجازي والتأثيري يستلزمان الاتفاق معاً. على مسألة العلاقة بين إدراكنا لشيء ما كما هو في الواقع، وكمعطى هناك sense إنّ المتكلّم يحقق وينجز ويؤثر عبر العملية التواصلية فعلاً أو عملاً تماما كما هو الحال في الأفعال غير

اللّغوية. " فلا وجود لملفوظ لاينجز فعل".[80] وبنفس التصور أصبحت اللّغة بعدما كانت مجرد أداة تمثيلية، وفضاءً تمارس فيه حيوية العناصر الإنجازية.

وفي ضوء هذه الطرح، تم صرف النظر في الدراسات التداولية عن الكلمة أو الجملة كوحدة تحليلية إلى وحدة الفعل باعتبارها الوحدة الأساسية الصغرى التي تقوم عليها العملية التواصلية فالفعل اللّغوي هو الوحدة الأولية للدلالة سواء في الاستعمال أو الفهم، فنخرج من التلّفظ إلى الفعل الخطابي وما يحيط به من سياقات ودلالات ومعان على معنى أن هناك محيطاً إنسانيا هو نسيج متصل من العلّاقات تتحدد داخل مواقف كلّية، تصبح فيها اللّغة أفعال تواصل ليست لها دلالات ولا إحالات مرجعية.فتطور عملية التواصل باللّغة ينتج عنها بالضرورة عادات وأعراف وعوائد واتفاقات ينبني عليها التواصل.

ولئن كان **أوستين** يشير إلى الرأي ذاته موظفا في ذلك مصطلح الاتفاق والمواضعة في التواصل، وأن المعطى المحسوس ينقل عن طريق أفعال الكلام من المتكلم إلى المخاطب، موكولٌ إلى المواضعة، فيها وحدها تتسع دائرة خصائص الأشياء عند الآخرين. من أجل تطوير مجال التفكير الإنّساني وملأ الهوة بين المعطى المحسوس والإدراك الحسي. فالتحليل لعلّاقة اللّغة بالإدراك الحسي هو الذي يؤدي إلى فهم التفكير المتطور من خلال إدراك المعاني والدلالات اللّغوية. فأوستين يرجع أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع، فعل كلام، وقوة فعل، ولازم فعل الكلام. وميز **أوستين** بين ضروب الوصف التي يقوم بها إزاء ذلك الشيء: نوعين من الأقوال:

الفعل الإخباري: *Actes constatifs* وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي وتكون صادقة أو كاذبة. وقد أطلق عليها اسم الأفعال التقريرية كونها أفعال تصف

80 - J Caron: Les régulations…P69

حالة معينة لشيء أو شخص. وقد جاءت بمصطلح الأساليب الخبرية عند **العلماء العرب القدامى**.[81] فالألفاظ الإخبارية لا تملك قيمة في الحقيقة المنطقية بالرغم من أنّها جمل إخبارية صريحة وهي تبدو من خلال تصوره للخواص الأساسية للجملة الإخبارية وأنكر **أوستين** إمكانية اعتبارها جمل صحيحة أو خاطئة وبرهن على أنّ طبيعة هذه الجمل انجازية تقترن بأداء عمل وتقصّي أوستين للأفعال الإخبارية قاده إلى نتيجة مفادها أن لِمثل هذه الأفعال جميعها وليس الإنشائية الإنجازية طبيعة الأداء. وقد تجاوز بذلك علم النطق التقليدي المحدود بالمعنى الإخباري إلى القول أن الفعل اللّغوي يؤلف في الوقت ذاته ثلاثة أنواع من الحدث .

حدث تعبيري: دال وهو فعل لفظ تعبير بدلالة ومعنى محددين ينضوي تحت علم الدلالة القائم على شروط الحقيقة .

حدث تأثيري: ويسمى فعل التأثير بالقول، أو الفعل الاستلزامي أو **الفعل بواسطة القول** [82]: ***Acte prelocutoire*** ويحصل حين يغير الفعل الإنجازي من خلال المتلقي بالتأثير عليه كان يرعبه أو يجعله ينفعل، أي انه الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع.[83] ويحدث ردّ فعل وتأثير لدى المتلقي، خارج تحريات المعنى واللّغة ؛لأنه يتعامل مع سبب اللّفظ معتمداً على عوامل نفسية واجتماعية ومادية خارجة عن نطاق إرادة المتكلم ولا يرتبط بذلك إلا جزئياً.

---

[81]- ينظر: المدارس اللّسانية أعلامها مبادئها، ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، عزوز أحمد: ، دار الأديب، للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص 237.238

[82] . " إذا كان الخطاب مرادفا للملفوظ أو القول، فانه في تحليلاته لا يقف عند حدود الجملة، ولكن يقتحم ورائها، وما بعدها أي الاهتمام بمختلف مستوياتها، وبذلك تنتقل من الجملة، ومن ميدان اللّغة كنظام من الأدلة إلى عالم تعتبر فيه اللّغة وسيلة للتواصل والعبارة هي الخطاب *l'expression est le discours* " (ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلّفظ وتداوليات الخطاب، ص: 138).

[83]- في اللّسانيات التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي: بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائرط1: ت:2009، ، ص 96-97.

حدث إنجازي أو إنشائي: أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات لتحقيق قصد المتكلم كما ذهب **أوستين** في كتابه" **كيف تفعل الأشياء بالكلمات**" **how to do things with words 1962**"[84] وتتلخص فكرته في أمرين يتمثل الأول في إقراره بأنّ كل قول يعبر عن عمل. وثانياً رفضه ثنائية جداول الحقيقة والخطأ، وأنّ الألفاظ الإخبارية لا تمتلك قيمة في الحقيقة المنطقية بالرغم أنها جمل إخبارية صريحة فهي في نظره تفتقد للخواص الأساسية للجملة الإخبارية

84. Austin J.L." how to do things with words"،oxford university (1962) Press.،oxford

تصنيف أوستين للأفعال الكلامية:

قدم أوستين تصنيفاً للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية:

الحكمية (أفعال الأحكام)Verdictifs : أو الإقرارية، وهي التي تعبر- كما يدل المصطلح- عن حكم يصدره محلف، أو محكمّ،أو حكم، ويختص هذا الصنف بكونه ناتجاً عن إصدار حكم في المحكمة سواء كان ذلك الحكم في هيئة قضائية أم من مُحكم تختاره الأطراف وليس من الضروري أن تكون أحكام نهائية أو نافذة، فقد تكون تقريرية أو ظنية. فهي تقوم على الإعلانّ عن حكم تأسس على البداهة مثل: "إخلاء الذمة، وعد، وصف..الخ".[85] وقد تكون القرارات نهائية،و يكون الحكم مثلا تقديرياً أو على صورة رأي أو تقييميّا. وفي جميع الصور يتعلق الأمر بإصدار حكم حول شيء ما، واقعيّاً كان أم قيمة، ولكن الشيء المحكوم فيه قد يكون لأسباب مختلفة غير متأكَّدة تمام التأكيد.

التمرسية: (أفعال القرارات) *Exersitifs* تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثل: أسس، قاد، ودافع عن، وترجى وطلب وتأسف، ويتعلّق هذا الصنف بممارسة السّلطة،والقانون، والنفوذ، وأمثلة ذلك التعيين في المناصب والانّتخابات وإصدار الأوامر التفسيرية في المذكّرات، وإعطاء التوجيهات التنفيذية القريبة من النّصح والتّحذير.

التكليف: (أفعال التعهّد) *Commissives* أو الوعدية، وتتمثل في تعهد المتكلّم بفعل شيء مثل: الوعد، الضمان، التعاقد، القَسَم، وقد يندرج في هذا الباب التصريح و إعلانّ النّية والقصد. ويدخل التصريح والقصد في الوعد، وهناك أمور أخرى تجتمع

---

[85]- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، (نحلة (محمود أحمد) دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2002. ص64.

تحت خطبة الزواج أو التواعد به، والمناصرة لرأي ومن الواضح أنّ هناك علاقات بين القرارات التشريعية والممارسات التشريعية.

العرضية: (أفعال الإيضاح) *Expositives* أو أفعال الإيضاح، وتستخدم لإيضاح وجهة نظر أوبيان رأي، لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات وضبط مراجع، مثل الاعتراض والتشكيك وإنكار، والموافقة، والتصويب. يقول أوستين Austin إن هذا الصنف هو أصعب الأصناف الأخرى تعريفا، ولكنّها تبيّن كيف أن العبارات المتلَفّظ بها تجري مجرى الاحتجاج و النّقاش كما تكشف كيف أننا نستخدم الألفاظ وبوجه عام، يصلُح هذا الصّنف لطريقة العرض، وأمثلة ذلك: أُجيب، وأحجُّ، وأعارض، ولكن ... وأُوضح، وأفترض، وأضع كمُسلّمة.

السلوكيات: (أفعال السلوك) *Behabitives* تكون ردّ فعل لحدث ما على نحو الاعتذار والشكر، المواساة، التهنئة، فهي تتعلق بردود فعل تجاه الآخرين، واتجاه الإحداث بهم وتختصّ بمجموعة منتشرة لا يمكن حصر أطرافها بسهولة، "ولكنّها كلّها تندرج تحت باب السلوك والأعراف المجتمعية وأمثلتها الاعتذارات، والتهاني، والتعازي، والقسم، وأنواع السّباب، و القذف، والتّحدي .." [86]

وعليه، يمكننا القول أن هذه النتائج الأوّليّة التي توصّل إليها **أوستين J. Austin** في الخمسينات "خضعت لدراسات نقدية مكثّفة شارك فيها فلاسفة اللّغة مثل: "ستراوسن Strawson" و"كوهن Cohen" بالإضافة إلى "سيرل J. Searle" الذي أخذت النظرية على يده شكلها القياسي النموذجي. وقد أثمرت هذه الدراسات

[86]– *J. L Austin، How to do things with words، P. 151.*

تأسيساً لموضوع الأفعال الكلاميّة يسهم فيه تارة فلاسفة اللّغة وتارة أخرى علماء اللّسانيات"[87].

يتضح مما سبق تناوله أن معالجة مسألة المعنى من خلال الدلاليّات العامة، وقوانينها الاستعمالية والتصورية، مسألة كلاسيكية، خاصة بلغة معينة، بل أصبحت معاصرة بكل أبعادها اللّسانية والفلسفية: الطبيعية والتجريبية، وبذلك تغدو مقاربة التداوليين المعاصرين وبالخصوص عند فلاسفة اللّغة ومنظري الحدث الكلامي في تصنيف الأفعال الإنجازية، والبحث في التعبير والمعنى وتقصي القصدية.

جون سيرل ونظرية الأفعال الكلامية :

يحتل "جون سيرل" John. Searle موقع الصدارة بين أتباع أوستين، ذلك لأنه صاحب الفضل في إعادة بناء نظرية أوستين وطوّر فيها بعدين من أبعادها الرئيسية هما: المقاصد والمواضعات، فقد وضع أسس منهجية جديدة، أعاد بها النظر في تصنيف أوستين، فارتكزت إعادته للتصانيف على عدد من المعايير أولها أن الفعل الإنجازي هو أصغر وحدة في الاتصال اللّغوي وأن القوّة الإنجازية دليلاً يسمى دليل القوّة الإنجازية. كما ميّز بين الفعل الإنجازي المباشر، حيث بين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلّم بنطقه للجملة، ويتمثل في نظام الجملة، النّبر، التنغيم، وعلامات الترقيم. كما أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مُراد المتكلم بل هو مرتبط أيضاً بالعرف اللّغوي والاجتماعي. وقد صنف الأفعال الكلامية على ثلاثة أسس منهجية:

[87]- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين، العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د ط، ت1994.

الغرض الإنجازي: أو الشرط التمهيدي، ويتحقق إذا كان المتكلم قادر على إنجاز الفعل، لكن لا يكون من الواضح عند كلّ من المتكلم والمخاطب أنّ الفعل المطلوب سينجز في المجرى المعتاد للأحداث أولا ينجز.

اتجاه المطابقة: ويتحقق حتى يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.

شرط الإخلاص: "ويتحقق حين يكون المتكلم مخلص في أداء الفعل فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنّه قادر على فعل ما لايستطيع "[88]

وقد جعل سيرل هذه الأفعال خمسة أصناف:

الاعلانيات التوكيدات Assertives: والهدف منها تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأن شيئا ما هو واقعة حقيقة. بصدق قضية ما إلتزام المتكلم بصحة محتوى أخبار معين كالإدعاء و الإعلانّ...

التوجيهات الإرشادية Directifs: وهدفها جعل المرسَل إليه يقوم بفعل شيئا ما ويحاول المرسل تحقيق هذا الهدف بدرجات مختلفة تتراوح بين اللّين وذلك بالإغراء أو الاقتراح أو النّصح وبين العنف والشدة وذلك بالإصرار على فعل الشيء. يرتكز الهدف الإنجازي لهذه الأفعال على العمل الذي يتكوّن من محاولات (بدرجات متفاوتة: إنّهم إذن على وجه التحديد محدّدات لما يمكن تحديده والذي يشتمل على فعل الاختبار) من جانب المتكلّم لفعل شيء ما من خلال المستمع، وهي ما يسعى المتكلّم فيها إلى القيام بأشياء للآخرين.

الأفعال الإلزامية Promessifs: غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، أي أنها تلزم المتكلم بفعل مستقبلي على نحو الوعد والقسم. لا يجد سيرل Searle في الإلتزاميات ما يضيفه عن تعريف أوستين Austin لأفعال التعهّد

[1]- ينظر، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر: نحلة محمود، ص47_48_94 واستراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية الشهر بن ظافر عبد الهادي، ص 158.

فهي أفعال إنجازية حيث يكون الهدف فيها هو إجبار المتكلّم على تبنّي تصرّف مستقبلي ثابت.

التعبيريات Expressifs: وهدفها التعبير عن حالة نفسية محددة بشرط عقد النية والصدق في محتوى الخطاب عن تلك الأمور المحددة مثل: (الشكر والاعتذار، والتهنئة). ففي التعبيرات نعبّر عن أحاسيسنا وواقعنا.

الإعلانّات Déclarations: يشمل الطابع التعريفي لهذا الصّنف على العمل الذي يتم إنجاز أحد أجزائه، يحث على وضع متطابق للمحتوى القضوي مع الواقع، يتمّ إتمام ضمان أنّ المحتوى القضوى الموافق للعالم فهي دعوة المتكلم إلى إحداث تغييرات في العالم بملفوظاته.

الإخباريات Assertifs: الهدف أو الغاية من قسم الإخباريات هو الارتباط بمسؤولية المتكلّم (بدرجات مختلفة) حول وجود حالة الأشياء، حول حقيقة الاقتراح المعبَّر عنه، فالإخباريات تخبر الآخرين كيف هي الأشياء و تصفها وهدفها جعل العالم يطابق الخطاب أي تنفيذها يؤدي تناظر بين المحتوى الإخباري والواقع. (على نحو تسمية المولود، أو تسمية سفينة). وقد جاءت أفكاره وآراءه مكمِلة ومطورة لما جاء به أستاذه بحديثه عن بعض المشاكل التي تغلب على نظرية الأفعال الكلامية، مثل الاستعارة، الخيال، الأفعال الكلامية غير المباشرة، فهي متعلقة بنظرية عامةً للمعنى.

كما أن تعالق فلسفة اللّغة مع فلسفة الفكر، وعلى وجه التحديد كيف تتأسس بعض خطوط أفعال الكلام على قصديه الفكر، بعده يتوجه إلى طرح إحدى الأسئلة الأكثر إلحاحاً في الفلسفة، على حد تعبيره، وهي كم توجد من طريقة لاستعمال اللّغة مما يستوجب إنشاء قائمة محددة للأصناف اللّغوية، فيتساءل **سيرل** .**J Searle** بدوره: لماذا يجب على اللّغة أن تكون أكثر تمرداً وخروجاً عن التصنيف؟

ويوضح **سيرل J. Searle** ذلك بأخذه للفعل الإنجازي (*Illocutoire*) كوحدة للتحليل، عندها يكتشف أن هناك خمسة طرق لاستعمال اللّغة، خمسة أصناف عامّة للأفعال الإنجازية، نوجزها في ما يلي:

الأفعال الإنجازية :

إخباريات: التقرير، الزعم، التنبؤ، الإيضاح، التشخيص، الوصف.

توجيهات:الطلب، الأمر، الرّجاء، الإرشاد، الدّعاء، العرض، الالتماس، النصح، التوصية، الاقتراح.

وعديات: الوعد، النذر، العهد، التهديد، الرهان، العقد، الضمان.

تعبيريات: الشكر، التهنئة، الاعتذار، التعزية، الشكوى، الترحيب، التحية.

إعلانّيات : التعيين، إعلانّ الحرب، الحزن، الإهداء، الإنّذار، الفصل، الوصية، التواصل اللاحق بالسابق.

يقول سيرل:إنّ الهدف الأساسي في هذا الفصل هو تطوير قياسي للأفعال الإنجازية في بعض الأصناف أو أنّماط أصلية،إنّه للإجابة على السؤال:كم يوجد من نوع من الأفعال الإنجازية؟ أمّا الهدف الثاني من هذا الفصل هو: تقدير تصنيف **أوستين**،لإيضاح في أي إطار هو ملائم وفي أي إطار هو ليس كذلك ويفترض أنّه مدرك على وجه الخصوص للتمييز بين "القوّة الإنجازية*Force illocutoire* والمحتوى القضوي*Contenu Propositionnel* والهدف هو تصنيف مختلف أنّماط القوّة الإنجازية".[89]

وهذه التصنيفات تختلف لاختلاف المعنى الواحدة عن الأخرى في الهدف، وفي اتجاه المطابقة، وفي القوّة والنبر والتنغيم، والوضع، والطريقة التكلّم والاستماع، وعن لواحق الخطاب؛ أي مع السياق المجاور، واختلاف الأفعال الكلامية هي:

---

[89] - *John. R Searle Sens et expression études de théorie du langage, tard Joèlle Proust P39.*

– الاختلافات في الهدف من الفعل الكلامي، فيحدد الهدف من الأمر على انه محاولة جعل المرسل إليه يفعل شيئاً. والهدف من الوصف هو تمثيل الشيء(سواء كان صادقاً أم كاذباً، دقيقاً أم غير دقيق)، والهدف من الوعد هو تعهد المرسِل بإلزام نفسه أن يفعل شيئاً، ونعني بالهدف الإنجازي وهو جزء من القوّة الإنجازية، ولكنّه ليس مطابقاً لها فالقوّة الإنجازية هي نتيجة لعدد من العناصر، في حين يكون الهدف الإنجازي واحد فقط، ولذلك فإنّني أعتقد أنه الأكثر أهمية .

– الاختلاف في اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم، إنّه يتعلّق بالهدف الإنجازي لبعض الإنجازيات بإرجاع الكلمات(أكثر دقة محتواها القضوي) متلائم مع العالم بينما الآخرون لهم هدف إنجازي بإرجاع العالم متلائم مع الكلمات.

– الاختلاف في الحالة النفسية المعبّر عنها وبها يشرح أو يخبر أو يثبت أو يطالب *Explique*، *Assert*، *Affirme*، *Pretend* .

–الاختلاف في القوّة أو النبر أو التنغيم في تقديم الهدف الإنجازي وقد يختلف من شدة إلى شدة وكلّما أُحترم النّبر والتنغيم ازداد الفعل الإنجازي قوة.

– الاختلاف في وضع أو شرط المتكلّم والمستمع عندما يحددان القوّة الإنجازية للتلفظ.

– الاختلاف في الطريقة التي ترتبط فيها الملفوظية بالمصالح الخاصّة بالمتكلم وبالمستمع.

– الاختلاف المأخوذ إلى ما تبقى من الخطاب حيث تسعى بعض العبارات الأدائية إلى وضع الملفوظية بارتباط مع الباقي من الخطاب "وأيضا مع السياق المجاور."[90]

90 . *John .R Searle, Sens et expression études de théoire du longages, tard. Joèlle Proust P.44.*

– اختلاف المحتوى القضوى المحدّد بمؤشر القوّة الإنجازية.

– الاختلاف فيما بين الأفعال يجب أن تكون أفعال كلامية وأفعال يمكنها أن تكون منجَزة كالأفعال الكلامية، لكنّها ليست بالضرورة كذلك.

– الاختلافات بين الأفعال عندما يتطلَّب انتماؤها مؤسّسة فوق لغوية وتلك التي لا يتطلَّب إتمامها ذلك.

–الاختلافات فيما بين الأفعال التي فعلها القواعدي الإنجازي *Verbe Illocutoire* المتوافق مع الاستعمال الأدائي والأفعال التي فعلها القواعدي الإنجازي*Verbe Illocutoire* ليس لها استعمال أدائي اختلاف الأسلوب في إتمام الفعل الإنجازي. ولذلك، يمكننا القول أنّ سيرل *J.Searle* قد قدّم تصنيفاً بديلاً عن تصنيف أوستين *Austin*، على تعبيره، ونفصل في أصناف الأفعال الإنجازية لسيرل *J.Searle* .

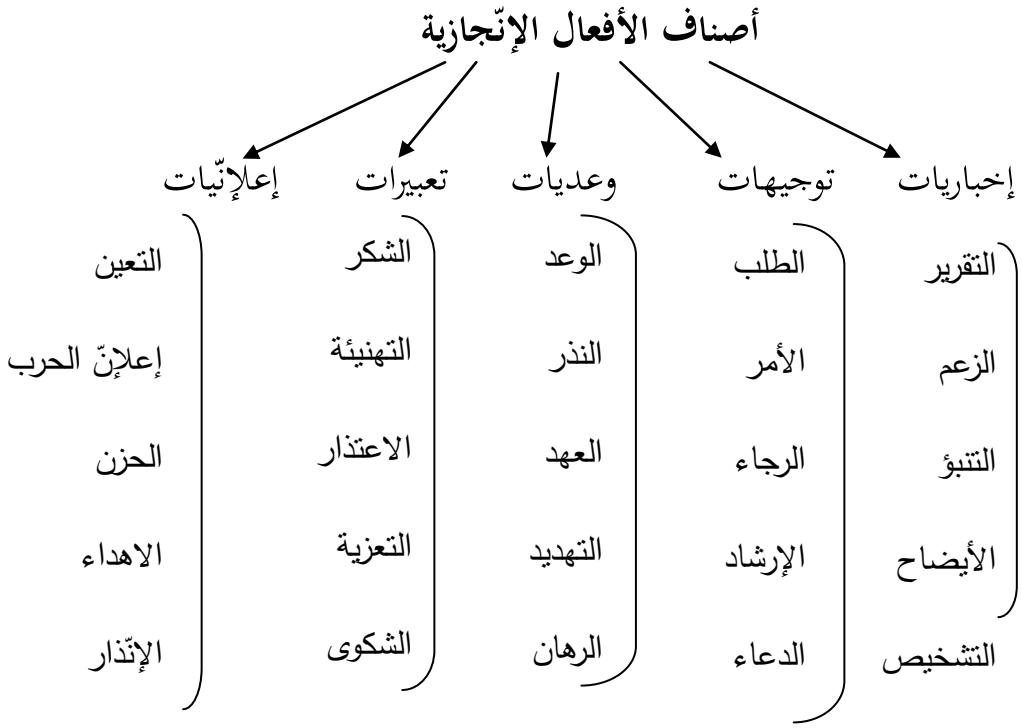
أصناف الأفعال الإنّجازية
إخباريات
توجيهات
وعديات
تعبيرات
إعلاإنّيات
التقرير
الزعم
التنبؤ
الأيضاح
التشخيص
الطلب
الأمر
الرجاء
الإرشاد
الدعاء
الوعد
النذر
العهد
التهديد
الرهان
الشكر
التهنيئة
الاعتذار
التعزية
الشكوى
التعين
إعلإنّ الحرب
الحزن
الاهداء
الإنّذار

ونحن نتحدث عن الخطاب ومستوياته كان لابد أن نتكلم عن الملفوظEnonce: لأنه الوحدة اللّسانية الحاملة لمعلومات، ليس على مستوى مرجع الخطاب، بل على مستوى لافظه أو هو الفعل المميز للصوت المنتج ويكون –على الأقل– جملة(...) ويمكن أن يحمل أثار التلّفظ من خلال بروز التصحيحات والتصويبات فهو في عمومه من خلال ما ذُكر، ما تلفظ به المتكلم، وحافظ على حضور لافظه من خلال وحدات لسانية معينة.

التلّفظ: ***l' énonciation*** *:*

إن مجمل التوصيفات التي ألمت بقصدية الملفوظ، توصلنا إلى ما مؤداه، أن "الملفوظ هو ما تم إنجازه والتحدث به"[91]وبصيغة أخرى"هو مجموع الوقائع الكلامية أو اللّغوية التي يقوم بها المتكلم وهو تمثيل جزئ للتّلفظ يؤديه المتّلفظ مؤكداً أو أمراً أو مفترضاً".[92] فقوة الملفوظ تكون في وقت إنتاجه وحسب موقعه من سلميته، وهو جزء من أجزاء الكلام، ويتوقف نجاحه، أو فشله على عدة عوامل وفي مقدمتها: "العامل اللّغوي الذي تصاغ فيه قوالب الملفوظات أي القوّة الإيحائية، يليه نوع العلاّقة بين المرسل والمتلقي، وتليه في الأخير درجة إقناع المتلقي بالملفوظ ومدى فهمه له".[93]

وفي المقام ذاته يمدنا "بنفنست" بمصطلح آخر هو التلّفظ إلى جانب الملفوظ، ويعني به عملية إحداث الكلام ووصفه بأنه فعل حيوي في إنتاج نص ما، هذا النّص يقابل الملفوظ الذي يتميز بكونه منجزاً متعلقاً ومستقلاً عن الذات التي أنجزته، معنى

---

[91]– مجلة الموقف الادبي، المصدر: اتحاد كتاب العرب، بدمشق، العدد 401، ص 08 الموقع *Mailto: Aru@Net.sy*

[92]– التداولية ظهورها وتطورها، الثامري (عادل): ، العنوان على:

Http: /Hingua.frendsofdenoc.racy.net/utilitytbhid=17255

[93]– الأساس المعرفي لمنظومة الإبداع، مقاربة لسانية تداولية، الحناش(محمد): ، مجلة التواصل اللساني، 2001.

هذا أنّ الملفوظ يتعلق بممارسة المتكلم للكلام، أي أنّه التحدث ويتعلق بجانب المنطوق من اللّغة ولذلك ذهب **بنفنست** إلى أنّ موضوع الدراسة ليس الملفوظ بل التلّفظ وبهذا يمكن أن ندرسه ضمن مضامين نظرية التواصل ووظائف اللّغة.

يتدخل التلّفظ باعتباره إجراء اللّغة بمقتضى فعل فردي في الاستعمال في مصطلح التداولية كمفهوم للممارسة والتفاعل ضمن ارتباط الممارسة بالاستعمال دون نفي الغرض المحدد من خلال التفاعل مع الآخر. فالتداولية تنطلق من فكرة جريان الكلام على الألسن، أي من التلّفظ ذاته كعملية خاصة بالفرد، والتي تتجلى في ممارسة اللّغة إلى هدف إيصال الرسالة أو الخطاب إلى المخاطب والتأثير عليه ضمن عنصر التفاعلية I'interaction .

"إنّ عملية التلّفظ تعني الوقوف عند عناصر مثل المبهمات Les Déictiques كعلامات تشير إلى المتخاطبينLes Interiocuteurs ، المتكلم الذي يتدخل كطرف في العملية التلّفظية، أمّا المستمع كطرف ثان يصبح متكلماً بفضل الخاصية التناظرية للخطاب، وبتوافر الشروط أو الظروف التي تحقق ضمنها العملية التلّفظية وهي الزمان والمكان وبالاستناد إلى بعض الآليات المنظمة للخطاب من افتراض مسبق أو مضمرة، أو احتجاج وتأويل وشرح، التي يلتجئ إليها المتكلم عندما يأخذ الكلمة معلناً عن مرتبته كمتكلم منصباً في ذات الوقت شخصاً آخر أمامه، بناء على ذلك يكون تضمين الشخص الآخر مكوناً أولياً وضرورياً للتلفظ أو الحديث."[94] ومن هنا يتمثل التلّفظ في نظر **بنفيست** دائما في حدث Acte التكلم نفسه أو النشاط المتحقق بواسطة الكلام أو إنتاج الكلام.

---

[94]- لسانيات التلّفظ وتداوليات الخطاب، ذهبية(حمو الحاج): دار الأمل للطباعة والنشر، والتوزيع،الجزائر، ط:01، ت:2005، ص77 -78.

أما في نظر **مانقونو** *Dominique Maingueneau* يقول"تهتم النظريات الملفوظية التي هي أساسا عمل اللّسانيين الأوروبيين بشكل خاص بطرق الخطابات الأداة وكيفيات توصيلها"[95] وبصيغة أخرى ومفهوم أخر: هي أنّ النشاط الرئيسي الذي يمنح استعمال اللّغة طابعها التداولي، بوصفها نقطة التحول بالممارسة الفعلية لها مما يبلور عناصر السياق في الخطاب: من خلال تعدد أنّماط الملفوظات التي يقوم بمفصلتها من مرسِل ومرسل إليه، كما أنّه يتحدد به القصد والهدف، وهذا ما نلمسه عند النحاة مثلا عند التمثيل على قواعدهم وذلك بالإحالة على عملية التلّفظ، وهي تقوم على مفهوم الأداء الفردي للّغة دون عزله عن شروط التفاعل الأخرى، فإنّها نشأت من التداولية ومن علاقة المتكلم باللّغة.

وللملفوظية خصائص ثلاث، يتسنى لها من خلالها أن تؤدي الخبرة الإنّسانية في استخدام اللّغة، من خلال المتكلم، وهي بذلك تسمح بمرور اللّغة من الحالة الافتراضية إلى ما يتطلبه الموضوع الذي يكون وفق ما يريده المتكلم ونتيجتها أنّ الخطاب يسمح بوصف العالم وتقرير الحاجات المرجعية.

الافتراض المُسبق: *Pré supposition :*

إنّ هذه العملية تنطلق من اشتراك كل من المتكلم والسامع في جملة من المعطيات والافتراضات التي سوف تمثل أرضية التخاطب، وعليه فإنّ كليهما متفق على خلفية التواصل لإنّجاح عملية التواصل أو الرسالة التخاطبية التي تتواجد ضمن سياقات وبنى تركيبة عامة فالمتكلم يوجه حديثه إلى المخاطب على أساس مما يفترض

---

[95]- في اللّسانيات التداولية،مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بوجادي (خليفة): بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط01، ت2009 ص 103.

سلفا أنّه معلوم له، وقد يمثل العرف والمعرفة العامة جزءاً من الافتراض لأنهما ينطلقان من معطيات وافترضات معترف بها ومتفق عليها بينهم.

كما أن هذه الافتراضات تشكل الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السيقات والبنى التركيبية العامة. وعادة ما يصمم المتحدثون رسائلهم اللّغوية على أساس افتراضات مسبقة[96] عما يعلمه السامعون لأنها تتضمن كثيرا ما نقوله في استعمالنا اليومي للّغة،فما يفترضه القائل أنّه صحيح أو يعلمه السامع يعرف بالإفتراض المسبق*pré Supposition* فيقرّ **فينمان** "أن لأي خطاب رصيد من الإفتراضات المسبقة من سياق الحال والجزء المكتمل من الخطاب ذاته فلدى كل طرف من أطراف الخطاب رصيد من الافتراضات المسبقة وهذه الافتراضات في تزايد مع تقدم عملية الخطاب"[97]ومن شروط دراسة الافتراض المسبق هو توخي الحذر من أمرين:

– كثرة الأبحاث التي تناولت هذا الموضوع في إطار نظريات مختلفة ووجهات نظر متباينة على نحو لم يتح لأي جانب الدرس التداولي باستثناء الأفعال الكلامية.

– التمييز الواجب بين الاستعمال العام للفظ الافتراض السابق في لغة الحياة اليومية، والاستعمال الاصطلاحي في الدرس التداولي هو أضيق مدى من الاستعمال العام، ويرى التداوليون أنّ **الافتراضات المسبقة** ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ؛ ففي **التعليميات *Didactique***، ثم الاعتراف بدور **الافتراضات المسبقة** منذ زمن طويل.

---

[96]– من الباحثين المعاصرين من يطلق"الافتراض المسبق" مصطلح: الاضمارات التداولية".انظر طه عبد الرحمان، اللّسانيات والميزان، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، 1998، ص 113

[2] –" تحليل الخطاب"ج.براون، جورج، يول ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير تركي، الرياض، جامعة الملك سعود، 1997، ص96.

فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه.أما مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت اسم التواصل السيئ"، فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لنجاح كل تواصل كلامي."[98]

الأقوال المضمرة *Les Sous-Entendus* :

ويعتبر هذا نمطا من أنّماط متضمنات القول ويرتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية. فالقول المضمر لايتحقق في الواقع إلا وفق خصوصيات سياق الحديث ويرتبط بالتأويل في توجيه الحدث الكلامي مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب.

والفرق بين الافتراض المسبق، مرده أنّه وليد السياق الكلامي، أما الأقوال المضمرة فهي وليدة ملابسات الخطاب. لأنها تعتبر خصيصة مميزة للخطاب اللّغوي العربي خاصة،والخطاب اللّغوي الإنّساني عامة، ومن ثمة اعتبر فعلاً لسانيا، يربط بين المتكلم والمخاطب في الواقع الملموس والممارسة الفعلية للسلوك اللّغوي وورود في الدراسات العلّمية المتباينة للخطاب اللّغوي العربي، في المجلات الدينية والأدبية واللّغوية وغيرها (كقضية تأويل مشكل القران ومسألة الدلالة الثانية أو **معنى المعنى** وإنّ المعنى المتضمن في القول هو ذلك المعنى غير المصّرح به في العبارة اللّغوية المنطوق بها.

وقد يرادف المعنى المحذوف أو المعنى المتروك أو المعنى المستتر، ويتجلى في كونه غير متعلق بالألفاظ تعلق **المعنى** المصرح به في القول اللّغوي، وربما ارتبط هذا

[1]– التداولية عند العلّماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي د.مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط–1، 2005، ص 32

المصطلح الأصيل بما يعتمل في ذات المخاطب من تفكير وشعور، وفعل وانفعال، يرتبط بما يدعى ضمير السامع الذي يدرك المقصود من الخطاب اللّغوي الموجه إليه.

إنّ اللّغات الطبيعة القائمة على المبنى والمعنى تتوفر على مخزون تعبيري متلون ومتعدد، وباعتبار تطورها في ظل التغييرات، تتحصل لديها بنيات **متغيرة** بدورها شكلاً ومضموناً. ومادام الدافع إلى القول والهدف منه شيئين متلازمين، فإنّ المعاني التي تتولد منهما تتلون من معان صريحة إلى معان مضمرة، أو بالعكس، وفقا لتكّون المقام والظروف المحيطة بكل متكلم وبكل مخاطب، في كلّ اللّغات الطبيعة ومهما كانت ظروف توليد المعاني المضمرة، فإننا نرجع أسباب استعمال **المعنى المضمر** إلى مقومات المجال التداولي، للخطاب اللّغوي الطبيعي نفسه.

ويتضح أنّ المعنى المضمر شكل من أشكال الخطاب اللّغوي الطبيعي التواصلي، تمارس فيه حيوية العناصر التداولية واستراتيجياتها الخطابية. ولعلّ ظهور هذا الصنف من المعنى في ذاتية اللّغة يعود إلى العوامل التالية:

– الاحتراز عن التطويل واجتناب فضل الكلام وحشوه، حتى لا يؤدي هذا إلى إتعاب المخاطب في تحصيل المطلوب.

– الاقتصاد في التعبير: لعلّ هذا العامل ينطبق على التعابير اللّغوية العربية التي تميل كل الميل إلى الإيجاز. ذلك أن المتكلم العربي يلتجئ إلى الإيجاز كما يلتجئ إلى الإطناب، والمساواة، حسب استراتجية كلامية يعتمد عليها تجاه مخاطبه.

– اعتقاد المتكلم بأنّ المخاطب علِم بالمعنى المضمر، أو بإمكانه أنّ يستدل عليه، أو يستنبط من فحوى الخطاب،أو بإمكان معارف الخطاب وثقافته وكفاءته أن تنير له سبل إدراك المضمر من المعاني.

ومهما كانت ظروف توليد المعاني المضمرة، فإننا نرجع أسباب استعمال **المعنى المضمر** إلى مقومات المجال التداولي للخطاب اللّغوي الطبيعي نفسه. الذي يقوم على الأفعال التنجيزية *Acte Illocutoires* وتندرج تحتها جملة من الأفعال التالية:

الفعل القضوي: *L'acte Propositionnel* :

لاحظنا أنّ تركيبة الفعل اللّغوي تقوم على ثلاثة عناصر هي: الفعل الكلامي والفعل الإنجازي والفعل التأثيري. ولاحظنا معه أيضاً أنّ للفعل الكلامي تركيبة ثلاثية تنسحب على فعل تصويتي وفعل تأليفي وآخر إحالي فما موقع الفعل القضوي من هذه المستويات؟

إنّ إدراج الفعل القضوي في الصيغة التركيبة يقوم فيه المتكلم بعرض قوله المحتمل للإضمار على مخاطبه،أو يسوق قوله على سبيل الإضمار. بشرط أن يكون المحتوى القضوي مبنيا على جملة من الصيغ اللّغوية أو على العماد اللّغوي *Support Linguistique* وذلك لتدارك الالتباس الحاصل بين الفعل الإحالي والفعل الإنجازي. لذا يمكن للمحتوى القضوي الواحد أن يحقق أفعال إنجازية مختلفة وفق مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد .

لقد ظهرت هذه النظرية على هامش الأبحاث المنطقية التي تناولت القضايا بإعتبار قيمها الصدقية -*Valeurs de Verité*- لقد وردت بشكل عارض في أبحاث « *Frege* »و « *Russell* » و « *Strawson* » الذين اعتمدوا في تحديد هذه القيّم على مقدمات خارجية سابقة، مثلت شروطا ضرورية لتحقيق صدق أو كذب القضايا على اختلافها وتعددها. وقد حدد« *Strawson* » الاقتضاء مبديا تأثره بـ « *Frege*

في أن قضية (ق) تقتضي قضية (ق) إذا كانت (ق) تمثل شرطاً مسبقاً لتحقيق صدق أو كذب (ق).

هكذا، ظهرت البوادر لتشكل نظرية قائمة للاقتضاء أسست لها الأبحاث اللّسانية في الموضوع، فإذا كانت تحليلات المناطقة تقصر البحث في الاقتضاء على تحديد قيّم القضايا في الجمل الخبرية فإنّه في اللّسانيات تبقى هذه مجرد حالة خاصة من الحالات التي تجب فيها مراعاة الاقتضاء ظاهرة كلّية– *Universel* –،" حيث أنّ كلّ ملفوظ يفرض شروطا معينة سابقة لتحقيقه، إنه ينطوى على مجموعة من الاقتضاءات، وهي توجد مسجلة فيه بكيفية لا تقبل النقاش ولا أحد يستطيع الاعتراض عليها سواء كان متكلما أو مخاطبا."[99]

وقد أمكن للبحث اللّساني أن يطور نظريته للاقتضاء في ثلاثة مستويات: مستوى دلالي ويعالج فيه الاقتضاء كمعلومة تؤخذ من الملفوظ، أي كعنصر من عناصره الدلالية، ومستوى وظيفي يحدّد فيه دور الاقتضاء في تنظيم الخطاب،"فإذا كانت للاقتضاء وظيفة فإنّها لتحقيق انسجام الخطاب"[100] ثم مستوى تداولي ويتعلق الأمر فيه بتحديد الاقتضاءات في العلّاقات بين المتخاطبين، وكذا في التفاعلات التي ينبني عليها التخاطب.

نظرية الاستلزام الحواري : *L'implicati Conversationnelle*

وهي نظرية خاصة بكيفية الاستعمال اللّغوي أرسى دعائمها**P.Grice** وأقامها على مبدأ عام يقضي بتعاون المتخاطبين بهدف تحقيق الفعالية القصوى لتبادل

1-C.K.Oreehioni: L'implicité du discours. 2éme éd 1980 P82.
100 -O. Ducrot : Dire et ne pas dire.Ed Hermann. 1972, P94.

المعلومات، ومفاده: (لتتكلم فيما يقتضيه الغرض من التواصل) وقد قامت هذه النظرية على افتراض مجموعة من المبادئ–Maxines– صادرة عن اعتبارات عقلية تجعل من السلوك اللّغوي فعلاً ناجحاً، وتساعد على رصد الاستلزام الحواري باعتباره خرقاً مقصوداً لقاعدة من القواعد.

لقد كان يعتبر عمومًا أنّ تأويل الملفوظات يتوقف على عاملين اثنين: معنى الملفوظ، والسياق المقامي لإنّتاجه.وأضافت النظرية هذه عاملا ثالثا تمثل" في **مبدأ التعاون**"[101] الذي يسمح بحساب الخرق المسجل في التواصل، هذا المبدأ الذي يسمح بإدراك انسجام معاني الملفوظ مع المقصود من التخاطب. وصياغة قوانين الخطاب من أجل تطوير كفايتها في رصد الوقائع المستلزمة عمومًا.

لقد عمد **غرايس Paul Graise** (1913-1988) أحد المنظرين للتداولية، إلى إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد،« فما يقال هو: ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللّفظية، وما يقصد هو: ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على أنّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال. ونتيجة لهذا كان يفرق بين المعنى الصريح وبين ما تحمله الجملة من معنى متضمن فنشأت عنده فكرة الاستلزام الحواري... »[102] فقد توصل غرايس إلى أن جمل اللّغات الطبيعة في بعض المقامات، تدل على معنى غير محتواها القضوي، فغرايس أقام نظريته باعتبار أنّ للجملة الواحدة أكثر من مدلول، يتجسد حرفياً في التركيب أو يكون متضمن معنويا في التركيب وقد قسم الاستلزام إلى قسمين:

---

101 -Willson et Sperber: « L' interprétation des énoncé » Communications n° 30 P 80

[102]– آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر ،نحلة (محمود أحمد): ، ص 33.

العرفي I mplicative Conventionnel: قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللّغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات معينة لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب .

الاستلزام الحواري أو التخاطبي : Implicative Conversationnel فهو متغير دائم بتغير السياقات التي يرد فيها.

لاحظ غرايس كيف يكون ممكنا أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا أخر؟ ثم كيف يكون ممكنا أيضا أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر. إلا أنّ هناك مفهوما أكثر أهمية لمحلل الخطاب وهو مفهوم المعنى الضمني في المحادثة المستمدة من مبدأ عام حول طبيعة التخاطب، بالإضافة إلى عدد من القواعد التي يلتزم بها المتكلمون عادة ويسمى المبدأ العام هنا بالمبدأ التعاوني وبالمسلمات الحوارية. وينهض مبدأ التعاون على أربع مسلّمات Maximes:

مبدأ الكم أو القدر Quantité: وتخص قدر الأخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية، بحيث يكون الحوار مناسباً دون زيادة أو نقصان، أي أن تجعل المهمة الإخبارية بالقدر المطلوب أي بحيث ما تمليه الحاجة في تلك المحادثة القائمة بين المتكلّم والمخاطب ولا تقدم معلومات بأكثر من ما يلزم.

مبدأ الكيف Qualité : لا ينبغي قول ما هو غير صحيح، أو ما ليس فيه دليل، وألا تتحدث عن شيء لا تملك بشأنه حجج كافية؛ أي لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب، ولا تقبل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه .

مبدأ الملاءمة Pertinence: وهو مناسبة الكلام للموضوع ويقوم على قاعدة لتكن مشاركتك ملائمة .

مبدأ الجهة Modalité : أو الطريقة، التي تنص على الوضوح في الكلام والتحديد مع تجنب الغموض، واللّبس، والقيام بالإيجاز وترتيب الكلام، والابتعاد عن ازدواجية المعنى وتحري الإيجاز بعيد عن الحشو وأنّ التحاور بين المتكلم والمخاطب يجري على ضوابط وتحكمه قواعد ويقوم على التعاون.

خواص الاستلزام الحواري عند غرايس Grice

– الاستلزام ممكن إلغاؤه، ويكون بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه.

– الاستلزام لا يقبل الانّفصال عن المحتوى الدلالي،أي أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي، لما يقال لا بالصيغة اللّغوية التي قيل فيها بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها.

– الاستلزام متغير، والمقصود بالتغيير أنّ الواحد يمكن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة

– الاستلزام يمكن تقديره، والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبه يتغيا منها الوصول إلى ما يستلزمه الكلام. وحصول المعنى المطلوب وهي ذاتها التي تركز عليها التداولية.

الإنّشاء والخبر في التّراث العربي:

اهتمّ علماؤنا القدامى بدراسة ظاهرة الأفعال الكلامية ضمن نظرية الخبر والإنشاء ضمن مباحث علم المعاني وموضوعه « تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان... ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره» [103] ويتضمن هذا العلم ثمانية أبواب: هي أحوال

[103]–مفتاح العلّوم ، أبو يعقوب السكاكي، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلّمية، 1987، ص161

الإسناد الخبري، وأحوال المسند والمسند إليه،وأحوال متعلقات الفعل، والقصر، والإنّشاء، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والمساواة.

وتندرج نظرية الخبر والإنّشاء عند العرب مقابلة لمفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين، وحتى نكون على بينة مما نحن مقبلون عليه، كان لابد من بعض الوقت لمساءلة التراث العربي بخصوص الموضوع، كي يتسنى لنا العلم ببعض الفروق حتى يشتبه علينا التصور العربي القديم مع وعينا التام بوجود بعض الفروق الابسيمولوجية والمنهجية بين النظريتين، والانسجام مع المصطلح الأصيل المتداول من أجل إثبات وجود ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي، فقد اشتغل ببحثها الفلاسفة والبلاغيون والنحاة والأصوليون، مستعملين أدوات البحث المنطقية حرصا على الضبط والدقة والاقتصار على التراكيب الدّالة والمفيدة.

لقد سار علماء العربية على ما سار عليه منطق القضايا من تصنيف باعتبار قيمتي الصدق والكذب.فانتهوا إلى تصنيف التعابير اللّغوية بهذه الاعتبارات فوجدوا أنّ منها ما يحتمل أن يكون صادقاً أو كاذبا فسموه خبراً، وأن منها ما لا يحتمل ذلك فسموه إنشاء. يقول **القزويني*** في الإيضاح: " إنّ الكلام إما خبر أو إنشاء، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا طابقه، أو لا كون لها خارج، الأول هو الخبر والثاني هو الإنّشاء".[104] وقد ذهب **السكاكي**** إلى "أنّ صنفي الكلام هذين

*الخطيب القزويني هو "محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين القزويني الشافعي" المعروف "بخطيب دمشق". ولد سنة 661هـ، الموافق في سنة 1268م. كان حلو العبارة، أديباً بالعربية والتركية والفارسية، سمحاً كثير الفضائل أصله من قزوين ومولده بالموصل. ولى القضاء من ناحية الروم، ثم قضاء دمشق سنة 724هـ، وقضاء القضاة بمصر سنة 727هـ. ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة 738هـ، ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى ان توفي سنة 739هـ.

[104]- الإيضاح.الخطيب القزويني: 85/1.

يستغنيان عن التعريف الحدي، ذلك أن حقيقة كل منهما – في نظره – مستغنية عن التحديد، فلمّا يفترق الصنفان من حيث الحقيقة، يعد ذلك باللازم المشهور وهو احتمال الصدق أو الكذب."[105]

إنّ الخبر إذن كأحد صنفي الكلام يتميز باحتماله الصدق أو الكذب. إلا أنّهم قد اختلفوا حول مايحتكم إليه في التصديق أو التكذيب، فأكثرهم ذهب إلى الاحتكام للواقع، فما طابق الواقع من الأحكام في الخبر كان صادقاً، وما لم يطابقه كان كاذباً.

إلا أنّ غير هؤلاء رأى أن يُحتكم لما يكون للمخبر من اعتقاد فحيث يطابق "الحكم الاعتقاد يكون الخبر صادق، و حيث لا يحصل هذا التطابق يكون الخبر كاذباً".[106]

وقد ترتب عن اختلافهم هذا أن يختلفوا في تقسيم الخبر باعتبار السلب والإيجاب في قيمة الصدق. فمعظمهم سار إلى حصره في قسمين، إذ لا يزيد على كونه إما صادقاً أو كاذباً. والدليل في هذا أنّ الحكم إما يكون مطابقا للواقع "ويكون المخبر معتقداً ذلك، أو يكون مطابقاً مع عدم ذلك الاعتقاد. فالأول من هو الصادق والثالث هو الكاذب، والثاني والرابع هو ما لا يحتمل تصديقاً و لا تكذيبا".[107]

**يوسف بن أبي بكر بن محمد، أبو يعقوب السكاكي، من أهل خوارزم، مُتكلِّمٌ؛ فقيهٌ؛ مُتفنِّنٌ في عُلوم شتَّىْ، وهو أَحَدُ أفاضِل العصر الذين سارت بذِكْرهم الرُّكبان، وصَنَّفَ مِفتاحَ العلّوم في اثني عشر عِلْماً، أحْسَنَ فيه كُلَّ الاحسان، وله غيرُ ذلك ، طلب العلّم كبيراً وبرع فيه، وقد كان السكاكي حنفي المذهب معتزلي العقيدة. وكان عارفاً باللّغة التركية والفارسية.

[105]– لم يستعمل السكاكي مصطلح " الإنّشاء" واستعمل " الطلب"، والطلب جزء من الإنّشاء، لأن الإنّشاء منه ما هو طلبي ومنه ما هو ليس للطلب .

[106]– الإيضاح، الخطيب القزويني: 1/ 86.

[107]– الإيضاح، الخطيب القزويني: 87/1.

ثم لا اختلاف في أنّ صفة الخبرية في التعبير اللّغوي تأتيه من كونه ينبني على الإسناد. والإسناد يُحكم فيه بالنفي أوالإثبات في نسبة المسند للمسند إليه. وبهذا يثبت "أن الخبر يرجع إلى الحكم بمفهوم لمفهوم"[108]، ويصحّ أن يكون ذلك الحكم صادقاً أو كاذباً.

هذا ويُشترط في الخبر أن يكون مفيداً للمُخاطَب، وهو بموجب شرط الإفادة ينقسم إلى قسمين: فالخبر إمّا أن يُلقى لإفادة نفس الحكم الذي ينطوي عليه، وهنا يتعلق الأمر بما عُرف عند البلاغيين بفائدة الخبر. أو يُلقى لإفادة حكم آخر يلازم ما ينطوي عليه هذا الخبر من حكم، وهنا يتعلق الأمر بلازم فائدة الخبر.

ثم إنّ للخبر أضربا يمكن تمييزها باعتبار كمّ الإفادة إلى ثلاثة أضرب:

الخبر الابتدائي: وهو ما تستغني فيه عن مؤكّدات الحكم، لأن مُخاطَبك يكون خالي الذهن مطلقا ممّا تفيده به.

الخبر الطّلبي: وهو ما تستعين فيه ببعض مؤكّدات الحكم، لأن مُخاطَبك لا يكون خالي الذهن ممّا تفيده به مع بعض الشك و الحيرة. و يكون في حاجة إلى ما يُرسّخ ذلك عنده.

الخبر الإنّكاري: وهو ما تلقيه من خبر وفيه من الحكم ما يعلمه مُخاطَبك إلا أنّه ينكره ويحكم بخلافه، فأنت تحتاج في هذه الحالة إلى مزيدٍ "من مؤكّدات الحكم على القدر الذي يدفع إنكار مخاطَبك و يردّه إلا الأخذ بحكم الخبر الذي تلقيه إليه."[109]

ولما يتميز الخبر بحقيقته و لازم هذه الحقيقة، فأنّ ما عداه من الكلام يدخل في باب الإنّشاء و يمثل ثاني صنفي الكلام."أما الإنّشاء فمنه ما هو للطلب ومنه ما

---

[108]- المفتاح، السكّاكي: دار الكتب العلمية مصر، ص 167.

[109]- المفتاح، السكّاكي، ص 171/170.

ليس له. وقد أولى علماء العربية اهتماما كبيرا لما كان من الإنّشاء للطلب على حساب ما كان منه لغير ذلك"[110] حتى إنّ السكاكي لم يميز في تصنيف الكلام بين إنشاء وخبر، وإنّما ميز بين الطلب والخبر. ولم يتفق العرب على مصطلح الإنّشاء الذي هو أحد الأسلوبين الأساسيين فلم يتحقق الإجماع حوله ولا حتى استعماله إلا في القليل النادر فكل ما لم يكن خبر من الجمل المفيدة فصار الباب الذي يبحث فيه أهل المعاني تلك الجمل يُسمى باب الإنشاء وقد فعل مثل ذلك المناطقة في مؤلفاتهم.

كما نجد في الإنّشاء ما يستدعي مطلوبا ويسمى إنشاء طلبياً ومنه ما لايستدعي ذلك ويسمى إنشاء غير طلبي ومن هذا نجد الوعد والتعجب وغيره. أمّا الإنّشاء الطلبي فإنّه "يستدعي مطلوبا لا محالة، ويستدعي فيما هو مطلوب أن لا يكون حاصلاً وقت الطلب"[111] وذلك لامتناع تحصيل الحاصل ولما يتوقف الطلب على المطلوب،فمنه ما يستدعي في المطلوب إمكانية حصوله، أولاً يستدعي فيه ذلك وهذا هو التمني.

وأما ما يستدعي إمكانية حصول المطلوب، فمنه: الاستفهام، والأمر والنهي، والنداء. ولكل من هذه خصائص تميزه عن غيره[112] ويجرى عليها في أصله. تلك كانت أصول الإنّشاء والخبر وهي الأصول التي يجري عليها الكلام عمومًا. وإنّه في علم البيان يسمى بالتصريح إلا إنّه لا يمتنع أن يجري الكلام على غير هذه الأصول، "فتقول متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ما ناسب المقام"[113]

---

[110]- الأساليب الإنّشائية في النحو، عبد السلام هارون: دار الجيل، بيروت 1990، ص13.

[1]- المفتاح ، السكاكي، المرجع السابق، ص302 .

[112]_ لتفصيل الفروق بين هذه الأنّواع، ينظر على سبيل المثال: السكاكي (في المفتاح ص302_328)، والجويني في (البرهان 198/1)، وابن فارس في (الصاحبي 289).

[113]- المفتاح ، السكاكي، المرجع السابق، ص304.

هذا، وما يمكن الخروج به من هذه المتابعة، وإنّ لم تكن مستفيضة، غير أنّ السلف سار على تقسيم التعابير اللّغوية إلى إنشائية وخبرية، وأنّه لم يتجاوز التقسيم والنظر في الفروق والحدود، لينظر أنّ التعابير اللّغوية على ما بينها من اختلاف أنّما هي تصدر بموجب الحدث الذي هو الخبر أو الإنّشاء.

ثم إنّه ولم يول علماء البلاغة اهتماماً كبيرا لأبواب الإنّشاء، وكان غيرهم من الأصوليين قد أفاضوا القول فيه وخصوصا ما تعلق منه بالأمر والنهي، فإنّ دراسات هؤلاء لما تناولوه في ذلك لا تفضي إلى أن تجعل من الإنّشاء ضرباً من الإنّجاز والتصرف يحققه المتكلم لمجرد الكلام. هذا، إلا أننا لانعدم في دراساتهم تلك إشارات قد تنم عن الإدراك المبكر للمبادئ الأولية التي ستقوم عليها نظرية الفعل.

فالخبر هو ما يقابل الصدق والكذب، والإنّشاء خلافه وإن جلّ العلّماء العرب عرفوا الخبر والإنّشاء لذاتهما وربطوهما بلوازمهما والتمييز بين هذين النوعين من الكلام يختلف بين عالم وأخر على الرغم من اتفاقهم جميعا على معيار التقسيم. فالكلام التام إن احتمل الصدق والكذب فهو الخبر وإن لم يحتمل فهو الإنّشاء.

الفصل الثالث

الأفعال الكلامية في خُطب الشيخ البشير الإبراهيمي.
(القوة الإنجازية، القوة التأثيرية،الحِجاج)

الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي

أشرنا في الباب النظري، إلى أن غاية البحث التداولي هو دراسة أفعال الكلام، ومن ثمة، فهي تركّز على ما نتكلم به وننجزه باللّغة العادية. ووفق هذا الطرح، فقد ارتأينا في هذا البحث أن نلج إلى تطبيق أحدث ما توصلت إليه اللّسانيات التداولية المعاصرة، من خلال نظرية الأفعال الكلامية وتطبيقها على مدونة خطب الشيخ البشير الإبراهيمي وتحليلها تحليلاً تداولياً، من خلال البحث في الإشاريات والإخباريات، والتقريرات، والاعلإنّيات، والتعبيرات، والسلوكيات، والاستفهاميات، والتوجيهات، والتأكيدات محاولين الإجابة عن تساؤلات التداولية (من المتكلم؟ من المخاطب؟ ما زمن الخطاب ؟ أين حدث الخطاب؟.

لقد تعددت الأفعال الكلامية في مدونة الشيخ البشير الإبراهيمي، بشكل يوازي ويوافق أهداف الخطيب، فكانت أهداف الكلام تارة تعبيرية وتارة أخرى توجيهية، وكان الإنّجاز مرة سلوكيًا ومرة أخرى تقريريًا، كما جاءت الأفعال بشكل مباشر وأحياناً تلمحيه، وهذا ما أدى إلى نجاح الأفعال الكلامية في تحقيق الأفعال التأثيرية، فقد حملت متلقي الخطاب على الاعتقاد الراسخ، وحققت هدف الإقناع، وشدّت الانتباه، وأثارت التفكير في فهم وتفكيك شفرات الخطاب. ضمن مفهوم الأفعال الكلامية الشاملة أو الكلّية، لأن كلّ رصد لكلّ فعل كلامي في خطبة من خطب الشيخ البشير الإبراهيمي يعني بحثه في شموليته.

وجاءت شمولية الخطاب لتندرج ضمن إطار التداولية الكبرى التي تُعنى بدراسة التنظيم الشامل للفعل المشترك في الإنّجاز أي متوالية أفعال الكلام والسّياق وعلاقتهما

ببنية الخطاب، فالأفعال مثل الدّلالات تنتظم وتقترن مع أفعال أخرى لكي تشكّل أفعالا مركبةُ ومعقّدة ومتتالية من الأفعال.[114]

إنّ شمولية الفعل الكلامي الإنجازي والقوّة الإنجازية ما هي إلا امتداد لشمولية الفعل الكلامي بشكل عام،"فمتواليات أفعال الكلام الإنجازية، مثلها مثل الأفعال المجرّدة تستدعي وضع تخطيط وتآويل، أعني أن بعض المتواليات الخاصّة بأفعال الكلام الإنجازية المتنوعة تنوي قصدًا وتخطيطا،وتفهم كما لو كانت فعلاً انجازيًا واحدًا".[115]

ففي الخطبة الواحدة ترد أفعال كلامية مثل: الإخباريات والتعبيريات وأفعال التعهد...الخ، إلا أنها ترد فعلاً كلامياً واحدًا شاملاً وهو فعل الخطيب. ولذلك "فان أفعال الكلام الكلّية لها وظائف في تخطيط وتنفيذ الأفعال الشاملة. وأنّ ما يتعلّق بهذا السّياق الواسع الأفق عن الفعل المشترك الإنجازي هو الأحوال الذهنية المجتمعية الحادثة بواسطة فعل الكلام ككل"[116]، لأنه لا يمكن في ظلّ نظرية الأفعال الكلامية الاّ المحافظة على قطبي العمل الفنّي المتمثلة أساسا في "القطب الفني Artistic والقطب الجمالي Aesthetic، فالقطب الفني هو نص المؤلّف، والقطب الجمالي هو التحقّق الذي ينجزه القارئ.

وبالنظر إلى هذه القطبية، فإنّه من الواضح أن العمل نفسه لا يمكن أن يتطابق مع النّص، أو مع وجوده الفعلي، ولكن يجب أن يقع في مكان ما بين الاثنين،

---

[114]- ينظر: النصّ والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ،فان ديك، ، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب دط، ت: 2000، ص: 309، 310.

[115]- المرجع نفسه، ص: 316.

[116]- المرجع نفسه، ص: 316.

فالعمل من حيث طبيعته، موجود وجودا فعليا وشكل محتوم،كما لا يمكنه أن يُختزل إلى واقعية النّص أو إلى ذاتية القارئ،ومن وجوده الفعلي هذا تنشأ ديناميته"[117]

إن البناء الفني يمتلك القوّة الإنجازية التي تجليها أبعاده الجمالية، وبحث القوّة الإنجازية للأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي في ظلّ هذين القطبين مع المحافظة على فنيات و إبداعات الخطيب هو ما نسعى إلى مقاربته. والوقوف عند حدود ما يتلاءم مع موضوع البحث والمتعلق بتطبيق نظرية الأفعال الكلامية على خطب الشيخ البشير الإبراهيمي.

وقد ارتأينا اختيار عدد محدد من الخطب، والتركيز على الخطاب الديني والتي سيشملها التحليل، باعتبار في الأخير أنّها فعل كلامي شامل من خلال المشترك بين جميع خطب المدونة وربطه بالخلفية الفكرية والثقافية للخطيب، وقد جاءت كلّ خطبة مترابطة بشكل وثيق لا يمكن فصلها عن بعضها ولا بترها عن سياقها العام، فأخضعنا الأفعال الكلامية لتراتبية وانسجام كل خطبة. مدركين لأهمية التداولية في تحليل الخطابات العادية في حالة الاستعمال والإنّجاز والربط بين الزمان والمكان وعملية تلقي هذا الخطاب والتركيز على فعلين كلاميين حسب تصنيف أوستينAustin هما:الفعل الإنجازي بالتركيز على قوته الإنجازية ،والفعل التأثيري دون إهمال للفعل اللّفظي الذي يتضمنهما، هو الرغبة في البحث عن الرَّابط والجامع بين كلّ من تصنيف أوستينAustin وسيرلSearle، فرأينا أنهما يشتركان على مستوى القوّة الإنجازية التي ترتبط بشرط الفهم،وشرط المقبولية، وشرط إمكانية التنفيذ والتي أتت بموجبها الأفعال الإنجازية متشابهة إلى حدّ كبير ولذلك ارتأينا أن نجمع بين

[117]– القارئ في النّص مقالات في الجمهور والتأويل، سوزان روبين سليمان، انجي كروسمان، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط: 1، ت: 2007، ص: 130.

التصنيفين في مجال التطبيق وأنّ الخطبة مجموع مركب غير قابل للتجزئة يصير كلّ شيء فيها دالاً ومتبادلاَ ومتضاداً ومتناسباً مركزين على وحدة الخطبة راصدين للفعل الإنجازي الأكثر تواتراً، وهو الذي مثل القوّة الإنجازية في تلك الخطبة ،وبناءً على ذلك مثّلت كلّ خطبة من المدونة فعلاً كلاميًا، أو جمعت بين عدد من الأفعال الإنجازية، والأفعال التأثيرية.

كما تُستخدم الأفعال الإنجازية الأخرى في دعم هذا الفعل الإنجازي المهيمن، وتأكيد نجاحه إذا تجنب الخطيب فيه أشكال سوء الفهم والرفض وردود الفعل غير المرغوب فيها من جانب السّامع تبعاً لإمكانية، حيث توجد هذه الإمكانية من خلال دعمه فعلاً إنجازيًا مهيمنًا بفعل إنجازي مساعد، ويحد ذلك على أساس معارف أنّماط أفعال انجازية.[118]" وتظلّ القوّة الإنجازية الحرفية ملازمة للعبارة اللّغوية في مختلف المقامات التي يمكن أن ترد فيها، أمّا القوّة الإنجازية المستلزِمة فهي مرتبطة مقامياً بحيث لا يتم تولُّدها إلاّ في طبقات معيّنة وتأخذ القوّة المستلزمة، نتيجة للخاصّية، وضعاً ثانوياً بالنظر إلى القوّة الحرفية، وتتجّلى ثانويتها في أمرين اثنين : في أنّها يمكن أن تُلغى إلغاءً. وفي أنّها لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث الطول والتعقيد، في حين أن القوة الحرفية تؤخذ مباشرة من صيغة العبارة ذاتها"[119]

وبغية فهم الخطبة بشكل متكامل" يغدو ضرورياً فهم الأجزاء، في حين أننا لكي نفهم الأجزاء، لاينبغي لنا الاّ استيعاب شيء من الكلّ".[120] ونحن نريد

---

[118]– التحليل اللّغوي للنّص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ،كلاوس برينكر ،ص119.

[119]– ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الهلال العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنّسانية بالرّباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 5، ط:1، ص22، 23ت:1993.

[120]– ديفد كوزنر هوي، الحلقة النقدية الادب والتاريخ والهيرومينوطقيا الفلسفة، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، ت:2000. ص:5

استيعاب هذا الكلّ المتكامل في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي، والبداية تكون بتطبيق نظرية الأفعال الكلامية من منظور أوستينAustin وسيرلSearle،[121] بحث القوة الإنجازية من خلال مختلف الأفعال الكلامية الإنجازية" فالفعل الكلامي يُراد به الإنّجاز الذي يؤدّيه المتكلّم بمجرد تلفّظه بملفوظات معيّنة"[122]شريطة أن يرتبط بالقصد والذي يُترجمه السلوك في الفعل الكلامي؛ لأن القصد مقدّم عن الفعل "يحقق المتكلمون أشدّ قصودهم(مقاصدهم) اختلافًا. وفي ذلك لا يمكن أن تحدد المقاصد وان تحلّل على نحو مباشر مثل الأفعال القولية وأفعال التحقيق إلى حدّ ما.

وفي اللّغة السّائرة يفرق أيضاً بشكل حدسي بين ما يقال، وما يقصد، إذ يتعلق "المعنى" في المقام الاول بالجانب الإنجازي للفعل الكلامي المتمم، ويجب ان ينظر إلى الإنّجاز بوصفه جانباً قصدياً لفعل كلامي في سياق الموقف الكلّي البراجماتي – التواصلي(السياق البراجماتي التواصلي) ويشتمل الموقف الكلّي البراجماتي التواصلي، الذي يتضمن فيه كلّ فعل كلامي العلاقات الخارجية والداخلية أيضاً بين المتكلّمين والسّامعين التي يمكن أن توحّد في بعض تكوينات علائقية، وتتبع ضمن ما تتبع التكوينات العلائقية الداخلية المعرفة السابقة والفروض المسبقة المتعلّقة بالشركاء"[123] .

كما يمكن أن يفهم تحت مقصد فعل الكلام انجازه أو دوره الإنجازي المقصود والمتحقّق. "ويبرز في هذا السّياق السؤال الآتي: كيف يمكن أن يفهم المتحدّث

---

[121]– لقد أثارت نظرية سيرل في الأفعال الكلامية بعض المناقشات، حول النقاط التالية: تصنيفه للأفعال الكلامية الإنّجازية، مبدأ التعبيرية، قواعد القصدية والتعاقدية، قاعدة الصدق(الاخلاص)، تحليل الخطاب الخيالي الكاذب، تأويل الأفعال الكلامية غير المباشرة Martine Bracpos،Introdiction à la Pragmatique ، P53

[122]– التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط : 01، ت تموز (يوليو) 2005، ص:11..

[123]– مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ، زتسيسلاف واورزياك، ترجمه وعلّق عليه : سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر، ط:01، ت:1424هـ -2003م، ص22،21.

مقاصد المتكلّمين، إذا من غير الممكن أن تعرف المقاصد، كما قيل من قبل، من المادّة اللّغوية دائماً؟ لا يمكن أن يسفر فهم أفعال الكلام لذلك عن فوضى لا نهاية لها من التفسيرات الاعتباطيّة، لأنه لا يوجد نشاط توجّهه القواعد. فمن خلال التّمكن من قواعد الفعل الكلامي وشروطه أيضاً، التي تجعل إتباع القواعد المناسبة أمراً ممكناً، المطلبين الرّئيسيّين لتحليلات الفعل الكلامي الذي يوفر أساساً تطبيقياً لبناء نظرية للفعل الكلامي." [124]

لقد طغت الأفعال الإنجازية "الإخباريات"Assertive والتي تندرج ضمن تصنيف سيرلSearle على مجمل خطب الشيخ البشير الإبراهيمي للأفعال الكلامية كما هو معلوم،"واتجاه المطابقة فيها يكون من العقل(أو الكلمة) إلى العالم، وتشمل الإخباريات الأفعال التي تصف الوقائع والأحداث في العالم الخارجي، وتنقل أحوالها نقلاً أميناً "وأنّ طريقة توجيه إدراكنا نحو العالم وأحداثه، ذلك أنّ الكيفيات التي ندرك بها الأحداث والأشياء هي التي تحدّد فهمنا لها، وتبني تصوراتنا، وتعطيها أبعادها المختلفة.

بيد أنّ هذه الكيفيات لا تنطلق ابتداء نحو العالم، وإنّما تسيّرها، وتوجّهها الأغراض الوقتية، والمطالب الحياتية. فهي- بذلك- تُحدّد كيفية إدراك العالم."[125] وتابعة الإخباريات يكون مع الخطبة التي تواترت فيها الإخباريات بشكل كبير"،ويرد الفعل الادائيActes Performatifs بقوة انجازية يتنزّل" تفيد الاهتمام والتأكيد فسّياق الخطبة يدلنا على أنّ النّصر يتنزّل من أعلى إلى أسفل وبالتدريج كرذاذ المطر وفيه إشارة إلى التأييد والنصرة. وعلى أنّ النّصر من عند الله يؤتيه من يشاء وإنّه يجب

---

[124]- مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ ، زتسيسلاف واورزياك، المرجع نفسه، ص 23.

125- فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى، حبيب مونسي. دار الغرب. وهران. الجزائر. 2000. ص: 174.

الأخذ بأسبابه وأنّ النّصر لايتنزّل إلا بعد التمحيص والابتلاء والتمييز وهي نتيجة إخبارية لتنزيل النصر.

ولفظ يتنزّل وردت في القران الكريم من مادة نزل /22/مرة وفعل نزلنا /6/ مرات وفعل ينزل /17/مرة و فعل ننزل /2/ مرة و فعل ننزله في أية واحدة و فعل نزلناه في أية واحدة فعل انزل /83/مرة و فعل أنزلنا /25/مرة و فعل أنزلناه /14/مرة والمصدر تنزيل /10/مرات وكلمة تنزل /7/ مرات و كلمة نزلاً /6/ مرات، فالخطيب يوضح في تعبيراته وهو ذو مرجعية فكرية إسلامية متأثراً بأسلوب القرآن؛ لإنّه لولا تحالف شعبٍ وربٍّ لما حقق الرّب يوما سؤالا ويواصل تعبيراته التي يصف فيها حالة النصر المنزّل من السماء.

بفعل "يبتليهم "

إخباريات عن فعل الابتلاء

"فيعلم "المصلح من المفسد ويعلم صدق يقينهم .

هذه الإخباريات هي أفعال الإيضاح التي تبين كيف أنّ العبارة المتلّفظ بها ترتبط بفعل النصر وهو مقدم بفعل الابتلاء ليخلص الخطيب إلى النتيجة الإخبارية إلى العلم الذي يجري مجرى الاختبار والصقل والتمايز. قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ[126]) وتتعدد أفعال الإيضاح لتشمل أفعال السنن الكونية؛ لأن الله سبحانه عزّ وجلّ جعل سنن في المجتمعات كما جعل سنن في الكون وسننه في الكون قد تتخلف أحياناً بالخوارق والمعجزات، لكن سنته في

[126] – سورة محمد، الآية 31.

المجتمعات ماضية لاتحابي أحد وتستدعي أن ينهض النصر ويقوم على سواعد البشر وأن يكون هذا الجهد بشريًا وجماعيًا في قول الخطيب *:

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

جعل السيف فرقانا بين الحق والباطل

وانتج من المتضادات أضدادها،

فاخرج القوّة من الضعف

وولد الحرية من العبودية

وجعل الموت طريقا إلى الحياة،

وما أعذب إذا كان للحياة طريقا،

إخباريات عن دفع الأقدار بأضدادها.

ويخاطبنا الخطيب بأفعال تقوم على التضاد حيث لا تُعرف الأشياء إلا بأضدادها فقيمة الحياة تتجلى في هذا التضاد القائم بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين النور والظلام،بين الهداية والضلالة، فالتضاد يوضح المعنى ويقويه والتضاد هو أساس توازن الحياه وجمالها.والأفعال الإخبارية من مثل انتج، أخرج،ولد، جعل.

تكتسب قوتها الإنجازية في ممارسة التدافع في ردّ قدر الهزيمة بالنّصر، ودفع قدر ضعف الهمة بعلوها واستنهاضها إنّها سنة دفع الأقدار ماضية لاينفع معها الانكفاء والاستسلام والتقوقع.

ويوضح لنا الخطيب الشيخ البشير الإبراهيمي كيف أنّ السعادة لايُعبر إليها إلا عبر المشقة، وأنّ البدايات المحرقة نهايتها مشرقة ويجسدها الفعل الإنجازي"باءوا". بالصفقة الرابحة مع الله، فالشاري هو الله والبائع هو المؤمن والثمن هو الجنة (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ[127]) وهي نتيجة منطقية على أنّ الأفعال الأدائية Les Acetes Performatifs جاءت موفقة إلى حدٍ كبير في تبيان

[127] سورة التوبة، الآية 111.

عذوبة النصر وعسرة ولادته وأنّ الدنيا تؤتى غلاب وأنّ الحياة الكريمة لا تنقاد إلاّ لمن يركب الصعب ويصبر على صعاب ومشاق الطريق.

وقد تتخلل هذه الإخباريات Assertifs أفعال الإيضاح Expositifs التي تبين كيف يتجلى الله على أقوام بالغضب والسخط من خلال الفعل الكلامي "أحال" وعلى آخرين بالرحمة والرضا من خلال الفعل الكلامي "تجلى" وهي أفعال شاملة تجري مجري السنن الكونية والاجتماعية التي ليس فيها ظلم ولامحابة لِتات النتيجة ملازمة لفعل الإنجاز المرتبط بمآله وبيئته وزمانه الاستعماري فقد بين الخطيب كيف أنّ الله تجلى على بعض عباده بالغضب والسخط ؛لأن بسبب تفريطهم وتقصيرهم تحولت مساجد التوحيد[128]إلى كنائس للتثليث[129] .

إخباريات كيف تتحول الأشياء
- مساجد ـ التوحيد
- كنائس ـ التثليث

إخباريات توضح طبيعة الاستعمار الفرنسي في محاربة الإسلام ورموزه لقد كانت الحرب التي خاضتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية ضد الشعب الجزائري شاملة، من إبادة للجنس البشري وطمس معالم المجتمع الجزائري العربية والإسلامية، وهدم لمؤسساته الدينية والثقافية وشن الحملات العسكرية دون هوادة. وهي إخباريات

[128] –مفهوم التوحيد في الإسلام: توحيد الألوهية ان تعلم ان الله واحد وهو الذي خلق هذا الكون توحيد الربوبية ان تعلم ان الرب واحد ولكن في هذه الحالة لا شرط ان تعرفه فهو شيء موجود ولكن انت لا تعلمه على عكس الالوهية فانت تعلم ان الله في السماء السبعة وتعلم أسماءه وصفاته وتوحيد الأسماء والصفات هو العلم بان ال99 اسم كلهم لله واحده

[129]– مفهوم التثليث في المسيحية. باسم الثالوث الاقدس. الاب والابن والروح وروح القدس إله واحد. ان الأب والابن والروح القدس أقانيم يمتاز كل منهم عن الآخر منذ الأزل وإلى الأب انهم واحد في الجوهر متساويين في القدرة والمجد .

تحدث فيها الخطيب عن حالة تحول الأشياء لمن يراعي سنن الله في الكون والآفاق في إحداث التغيير، حيث ارتبطت النتيجة بأفعال انجازية كلامية كيف أنّ ما أُخذ بالقوة لايُسترد إلاّ بالقوة حيث أنّ فعل .

يتبعها قوم فيفلحون

ويعرض عنها قوم فيخسرون

إخباريات أنّ السُنَن الاجتماعية ماضية

لا تتحابي أحد.

من خصائص السنن الكونية والاجتماعية خاصية الثبات والدوام، أي أنّها لا تتغير،ولا تتبدل، ولا تتحول، وهي تجري على الآخرين كما جرت على الأولين وهي ماضية لاينفع معها الانكفاء والتبرم والتسخط ولا الجمود والتكلّس. وتتميز هذه السنن أيضا بالعموم والشمول؛ فهي تنطبق على الناس جميعا، دون تمييز ودون استثناء، وبلا محاباة، فالجزاء فيها من جنس العمل، والنتائج بمقدماتها، بغض النظر عن الدين ، والجنس واللون، والأصل والإيمان، والكفر، فالكلّ في ميزانها سواء، سنن الله التي لا تحابي أحداً . فالسنن الإيمانية – على أهميتها – لا تفعل ولا تؤثر في شيء من أحداث التاريخ ما لم تستند إلى حدّ أدنى من أسباب مادية و التي تصدق على جميع البشر عندما يتعاملون معها.

إنّ السنن والقوانين التي تضبط حركة التجمعات الإنّسانية تعمل دائماً في تزاحم وتدافع دائم، وما يظهر من النتائج هو المحصلة النهائية للسنن والأسباب المتزاحمة التي تعمل في وقت واحد . (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً[130]) قال تعالى: (لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ

[130] سورة الفتح، الآية 23.

مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً)[131] وظف الخطيب أفعال كلامية تنتمي إلى حقل دلالي واحد في هذا المقطع الذي استهل به خطبته*.[132]

وأشهد ان لا اله الا الله وحده،
صدق وعده
ونصر عبده
وأعزّ جنده،
وهزم الأحزاب وحده.

إخباريات عن اليقينيات
في التمسك بالعقيدة.

فالخطيب يعبر على أنّ العقيدة الإسلامية التي تسكن إليها النفوس وتطمئن إليها القلوب يقيناً جازماً لا يلازمه شكّ ولا ارتياب وهي تدل على اللّزوم والتأكد والاتفاق فاستراتيجية الشيخ البشير الإبراهيمي للخطاب – ونعني به التعبير عن حقائق هذا الدين– والتي تقوم على إسقاط فقه النّص على فقه الواقع مع الروح الإبداعية التي يمتلكها محمد البشير الإبراهيمي؛ " لايكتب ما يكتب بمعزل عن تمثُّل أسُسٍ وضعَها لتُفرِّدَ طريقته في الكتابة الأدبيّة، وتُميّزَ أسلوبَه في نسْج اللّغة؛ فكان يمضي عليها في زَخْرفَة القول، وتَحْلِيَةِ الكَلام، فلم يكن يكاد يتجَانفُ عنها فتيلاً.

لقد انماز أسلوب الإبراهيمي بثبات منتظم، لم يكن ليتغيّر أو ليتبدّل بتبدل الموضوعاتُ المعالجَة، والقضايا المتناوَلة؛ فسواءٌ عليه أكان يكتب عن قضايا اجتماعيّةٍ، أو سياسيّة، أو أدبيّة، فان مستوى اللّغة ظلّ ثابتا لديه. كما أنّ طريقة النسج باللّغة

---

[131] سورة النساء، الآية 123.

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

[132]: آثار الامام الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الإبراهيمي، ج5، (1954-1964)، دار الغرب الاسلامي، ص.ب 5787-113بيروت، لبنان، ط1 ص305، 306، 307، 308.

الرّفيعة ظلّتْ هي هي؛ حتّى أنّ الخبير بالأسلوبيّات يدرك بسهولة إذا قرأ نصّا غير معْزُوٍّ إليه، أنّه لمحمد البشير الإبراهيمي، لا لِسَوائه من الكتّاب.

لقد تمثَّل الإبراهيمي اللّغة معرضاً قائماً في سُوق أنيقة تُعرض فيها كرائمُ الألفاظ؛ وهو بذلك يكون قد حدّد، تلقائيّاً، مواصفاتِ هذه السّوق الرّفيعةِ التي ليست كأي شيءٍ من الأسواق، تُعرَض فيها أي بضاعة من البضائع الْمُزْجَاة؛ بل هي سوق تُجْلب إليها كرائمُ ألفاظِ العربيّة الْمُؤْتَنِقة، وعقائِلُ المفردات الْمُؤْتلقة. وألفاظه مانوسةً مألوفةً لدى المتلقّين، فهو يوجه عقله حين يكون كاتبًا.

تأتي أفعال الكلام من خلال الإخباريات بعد فعل الإقرار وفعل التعهد من خلال رسالة الإسلام الشاملة لمناحي الحياة شرعةً ومنهاجاً طريقاً بيناً واضح القسمات في تفريق الخطيب بين فعل الجهاد 133باعتباره قاعدة في حياة المسلم وبين فعل القتال الذي يعدّ استثناءً في تبيان القصد المرتبط بفعل السلوك في تشريع القتال من أجل إعلاء كلمة الله ونصرة دين الحق في نصابه؛ موافقاً للفطرة مصيباً للحق واضعاً الشيء في موضعه لإعلاء كلمة الله حتى استقام دين الحق في نصابه.

وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله

شرع الجهاد في سبيل الله ← **تعبيرات عن شريعة الجهاد في**

133– الجهاد مصدر جاهد من الجَهْد والجُهْد وقيل الجَهْد: المشقة، والجُهْد: الطاقة تقول: أجهد جهدك وقال الليث:الجَهْد: ما جهد الإنّسان من مرض أو أمر شاق فهو مجهود وقال ابن الاثير:بالفتح: المشقة وبالضم: الوسع والطاقة وقال الازهري: الجَهْد:بلوغك غأية الامر الذي لا تألو على الجهد فيه، وقال ابن عرفة:الجهد بالضم: الوسع والطاقة،والجهد بالفتح المبالغة والغأية والاجتهاد والتجاهد بذل الوسع والمجهود وحقيقة الجهاد :المبالغة واستفراغ الوسع في المدافعة باليد أو اللسان أو ما أطاق من شيء بينما القتال مشتق من القتل وهو معنى مخصوص من معاني الجهاد وعلى ذلك فان كل مسلم يجب ان يكون مجاهدا وليس بالضرورة مقاتلا،وهو بذلك استثناء وليس أصلاً.

وقاتل لإعلاء كلمة الله سبيل الله .
حتى استقام دين الحق في نصابه
وأدبر الباطل على كثرة أنصاره وأحزابه

هي أفعال تعبيرية تكشف عن النية والقصد الموافق للسبيل؛ لأنه كم من ساعٍ للخير لم يسلك سبيله وطريقه، رغم توفر النية الصادقة والعاطفة القوية، فالعمل الحسن لايقبل إلا إذا كان خالصاً وصواباً والخطيب يستمد لفظ إعلاء كلمة الله من عموم لفظ الحديث الشريف عن أَبِي موسى رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ عَنِ الرَّجُلِ: يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِياءً، أي ذلِكَ فِي سَبِيْلِ اللهِ؟ فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلمَ: ﴿ مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله﴾[134] فهو في سبيل الله، جاء بكلمة جامعة –عليه السلام–؛ لأن الشجاعة قد تكون لله وقد تكون لغيره؛ فجاء بكلمة عامة، وقد أوتي –عليه الصلاة و السلام– جوامع الكلم واختصر له الكلم اختصارا، فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، فالأخباريات assertifs تشير إلى الفعل الإنجازي القتال من أجل إعلاء كلمة الله كيف يحقق الاستقامة في الدين، ويقوض أركان الباطل على كثرة أنصاره وأحزابه، ونصرة الفئة القليلة على الفئة الكثيرة .

والشاهد في ذلك عند الخطيب قوله تعالى: (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّه)[135] وقال أيضاً: (يَا أيهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ أن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَان يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بأنهم قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ[136]). هذا هو شعار المؤمنين في حروبهم وشأنهم دائماً في صراعاتهم

---

[134]– حديث متفق عليه.

[135]– سورة البقرة، الآية 249.

[136]– سورة الأنفال، الآية 65.

مع أعداءهم، فهم لا ينتصرون بعدتهم، ولا بعتادهم، فحسب، إنّما يتنزل النصر عليهم من عند الله سبحانه وتعالى، على قلتهم وكثرة أعدائهم، وهذا أمر بشرى.

وما أعذب إذا كان للحياة طريقا *
وبايعه عباده المؤمنون الصادقون على الموت
فباءوا بالصفقة الرابحة

تعبيرات عن مبايعة المؤمنين الصادقين لله رب العالمين

فالصبر في النائبات صعيب وعلى النفس يأتي ثقيل، فالقوة الإنجازية التي تربط النصر بفعل الصبر، تُفهم من سياق الكلام، فتلازم النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، والفعل جعل فعل كلامي ارتبط بالضمير الغائب المؤثر في تنزيل النصر على الصابرين في قول الخطيب الشيخ البشير الإبراهيمي" وجعل نصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة منوطا بالأيمان والصبر،"[137] قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(وَاعْلَمْ أن النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وان الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ ، وان مَعَ العُسْرِ يُسراً)[138]

إنّه المثال الذي اختاره البشير الإبراهيمي لأن شاهده قائم بين يدي الحاضرين، يبصرون كيف تحولت كنيسة التثليث إلى مسجد للتوحيد، وكيف عاد المسجد لمجده الأول الذي أسس عليه. هنا غضب وهنا رحمة. ولا ظلم ولا محابا. أما سنة الله في خلقه، تتكرر كلما تأذنت أسبابها، وحان أوانها وإنّه:« جعل نصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة منوطا بالإيمان والصبر» على الرغم من غلبة الظلم وكثرة أنصاره. وهو يقين آخر ينضاف إلى اليقينيات الأولى التي تجعل النصر مشيئة ربانية، ليس لها صلة بالكثرة والعدة والاقتدار، وإنّما هذه كلّها من الأسباب التي تجريها السنة لإحداث التغيير. فقد يهزم الجمع القوي الغفير، وتنصر الفئة القليلة الضعيفة. مادام شرط

---

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

[137]: آثار الإمام الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الإبراهيمي، ج5، ص305، 306، 307، 308.

[138]–الراوي: انس بن مالك – المحدث: الألباني – المصدر: السلسلة الصحيحة – الصفحة أو الرقم: 2382 خلاصة الدرجة: صحيح - (ينظر نص الخطبة في الملحق)

النصر إيمان وصبر. بل أنّ النصر الحق ليس نصر معركة وجولة، فقد تكون الحرب سجالا، وإنّما النصر نصر التأسيس والبناء والاستدامة.

الفعل التأثيري وهو جملة الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي كما يقول أوستين عندما نقول شيئا ما قد يترتب عليه حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته، كأن أجعل مستمعي يقتنع بشيء ما، أو أجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء وقد يكون ذلك عن قصد ونية أو عن غير قصد، كما أنّ الفعل الإنجازي والفعل التأثيري يستلزمان معا الاتفاق. فهذه الإخباريات تجسد علاقة القوة الحجاجية بالفعل الكلامي لمعرفة القدرة الإقناعية من حيث القوة والضعف، والتي تدفع الخطاب نحو النتائج المطلوبة؛ لتحقيق أهداف المتكلم المرجوة من إقناع وتأثير والحمل على الإذعان. والخطيب يحاول إقناع المتلقي بآرائه مستثمراً الأساليب البلاغية باختيار الحجج المناسبة.

فالتشبيه في قوله:"من رحمات الله الصَّيّبة"* الفعل الإنجازي يتضمن معنى القول في طلب الخطيب نزول رحمة الله على الشهداء كنزول الوابل الصيب على منابت العشب وحافة الأودية، فالأقوال البلاغية تلعب دوراً تحليلاً داخل الحجاج حيث تبرر أهدافه الإقناعية وذلك من أجل استمالة المخاطب وأنّ الألفاظ تكتسب في السياق التمثيلي صور وروئ ذات دلالات جديدة ويعتبر أساساً في عملية الإبداع باستداع صور تحكي إحداثاً من أجل نقل أفكار مرجعية ذات قيمة رمزية، وبناء العلاقة التي تقوم بين عناصره في إطار ما يسمى بالانزياح قصد تجلية الصورة وتبيان المعنى.

إن الإبراهيمي يدعو الله أن ينزل رحمته وصلواته على الشهداء الأبرار سفراء الوطن المفوضين فوق العادة في الدفاع "عن شرف الحياة، وحرمات الدين وعزة الإسلام، وكرامة الإنّسان وحقوق الوطن"[139].وبتنفيذه لفعل الالتماس تحصل إحدى

---

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

[139]: آثار الإمام الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الإبراهيمي، ج5، ص305، 306، 307، 308.

النتائج السابقة، والمهم هنا هو دقة المتكلم في اختيار الفعل الإنجازي المناسب، ونية تنفيذه للحصول على النتيجة المناسبة.

شرف الحياة
وحرمات الدين
عزة الاسلام } **إخباريات عن بطولات الشهداء في تحقيق الأهداف**
كرامة الإنّسان **العليا للدين والوطن والإنّسان**
حقوق الوطن

إنّ الولاء للدين لا يتحقق إلا بالولاء للوطن وإنّ نظرة الشيخ البشير الإبراهيمي للوطن يجب أن تكون من خلال المقدس فحبّ الأوطان من الإيمان، وحبّ الوطن والتصاق أبنائه به مشاعر فطرية تتساوى فيها المخلوقات كافة فمثلما يحّن الإنّسان لوطنه فإنّ باقي المخلوقات تحّن لأماكن إقامتها مهما هاجرت وابتعدت.

وقد استقر حبّ الوطن في نفوس هذه المخلوقات كآفة منذ بدء الخليقة وبات الدفاع عنه قاموساً للفخر وميداناً لبذل المهج ومسرحاً للفداء وإن عزت الحياة. ومن حق الوطن علينا أن نمنحه خالص الولاء؛ لأننا نشأنا على أرضه وشببنا على ثراه وترعرعنا بين جنابته، فالوطن عند الإبراهيمي صدق انتماء وبذل وعطاء.وقد تجلت قمة العطاء عندما نموت من أجله. وندافع عن شرف الحياة وحرمات الدين وكرامة الإنسان وحقوق الوطن وفي مجملها أفعال إنجازية تؤدي معنى إضافي زيادة على معناها الأصلي في تواتر نسبي لتحقيق مقاصد تداولية.

ثمّ يتوجه الخطيب بفعل الطلب **استمد** في قوله: "واستمد من الله اللّطف والإعانة لبقايا الموت وآثار الفناء ممن ابتلوا في هذه الثورة المباركة بالتعذيب في أبدانهم والتخريب لديارهم والتحيف لأموالهم"[140] عندما يأخذ منحنى تداولي متجهاً إلى المعنى والغرض، والذي يكون أكثر استجابة لطبيعة النّص المدروس ولغرضه العلمي من

[140]– آثار الامام الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الإبراهيمي، ج5، ص305، 306، 307، 308.

خلال الوعاء الديني، في صناعة الأفعال والمواقف والسلوكيات الاجتماعية والمؤسساتية بالكلمات .

يكشف الخطيب حجم ما حدث للشعب الجزائري في إخباريات تسلط الضوء وتعرّي سلوك الاستعمار الهمجي والأسى يعتصر قلبه لبقايا الموت وآثار الدمار والفناء؛ لأن الاستعمار حبيب الفناء عدو الحياة؛ وهو تعبير عن قسوة الاستعمار الفرنسي وشراسته وبربريته، وهي أفعال تصف الوقائع والأحداث في العالم الخارجي وتنقل أحوالها نقلاً أميناً وقد جاءت متواترة، فبقايا الموت وآثار الدمار والفناء خطاب إخباري بالدرجة الأولى في وصف وحشية الاستعمار، لكن هذا لا يعني خلو الخطبة من بعض القوة الإنجازية الأخرى.

بقايا الموت، ممارسة آثار الفناء ← **إخباريات عن سلوك الاستعمار الهمجي في التقتيل الوحشي و مجازر الإبادة الجماعية**

لقد عانى الشعب من قهر الاستعمار الفرنسي الوحشي ومن همجية عسكره ومدنييه في الجزائر طيلة أكثر من قرن من الزمن، وأخطر ما فعله في المنظور البعيد هو الجرائم الثقافية والفكرية بوصفها المعبر عن هوية المجتمع وقيمه وتراثه وكل مخزونه المعنوي.حيث تعرضت خصوصية المجتمع إلى الهدم والاستئصال والطمس وسلخها عن مقوماتها من دين ولغة وأعراف والقضاء على كل وسائل الحضارة والهوية، "فهو ليل طويل للاستعمار الذي استولى على الأرض، وأراد استعباد أهلها، واقتلاعهم من جذورهم الضاربة في أعماق التاريخ "[141]بهدم المساجد والمدارس والزوايا العلمية ومحاربة العلماء وسجنهم ونفيهم[142] لتجهيل أبناء الشعب وإشاعة الأمية في أوساطه فيسهل بعد ذلك الاستخفاف به واستعباده وقهره.

---

[141]– آثار الأمام الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الإبراهيمي، ج1، (1929-1940)، ص23.

[142]–نفي الشيخ البشير الإبراهيمي إلى مدينة أفلو ، ولاية تيارت سابقا، وولاية الاغواط حالياً.

ثم يقوم الخطيب الإبراهيمي بتصوير بشاعة جرائم الاستعمار التي لحقت الشعب الجزائري إبان الاحتلال. " ابتلوا في هذه الثورة المباركة بالتعذيب في أبدانهم والتخريب لديارهم والتحيف لأموالهم[143]"

ابتلوا [144] { إخباريات تكشف قمة الإبتلاء الذي تعرضه له الشعب الجزائري بالتعذيب في الأبدان

فعل الاستعمار مستنسخ وواحد وقديم قدم البشرية في ممارسة القهر والجور في حق الشعوب المغلوبة على أمرها والثائرة لاسترداد كرامتها وأسباب وجودها ويتجلى ذلك من خلال أفعاله في ممارسة.

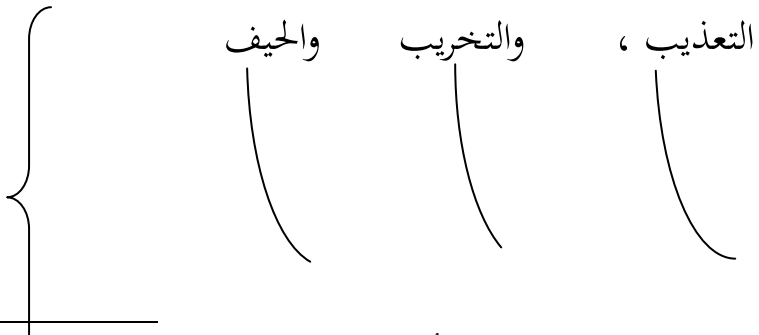

[143]- حيف : الحَيْفُ: المَيْلُ في الحُكم، والجَوْرُ والظُّلم. حافَ عليه في حُكْمِه يَحِيفُ حَيفاً: مالَ وجارَ؛ ورجل حائِفٌ من قوم حافةٍ وحُيَّفٍ وحُيَّافٍ. الأزهري: قال بعض الفقهاء يُرَدُّ من الحائِلِ ما يُرَدُّ من جَنَفِ المُوصِي، وحَيْفُ الناحِلِ: أن يكون للرجل أَولاد فيُعْطِي بعضاً دون بعض، وقد أَمر بأَن يسوِّي بينهم، فإِذا فضَّلَ بعضهم على بعضٍ فقد حاف. وجاء بَشِيرٌ الأنصاري بابنه النُّعمان إِلى النبي، صلى اللّه عليه وسلم، وقد نَحَلَه نُحْلاً وأَراد ان يُشْهِدَه عليه فقال له: أَكُلَّ ولَدِكَ قد نَحَلْتَ مِثْلَه؟ قال: لا، فقال: اني لا أَشْهَدُ على جَيْفٍ، وكما تُحِبّ ان يكونوا أَولادُك في بِرِّك سواءً فسَوِّ بينهم في العَطاءِ. وفي التنزيل العزيز: ان يَحِيفَ اللّهُ عليهم ورسولُه، أَي يَجُورَ. وفي حديث عمر، رضي اللّه عنه: حتى لا يَطْمَعَ شَرِيفٌ في حَيْفِكَ أَي في مَيْلِكَ معه لشرَفِه؛ الحَيْفُ: الجَوْرُ والظلم. وحافةُ كل شيءٍ: ناحِيَتُه، والجمع حَيَفٌ على القِياسِ، وحِيف على غير قياس. ومنه حافَتا الوادي، وتصغيره حُوَيْفةٌ، وقيل: حِيفةُ الشيءِ ناحيته. وحكى ابن الاعرابي عن أَبي الجَرَّاح: جاءنا بصَيْحةٍ سَجاجةٍ تَرى سوادَ الماء في حِيفِها. وحافتا اللسان: جانباه. وتَحَيَّفَ الشيءَ: أَخذ من جوانبه ونواحيه؛ وقول الطِّرِمّاح: تَجَنَّبها الكُماةُ بكلِّ يَوْمٍ مَرِيضِ الشَّمْسِ، مُخْمَرِّ الحَوافي فُسِّر بانه جمع حافةٍ، قال: ولا أَدري وَجهَ هذا الا ان يُجمع حافةٌ على حَوائِفَ كما جَمَعوا حاجة على حَوائِجَ، وهو نادر عَزِيز، ثم تُقلب. وتَحَيَّفَ مالَه: نَقَصَه وأَخَذَ من أَطْرافه. وتَحَيَّفْتُ الشيءِ مثل تَحَوَّفْتُه إِذا تَنَقَّصْتَه من حافاته.
والحِيفةُ: الطَّرِيدَةُ لإِنّها تَحَيَّفُ ما يَزِيدُ فتَنْقُصه؛ حكاه أَبو حنيفة. والحافان: عِرْقان أَخضران تحت اللسان، الواحد حافٌ، خفيف. والحَيْفُ: الهامُ والذكر؛ عن كراع. وذاتُ الحِيفةِ: من مساجِد النبي، صلى اللّه عليه وسلم، بين المدينة وتَبُوك. انظر: معجم لسان العرب، (لإبن منظور رحمه، ص
أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ ان يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ الأية 50 من سورة النور

144- من السنن الكونية وقوع البلاء على المخلوقين اختباراً لهم، وتمحيصاً لذنوبهم ، وتمييزاً بين الصادق والكاذب منهم قال الله تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأموال وَالإنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) البقرة،الأية156.وقال تعإلى(وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) الإنبياء ، الأية35

فالخطيب في مدونته يعبر عن إحساسه الأليم وامتعاضه الكبير لهول ما لاقى الشعب الجزائري، من ويلات وما كابد من عذبات، فهذه الإخباريات تخبرنا عن الحقبة الاستعمارية وما حدث فيها زهاء قرن وثلاثين سنة. من استباحة للدماء والأموال وتخريب للديار والممتلكات" ومن الضروري الإطلاع على هذه الحقبة التاريخية المتميزة في حياة الجزائر والوقوف على مختلف أبعادها الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وفهم تطور الوعي في المجتمع الجزائري الذي تطورت معه أساليب المقاومة والجهاد من أجل التحرير والاستقلال"[145] .

وتندرج ضمن السلوكيات Behabitives بلغة أوستين، وهي إخباريات Assertives لفعل كلامي أشمل بلغة سيرل فالخطيب يتحسر ويتوجع –وهو يحمل همّ وطنه وأمته– من فعل الاستعمار، وفي نفس الوقت يكشف سَوءته وأفعاله الشنيعة من قهر وظلم وتنكيل وترحيل ونهب وسرقة للأموال والمقدرات وتدمير البيوت على ساكنيها وتشريد أهاليها، وهذا تصوير لحال الشعب الجزائري في ظلّ الاحتلال وقد مورست عليه هذه الأفعال وهي أفعال أدائية موفقة في وصف واقع الأمة في إذاقة الشعب صنوف التعذيب من تنكيل وإعدامات وإبادة جماعية وقد تفنن الاستعمار والتاريخ شاهد على ذلك.

145- آثار الإمام الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الإبراهيمي، ج1، 1929-1940، ص7.

وفي هذا الجو من القمع والتخريب والاعتداء على الثروات والمال العام والخاص، وما آلت إليه أوضاع الوطن وقد تحولت إلى بيئة مبوءة وإبراز حالة الشعب المحكوم بالقهر والخوف، ممّا يجعل المخاطب يعقد مقارنة بين الماضي والحاضر. والسياق هو الذي يساعد لقارئ على استجلاء هذه المعاني وفهمها، بالإضافة إلى المعرفة المشتركة بين الخطيب والمتلقي ،باعتبار أنّهما ينتميان إلى ثقافة واحدة وبيئة استعمارية مشتركة، ومصير واحد .

ويواصل الخطيب التماسه وطلبه على غير وجه الاستعلاء وبلغة الانكسار والخضوع للإرادة العليا بأفعال كلامية لأن مدار الأمر، والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع، أنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع. وترتبط قضية الفهم، والإفهام بوظيفة المتكلّم الساعي إلى إظهار الخفيّ، وتوضيحه للسامع، بالاستعانة بكلّ الوسائل اللّسانية والإشارية لتحقيق الفهم وتحقيق القوة الإنجازية في الأفعال الأدائية التي تدعو القائمين بشؤون الأمة[146] والشأن العام بعد

زوال الاستعمار ودحره وتقويض أركان وجوده أن يرفعوا سقف اهتمامهم وأن تعلو هممهم ويتطلعوا إلى حال غير حالهم ويتهيؤا إلى الاستقلال بعد الاستعمار، وإلى البناء بعد الهدم والخراب إذا توفرت عناصر الإرادة والإخلاص والرحمة والوحدة والشورى والتعاون التي تنير الطريق.

146– وردت كلمة أمة في القران على عدة معان :. وردت بمعنى الزمن والوقت كما في هذه الأية و في قوله جل وعلا في يوسف ماذا؟ (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) أي بعد الزمن بعد مرحله هذه واحده .. و تأتي بمعنى الرجل المقتدى به قال الله جل وعلا (ان إِبْرَاهِيمَ كَان أُمَّةً)

. وتأتي بمعنى الجماعة من الناس رجالا و نساء (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً) فالأمة هنا الجماعة من الناس الرجال مع النساء. . وتأتي أمة بالجماعة من الرجال دون ماذا؟ دون النساء قال الله جل و علا عن موسى (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) أي رجال يسقون (وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَان) . و تأتي بمعنى الملة والدين (انا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ).

لقد عمد إلى توظيف أفعال تأثيرية من أفعال الحكميات Verdictifs ليضفي على تعبيراته Expressif قوة إنجازيةForce Illocutionnaire التي يجب أن يمارسها ذوي شأن العام من رعاة الخلق في رعاية مصالح الوطن العليا، وتحقيق الوحدة التي تبعث القوة، والألفة التي تجمع الشمل، والرحمة التي تضمد الجراح، والتعاون الذي يثمر المنفعة، والإخلاص الذي يهون العسير، والتوفيق الذي ينير السبيل، والتسديد الذي يقوّم الرأي ويثبت الإقدام.وهو فهم الخطيب الإبراهيمي للحراك التاريخي، وحركة الزمن التي تعطي للفعل البشري القدرة على دفع التحول والتغيير، واستدامة الحال :

وهنا، يتقاسم الخطيب ومخاطبه المعرفة المشتركة، ويتحقق شرط عقد النيّة والصدق في الخطاب، إذ أنّ الخطاب يطابق العالم وتحاولاته، وهو ما نلمسه عند الإبراهيمي وهو يدرك في أعماقه أنّ الاستقلال الذي هانت التضحيات في سبيله، ما هو الاّ مرحلة في صراعنا الحضاري ضد قوى الاستعمار في مختلف أشكاله، والجمع بين الأصالة والمعاصرة والحفاظ على مقومات الأمة، وخصائص الشخصية الوطنية.

ألفة تجمع الشمل*
ووحدة تبعث القوّة
ورحمة تضمد الجِراح
وتعاونا يثمر المنفعة
وإخلاصا يهون العسير
وتوفيقا ينير السبيل
وتسديدا يقوم الرأي
ويثبت الأقدام

نتيجة إخبارية لتلك التحوّلات والتطلع لما هو أفضل بإلتزام هذه القيم والمحافظة على الوطن واستقلاله

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

وقد جاءت هذه التوجيهات لرعاة الخلق تحتج بمقابلات بلاغية تنتهج مقدمات ملزمة بنتائج ممكنة الوقوع هي محل اتفاق كالوحدة، والرحمة، والتعاون،والشورى والألفة وسبيل ذلك الإخلاص وقد جاء الخطاب بها متناغمًا منسجماً، مدركاً للغاية المرجوة وإلى السبيل الموصل إلى ذلك وهو ما يعرف بحجة التجاوز Argument de Dépassment وتتجه هذه الحجة نحو المستقبل فقد أفاض وأطال في هذا المقام فجعل الخطبة تفصيلا لما اقترف المستعمر من جرائم، وما حملت الأجساد من شهادات التعذيب، وانقلب جو الخطبة إلى مقام جنائزي مترعًا بالأحزان، يتحسس فيه كل جريح جراحاته، ويتلمس كل مفتون آهاته.

إلاّ أن البشير الإبراهيمي يتخطى سريعا هذا المزلق ليجعل الماضي وراءه، ويشرئب بوجهه إلى مستقبل تبدت تباشيره في الأفق القريب. فيدفع بين يديه بمنهج بنائي غاية في الدقة والتبصّر وهي: " إمكانية السير دائما نحو نقطة أبعد في اتجاه ما دون أن نلمح للسير في ذاك الاتجاه حداً وذلك بفضل تزايد مطرد في قيمة ما"[147] وهو الآثار المترتبة عن الفعل الإنجازي يقول أوستين: "عندما نقول شيئا ما قد يترتب عليه حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره و تصرفاته"، كان أجعل مستمعي يقتنع بشيء ما، أو أجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل شيء...و قد يكون ذلك"[148].والخطيب يحاول إقناع القائمين على شؤون الدولة الجزائرية بما هو واجب عليهم في بناء دولة ما بعد الاحتلال.

---

[147]- الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجرة بنيته وأساليبه ،سامية الدريدي: ، عالم الكتب للحديث والنشر والتوزيع ، إربد –الأردن ، جدار للكتاب العالمي ، عمان الأردن ، دط ، ت : 2007. ص226.

148- ينظر أوستين:نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلمات)ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقياالشرق،1999، ص100.

ثمّ يعود الخطيب مجددا ليطلب من القائمين على شؤون الأمة من خلال تعبيرياته Expressifs الدعوة إلى الحكمة المستمدة من تعاليم الإسلام وروحانية الشرق وأمجاد العرب في إصابة الحق ووضع الشيء في موضعه ؛لأنه من يؤتاها فقد أوتي خيراً كثيراً، وهي تعبيرات الخطيب الإبراهيمي التي تتضمن توجيهات Directifs أمِلةُ أنّها مطالب تخص الفئة الحاكمة التي ستكون في حاجة ماسة إلى ألفة، ووحدة، ورحمة، وتعاون، وإخلاص، وتوفيق، وتسديد، وحكمة، وعزيمة. وهي كلّها مرتبطة بفعل المضارعة المنفتح على الاستقبال، لأنها في خطوتها الأولى لا تحتاج إلى عون مادي بقدر ما هي في حاجة إلى عون معنوي أساسه الأخلاق والقيّم والإخلاص والصبر.

إنّها دعوة إلى تجاوز كافة الخلافات التي أفرزتها مضايقات الثورة والحرب، واختلاف الرؤى والأفكار. وكان الخطيب يعتبر كل ذلك من جراحات الماضي التي يجب على الحاضر استدبارها وطلب اللّطف فيها، والمضي قدما إلى شأن جديد يؤمم شطره إلى غد يحتاج إلى تعاون، وعزيمة، وحكمة وقد ارتبطت بالمرجعية ذات البعد الإسلامي.

إن المخاطبون من خلال أدلة لسانية تكونت من معطيات وافتراضات معترف بها فيما بينهم أسست لخلفية تواصلية أثناء عملية التحادث والتخاطب وما ينتج عن هذا التفاعل بما يتمثل في إنجاز الفعل، وتعني إدراك الباث أو المتلقي الرسالة إدراكًا نظريًا، ومن ثمّ يقع التأثير في المخاطب، اجتماعياً أو مؤسساتياً، ومن ثمّ إنجاز شيء ما في إطار المرجعية الفكرية التي يغترف منها، وما يلاحظ على نظرية "أوستين وسيرل " بأنها لا تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الاجتماعية، والنفسية للمتخاطبين مثل المواضعة،و التأثيرات النفسية .

تعاليم الإسلام*
روحانية الشرق } توجيهات طلبيه تحدد إستراتيجية بناء المستقبل، ومفهوم
أمجاد العرب } الاستقلال في ظلّ مبادئ الاسلام.

فالإبراهيمي ينطلق من وعي كامل وشامل غير مجتزئ في مشروعه النهضوي الذي حدد معالم الجزائر المستقلة التي تنتمي إلى الحضارة العربية الإسلامية من غير استلاب ولا تغريب، ومن غير جمود ولاتكلس، فالمحافظة على جوهر المقومات هو جوهر المحافظة على الإسلام والانتماء القومي العربي، وعلى الخصوصية الجزائرية، وهو الشعار الذي رفعته جمعية العلماء المسلمين[149]في مواجهة الاستعمار الفرنسي، والذي يجب أن يقوم على الدين، "فإذا كانت الأوطان تجمع الأبدان، وأنّ اللّغات تجمع الألسنة، وإنّما الذي يجمع الأرواح ويؤلفها، ويصل بين نكرات القلوب فيعرفها فهو الدين، فلا تلتمسوا الوحدة في الأفاق الضيقة، ولكن التمسوها في الدين، والتمسوها من القرآن تجدوا الأفق أوسع، والدار أجمع، والعديد أكثر والقوى أوفر."[150]

وعزيمة تقطع دابر الاستعمار من النفوس* } طلبيات آملة في ممارسة الكره والعداوة

* – ينظر نص الخطبة في الملحق

[149]– تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 5مأيو 1931 في نادي الترقي بالعاصمة الجزائرية على يد الشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس إثر دعوة وجهت إلى كل عالم من علماء الاسلام في الجزائر،كردة فعل أيجابي على احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلال الجزائر، بعد ما أيقنت ان الجزائر قد أصبحت إلى الابد قطعة منها، مسيحية الدين، فرنسية اللسان، فجاء شعار الجمعية صارخا مدوياً في وجه فرنسا، وراسماً طريق الخلاص منها: " الاسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا". آثار الإبراهيمي نفسه، ص11

[150]– آثار الامام الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الإبراهيمي، ج1، (1929-1940)، ص15.

* – ينظر نص الخطبة في الملحق

بعد أن قطعت دابره من الأرض للاستعمار بمختلف أشكاله واستئصاله

من النفوس بعد أن استؤصل في الأرض

ونحن ندرس الخطبة ذات البعد الديني نريد استنباط الأحكام التي أسست النّص وأخرجته على هذه الهيئة دون غيرها من الهيئات. وهي مهمة ترتكز أولاً على ما يمكن تسميته بـ**فلسفة المواقف**؛ لأن الأمة تنبني على المواقف لا على الخطب والكلام فقط: علم نافع يصاحبه عمل صالح من خلال إعلانّ المسجد بعد الاستقلال وقد ضمّ بين جدارنه مختلف المشارب الفكرية والسياسية والقوة الحيّة التي ساهمت في قطع دابر الاستعمار من الأرض وهي مطالبة بقطع دابره من النفوس.

وقد استعمل الإبراهيمي الفعل الماضي (قطعت) على وجه الإخبار والإنّجاز وهي إشارة إلى دحر الاستعمار رغم قوة عتاده وعدته وحلفائه في الأرض، ليتوجه إلى جمهوره —وقد امتلئ قلبه نشوة وفرحا بالنصر– بفعل طلبي جاء في صيغة المضارع الذي يفيد الاستمرار في كره الاستعمار، من جهة ومن جهة أخرى يرتبط بفعل المضارعة المنفتح على الاستقبال، وهي أفعال توجيهية تؤثر على المتلقي بجعله لا ينس ليل الاستعمار الطويل الغاسق، وهو استعمار روحي ثقافي قبل أن يكون محتلاً على الأرض، مستغلاً للخيرات،مهيناً للمقدسات.

. ونعوذ بالله ونبرأ إليه من كل **داع** [151] يدعو إلى الفرقة والخلاف، وكل **ساع** [152] يسعى إلى التفريق والتمزيق وكل ناعق ينعق بالفتنة والفساد.

151-(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِي إِلى شَيْءٍ نُكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الاجْدَاثِ كَانهمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ)الأية 6،7،8 من سورة القمر.

152- (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ الا دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ.) الآية 171من سورة البقرة

"إذا كان "الموقف"يملي على الخطيب مراعاة اللّحظة التي يتوجه فيها إلى جمهوره، واعيا بتركيبته البشرية، مدركا مستوياته المعرفية، فإنّه – استجابة لهذا الوضع الخاص– يملي عليه الطريقة التي يجب أن يسيِر بمقتضاها الكلام حتى يضمن جملة من الأهداف تتراوح بين التأثير والتغيير. وكان الخطيب حينما يستجيب للموقف، يهندس كلامه على نحو يتأكد من خلاله التبليغ الكامل للرسالة، دون أن يجد اعتراضاً كبيراً عند بعضهم. لذلك وجدنا البشير الإبراهيمي يقدم كلمته على النحو التالي:" الأولى استراتيجية بناء المستقبل، السؤال التعوذ، الأحياء ،الهوية."[153] وهو يتعوذ ويبرأ إلى الله بفعل إنكاري تجسد في الأفعال التالية*:

153 Http://Rawdataladaab.Blogspot.Com/ مقال بعنوان مفهوم الاستقلال ورؤى المستقبل في أول خطبة للبشير الإبراهيمي فهم جديد للحراك التاريخي. مدونة د حبيب مونسي،19نشرت من أغسطس(أكتوبر) 2010م

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

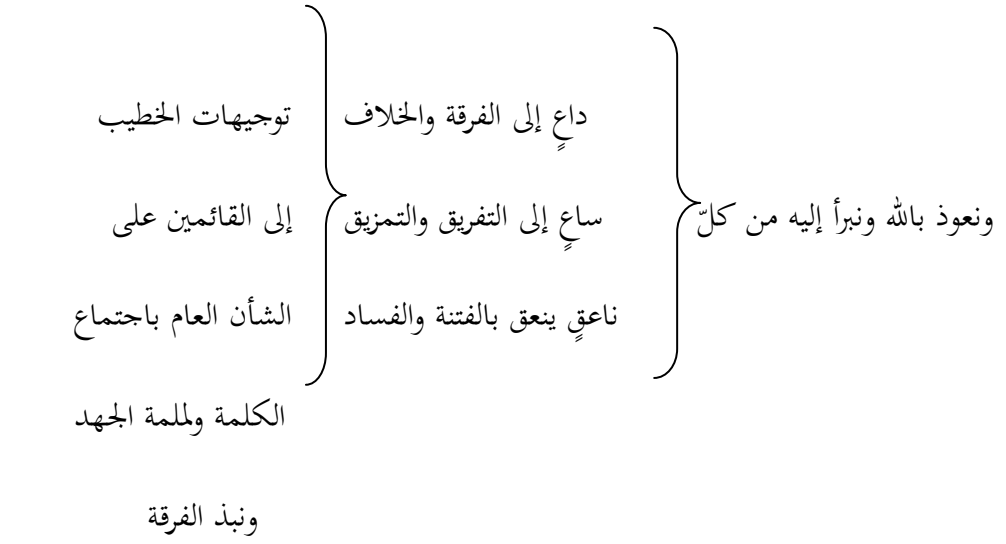

فإذا تدبرنا مادة التعوذ رأينا كيف يشتغل عقل المصلح، حين ينتقل من الخاص إلى العام، دون أن يسحب الخاص منه سحبا كلياً. فالمخاطب في هذه الخطوة ليس العامة من الناس وحدهم وإنّما القائمون بشؤون الأمة لأن فيهم الداعي والساعي والناعق. غير أنّ الذي ينقل هذه الخطوة إلى العام هو اشتراك الناس فيها، حينما يكون الداعي كل متحدث بأقاويل الفرقة والخلاف، ويكون الساعي كل عامل بأسبابها مجر لأحابيلها في أواسط الشعب حاكمين ومحكومين. أما الناعق فهو الذي يتحدث بما لا يعلم إما عن جهل أو سوء نية.[154] ولقد خاطب الإبراهيمي الشعب الجزائري بجملة انجازيه صريحة في توحيد الهدف واجتماع الكلمة؛ لأن اجتماعهم حجة قاطعة، وترك الخلاف والفرقة والتمزق حتى لا تذهب ريحهم ويتبدد استقلالهم بعد أن قطعوا دابر الاستعمار من الأرض.

فاللّفظ المأنوس هو الذي يستأنس له القرّاءُ أو المتلقّون فتقبَلُه أذواقُهم، ولا تنبو عنه أسماعُهم؛ والخطيب الإبراهيمي يستوحي معانيه وأفكاره من القرآن الكريم في

---

[154]: *http://rawdataladaab.blogspot.com/* مقال بعنوان مفهوم الاستقلال ورؤى المستقبل في أول خطبة للبشير الإبراهيمي فهم جديد للحراك التاريخي. مدونة حبيب مونسي ،19 نشرت من أغسطس(أكتوبر) 2010م.

توظيفه للنص و استدعائه الموفق في الانتقاء بما يخدم السياق،تحت صفة منتظمة وحاصرة قصد حدوث بعض الآثار من جهة فعل الإنّجاز على إحساس المخاطب وأفكاره وتصرفاته وهي تقنية حجاجية ذات مسحة دينية توظف المقدس،وتوضح الموقف وتعلله أمام مخاطبيه؛لإفهامه دعوته المخصوصة.فلفظ داعٍ،ساعٍ، ناعق، دابر كلّها مستوحاة من القرآن الكريم ،وتحيل إلى المعاني وتنوب عن الأحداث والمواقف من جهة التقدير والتصديقAssessement. وتهدف إلى إيصال المعنى إلى نفس السامع، عن طريق الحجج والبراهين المنصهرة في لغة النّص.

إن هدف الحجاج حسب **بيرلمانPerelman** هو"دراسة تقنية الخطاب التي تسمح بإثارة تأيد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته"[155] فدراسة الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي لا تكتفي بالأفعال الكلامية المباشرة، إنّما تتجاوز هذا المستوى إلى مستوى دلالي أعلى فهي أفعال كلامية شاملة ذات أبعاد متعددة؛ يدعو فيها إلى الإتلاف ونبذ الفرقة والخلاف."فقد يكون المقطع النّصي أو النّص الدّال على ذلك متضمناً لمجموعة من الأفعال الكلامية الأولى، ولكن ذلك لايؤثر في شيء في تأديته لفعل كلامي أشمل."[156]

إن الخطبة مجموع مركب وغير قابل للتجزىء، ولا للفهم المجتزىء يصير كلّ شيء فيه، حسب عبارة بودلير" دالا ومتبادلاً ومتضاداً ومتناسباً"[157]ورصدنا للأفعال

---

[155]- بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة،صلاح فضل، الكويت، د ط: صفر 1413هـ 164، أكتوبر /أب1992م، ص74.

[156]- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،عمر بلخير ، منشورات الاختلاف، الجزائر ،ط01، ت:2003.

ص:186.

[157]- قضايا الشعرية ،رومان ياكبسون، ،ص:22،23.

الإنجازية والتي تمثل القوة الإنجازية في الخطبة التي تظل ملازمة للعبارات اللّغوية في مختلف المقامات التي تريد فيها؛ "لأن القوة الحرفية تؤخذ مباشرة من صيغة العبارة ذاتها"[158] .

فالفعل الإنجازي للتوجيهات، والتي يكون باتجاه الملاءمة من العالم إلى الكلمة التي هي ثمرة العقل فأصحاب الصحة النفسية والعقلية، وأصحاب الأمزجة المعتدلة، والطباع المكتملة هم وحدهم من يحقق وينجز فعل الأحياء وفق منهج متكامل مرتبط باستراتيجية المستقبل في البناء والإعمار[159]؛ لأجل تحقيق معنى الاستخلاف وهو ما يرتبط بالسنن الاجتماعية التي لاينفع معها التكاسل والتخاذل وتضيع الزمن الحضاري للنهوض بالأمة؛لأن الاستقلال لن يكون كاملاً الاّ إذا حقق شرط العمارة في الأرض وإحيائها .

يتحول الخطيب ليخبرنا بشكل من التفصيل عن فعل التعهد في التشبث بالأرض والتعريف بالهوية التي هي من مقومات وجود الشعوب" قد ينسي الانسياق وراء بيان "البشير الإبراهيمي" مضامين الكلمات التي تتوالى سريعا في هذه العبارة، فلا يلتفت إليها الاّ جماليا، ويحسبها من قبيل المترادف الذي تزين به العبارات، وتطول به الفقرات. بيد أنّها في كل كلمة وصوت، تختزن منهجا، وتفصح عن معرفة بالواقع تمتد في جميع الاتجاهات. إنّ حديثه عن الجزائر: هذه القطعة الغالية من أرض الإسلام، يتدرج من:

---

[158]–آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ،أحمد المتوكل، ، ص22،23.

[159]– (هُوَ انشَأَكُم مِّنَ الارْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إليه ان رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) الأية،61 من سورة هود(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)الأية 19، من سورة التوبة.

إعمار – إعْمَارٌ: [ع م ر]. (مصدر أَعْمَرَ). 1. "إعْمَارُ الْمَنْزِلِ" : جَعْلُهُ آهِلاً. 2. "إعْمَارُ الأرض" : وُجُودُها عَامِرَةً

-النبات: الجذور /الاصل.

-الثبات: الغزو /الحملات.

-التغذية: الاصالة /الإنّتماء.

- الأذى: التحرشات / الاستعمار.

وحبّ الوطن عند العرب والمسلمين له عاطفة قوية عبروا عنها قولاً وعملاً، وقد كتب القدامى رسائل الحنين إلى الأوطان : فقد كانت العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها من تربة بلدها رملاً وعفراً تستنشقه وهو ما يذهب إليه اليوم علم النفس في معالجة بداية المرض النفسي من خلال زيارة مراتع الصبا.وفق سلم حجاجي متوازن.

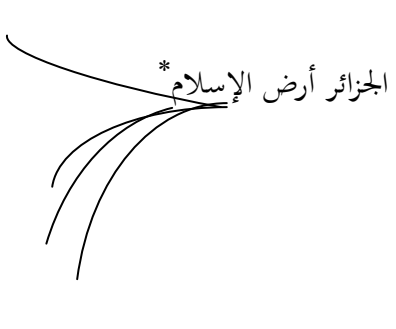

وفي سبيلها أوذينا

فكل جزائري يشعر أنّه يمتد عميقا في أصل هذه الأرض، وأنّه حلقة في سلسلة من الأجيال التي ثبتت في وجه أعاصير الغزو وحملات الصليب، وأنّه بلسانه وثقافته، قد رضع من لبان أصالة وانتماء يجعلانّه وتداً راسياً في تربة الجزائر، "وأن عليه أنّ يتحمل الأذى: أذى الذود عنها وأذى إعمارها، صابرا كما تحمّله الأسلاف من قبله".[160]

ونحي بالعمار والثِمار والغيث المدرار

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

[160] مقال بعنوان مفهوم الاستقلال ورؤى المستقبل في أول خطبة للبشير الإبراهيمي فهم جديد للحراك التاريخي. مدونة حبيب مونسي ،19 نشرت من أغسطس(أكتوبر) 2010م. *Http://Rawdataladaab.Blogspot.Com/* :

توجيهات لتحقيق النفع العام والتعهد
في إحياء الجزائر والنهوض بها

أحييك يا مغنى الكمال بواجب وانفق في أوصافك الغرّ أوقاتي.

إنّ ثقافة الشيخ البشير الإبراهيمي تتجلى على نحو واضح في توظيف الشعر العربي بما يخدم غرضه ويوشح أسلوبه، ويتخذ هذا التضمين صيغاً مختلفة في نصوصه وهو في كلّ ذلك ينزع إلى تحقيق أغراض متنوعة بحسب السياق الذي ترد فيه، والشعر عند الإبراهيمي ضالته يقوى بها حجته ويرصع أسلوبه، وهو يعمد إليه متى دعت الضرورة بقدر حاجة المستمعين إليه.

إنّ الأفعال التوجيهية تخلق أسبابا للمخاطب كي يؤدّي ما طُلب منه وتحمله على القيام بفعل معيّن وتشجعه، كما تبيّن من خلال إستراتيجية النداء*:

يا أتباع محمد يا معشر الجزائريين أيها المؤمنون. يا معشر المؤمنين. يا أيها المسلمون يا إخواني يا أتباع محمد وهي أفعال توجيهية تؤثر على المتلقي تجعل المتفحص لنّص الخطبة، متوقفا عند النداءات التي بثها "البشير الإبراهيمي" في كلمته، يجد أمرا عجيباً يتعلق بهندسة الكلام، ومعرفة طبقات الجمهور، وتوزعه في المسجد وخارجه. وكأنّ عين الخطيب تجول في أرجاء المكان، وتطل وراء الحيطان، وتذهب بعيدا في أطراف الأرض يتبعها صوته إيذاناً ببعث جديد.

إننا أمام ملمح يسم لعبقرية الخطيب الذي يدرك أن أمامه جمهور غير متجانس البنية، متفاوت المستوى، مختلف الثقافة، إلاّ أنّه يحمل بين جوانحه هماً واحداً، ويتطلع إلى غد واحد. ومن ثم كانت النداءات التي أطلقها "البشير الإبراهيمي" تخاطب كل واحد منهم بحسب الانتماء الذي يدرك والجوار الذي

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

يستشعر. ورتبها وفق مقتضيات الأفكار التي يعالجها، حيث يستنهض الهمم الراكدة ويوجهها ويعيد لها الأمل يكتسب هذا النداء قوته من الحيز الذي تتموقع فيه الخطبة، والفضاء المقدس الذي ينتشر فيه ذلك أنّ المكان الذي عاد إلى حقيقة عهده بعد استلاب طويل، يملأ النفوس بحقيقة العودة وروعة لحظتها، وشديد ارتباطها بمحمد فمنذ أيام قليلة مضت كانت نواقيس التثليث تدق في منارته، واليوم يرفع آذان يوحد الله ويردد الصلاة على محمد ومن ثم كان التذكير بهذا الانتماء أشد وقعا في النفوس، وأبلغ تأثيرا في الأفئدة. "وكل الحضور يستشعر التبعية لمحمد ويستلذ أن يكون من أتباعه" .[161]

يا أتباع محمد
يا معشر الجزائريين.
أيها المؤمنون.
يا معشر المؤمنين.
يا أيها المسلمون.
يا إخواني.

بالنداء

توجيهات الخطيب

ولقد خاطب الإبراهيمي الأمة بأفعال انجازية صريحة من تنوع المنادى في هندسة الخِطاب والتأثير في المخاطَب من خلال الإخباريات عن أداة النداء والمنادى في تعبيراته المتنوعة

لقد تعرض الخطيب من خلال تنوع النداء إلي كثير من المعاني المتعلقة بانجازية الأساليب العربية المختلفة بخلفية تداولية، سواء في التذكير بما مضى من الزمان الكالح، أو الساعة الحاضرة وما تتطلبه، أو في استشراف المستقبل والتعرض لتحدياته

1: Http://Rawdataladaab.Blogspot.Com/ مقال بعنوان مفهوم الاستقلال ورؤى المستقبل في أول خطبة

ومشكلاته. أما بالنسبة للقوة الإنجازية لهذه التنوع في المنادى، فقد ساعدت على توضيح حال الجزائر في الماضي وحالها في الحاضر، و السياق هو الذي يساعد القارئ على استجلاء هذه المعاني وفهمها، بالإضافة إلى المعرفة المشتركة بين الشاعر والمتلقي بصفتهما ينتميان إلى ثقافة إسلامية عربية واحدة. لم يكن البشير الإبراهيمي "من الذين يلجؤون إلى تنويع النداء؛ لأن ذلك يغير من النبرة الخطابية، ويعدد آفاق المنادى. ولكنه يختار الصيغة التي تناسب المعاني التي سيبثها من وراء الأفق الذي يفتحه النداء"[162]

"اليوم الأزهر لأنور وهذا هو اليوم الأغر المحجل، وهذا اليوم هو الغرة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة* "

فاليوم هو يوم الجمعة الذي يتزامن مع عيد الاستقلال وقد استطاع الإبراهيمي ببلاغته القرآنية ومحتواه الديني، وحرصه على الهوية والخصوصية وحسن اقتباسه من القرآن والحديث أنّ يأخذ الاستقلال ــوهو زمن مشهود ــ قداسته من قداسة اليوم والمكان وهو ما تميز به الخطيب في فنه الأصيل وإبداعه المتميز في بناء مواضعه المرتبطة بفقه المقاصد والمآلات والتي جاءت في مجملها مرتبطة بالدين والأخلاق والقيم، فقد أحسن الاقتباس بتوظيفه لفظ الأغر المحجل المستمد من الحديث الشريف(إن أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن أَثَرِ الْوُضِوءِ فَمَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أن يُطِيلَ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ فَلْيَفْعَلْ) رواه الإمام مسلم.

اليوم* الأزهر لأنور
اليوم الأغر المحجل
إخباريات تصف وتعبر عن الفرحة

[162] مقال بعنوان مفهوم الاستقلال ورؤى المستقبل في أول خطبة :Http://Rawdataladaab.Blogspot.Com/

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

اليوم هو الغرة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة بيوم الانتصار أو بلغة أوستين
إثباتيات موصوفة

فالإبراهيمي من خلال خطبة الاستقلال يتعرض للمستقبل وهو زمن لم يوجد ويتعهده بالإعمار والنّماء والبناء والتشييد، ويتعرض لهذا الزمن عندما يوجد ويصير حاضراً بالاعتزاز والفخر والحبور بنشوة الانتصار، ويتعرض له عندما تنصرم أيامه وتنقضي لياليه بالذكريات الأليمة على الجزائريين مدة قرن وثلاثين سنة من استعمار غاشم شرس كالحات لياليه.

الشيخ البشير الإبراهيمي يدرك قيمة الزمن وكيف يُطوى؟وكيف يتحرك؟ وكيف تدفع أقداره بأضداده؛ ليتخذ منه مرتكزًا لعرض أفكاره التي تتجه دوما صوب المستقبل، وكأنّه لا يريد للماضي من حضور إلاّ بالقدر الذي يستنفر به الهمم، ويجدد به الطاقة، ويدفع به الجموع نحو غاية مشرقة تتراءى له من بعيد .

ما يلاحظ أنّ حديثنا عن الحجاج في هذه القصيدة سيقودنا إلى الحديث مرة أخرى عن الأفعال الكلامية حيث أنّ الأفعال التأثيرية لكل فعل كلامي كانت ترمي إلى إقناع المخاطب من خلال إثارة انفعاله وتحريك مشاعره واستمالته. من خلال المنطوق الاستعاري بدلا من المعنى الحرفي على وجه النقل للإبانة في قول الخطيب اليوم الأغر المحجل، في وجه ثورتكم المباركة، هو التاج المتألق في مفرقها، ولاشيء يجعل السامع يصل إلى مقصد الخطيب سوى المقام الذي نشأت فيه هذه الاستعارة في حذف المشبه به والإبقاء على لازمة من لوازمه قصد تجلية الصورة وتبيان المعنى الأغر، وجه، مفرق).

وهنا، يتبدى لنا توظيف الاستعارة كقوة حجاجية Argumentation من البلاغة التقليدية المحسناتية ضمن بلاغة الحجاج إلى بيرلمان Perelman فالاستعارة يستعملها المتكلم فيجوع اللّفظ ويشبع المعنى لإقناع المتلقي والتأثير فيه. من خلال ترتيب للحجج، وهذا ما يعرف عند "ديكرو بالسلم الحجاجي.

غير أن البشير الإبراهيمي يلتفت إلى ربط هذا اليوم ــوهو زمن مبارك من الأزمنة المفضلة عند الله – بالتاريخ الإسلامي فالجزائر ليست مبتوته ولا مقطوعة الرحم عن هذا التاريخ الحافل بالأمجاد والبطولات، والمتحرك بالتفاعل والتثاقف مع الكسب الإنّساني أخذًا وعطاءً، فالجزائر عميقة الجذور ممتدة التاريخ في الأباد. والأمة بدون ذاكرة وبدون تاريخ أمة زنيمة. فحيثيات الزمن في الخطبة، تتفاعل وتتلاقح لتبين ما أعدّه الخطيب للقارئ من عناصر وصيغ دالة على خصوصيته وأسباب وجوده. حيث يستعيد التاريخ والمسجد والجزائر ويلتقي الجميع على قدر، فالزمان المبارك والمستغل والمكان المقدس والإنّسان الواعي، هي أسس التغيير والإصلاح الشامل التي اعتمدها الإبراهيمي في مقارعة الاستعمار ضمن مبادىء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي ركزت على التربية والتعليم في حربها ضد الاستعمار وأذنابه وكان للمسجد دور عظيم في هدم جدار الغفلة بين الأمة ودينها، وكشف عورة الاستعمار الفرنسي .

إن الاحتفاء بيوم الجمعة– الاحتفاء بالمكان مسجد كتشاوة – الاحتفاء بالجمهور الحاشدة– الاحتفاء بيوم النّصر والتخلّص من الاستعمار– تمثل عناصر تتداخل فيما بينها لتشكل مشهدا يجسد حقيقة التطلعات والتضحيات الجسام ،وهمة الإبراهيمي التي تعلقت بالإسلام والعروبة والوطن.والعزم على بناء الدولة الجزائرية الحرة في ظل مبادئ الإسلام. في غير ما كلل ولا ملل.

إن المسجد بوصفه رمزا للوحدة وسمي الجامع؛ يجمع الكلمة ويوحد الصف، فالقبلة والصف والإمام والقرآن عوامل تحقق الألفة والتآخي والاجتماع فالمسجد هو الحيز الذي تتموقع فيه الخطبة، والفضاء الروحي الذي تنتشر فيه الدعوة إلى الله. ذلك أنّ المكان الذي عاد إلى حقيقة عهده بعد استلاب طويل، وإلى دوره بعد تغييب مقصود.فالخطيب يواصل إخباراياته عن دور المسجد من خلال إعلانّيات *Déclaratifs* التي تتضمن يقينيات دور ومهمة المسجد في الحفاظ على مقومات الأمة.

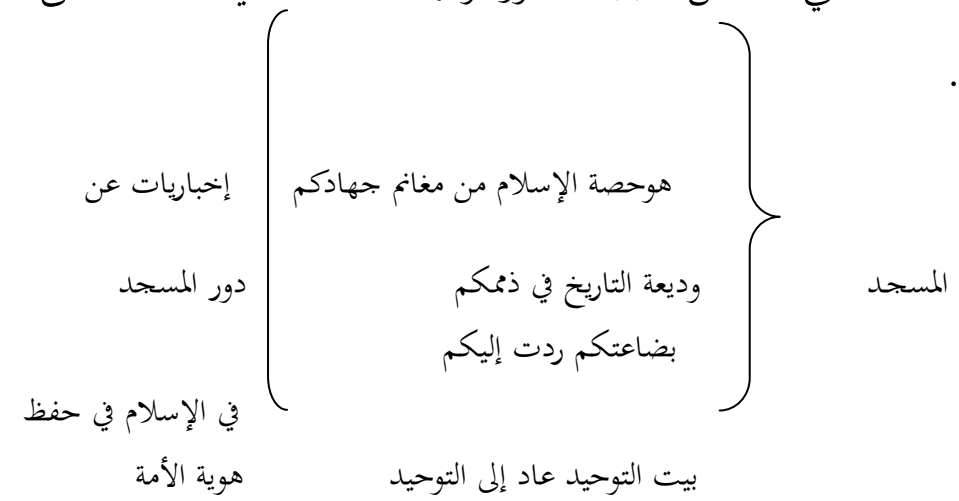

أضعتموها بالأمس مقهورين غير معذورين* ⟸ فالفعل المنجز هنا ورد بطريقة غير مباشرة، ويتوصل المتلقي إلى فهم قصده من خلال المعرفة المشتركة وجاء متضمن في القول في التماس العذر على تضيع أمانة المسجد بسبب القهر

واسترجعتموها اليوم مشكورين غير مكفورين* ⟸ الفعل الإنجازي حيث حققّ فعلا انجازيا في استرداد ما أخذ بالقوة والقهر.

وهذه بضاعتكم ردت إليكم* ⟸ إخباريات عن رجوع المسجد

* – ينظر نص الخطبة في الملحق

* – ينظر نص الخطبة في الملحق

إلى أهله بعد أن استلبه الاستعمار فما أخذ بالقوة لا يُسترجع إلاّ بالقوة. على أنّ الأفعال التوجيهية تخلق أسبابا للمخاطب كي يؤدّي ما طُلب منه وتحمله على القيام بفعل معيّن وتشجعه، كما تبيّن أعلاه. وهناك قوة إنجازية، هي إخبار عن القيام بفعل "استرجعتموه" والمعنى الضمني جاء مطرداً في دخول حروف الزيادة على الفعل لتجعله متعدياً في تحقيق الغرض بمشقة فالشكر موصول على بذل الجهد والمشقة.

كما نجد بعض اللمسات في توظيف الألفاظ القرانية مثل" بضاعة" في قوله تعالى:﴿مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾[163]ومثل "قدر" في قوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾[164] وقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[165] .

وبعض الألفاظ من المخزون الفقهي مثل قوله" مغانم" "وديعة""ذممكم" وتضمين بعض الألفاظ من الشعر بما يخدم الغرض ويتوافق مع السياق استلاباً،غلاباً وهو شاهد شعري من شعر الحكمة مأخوذ من قول الشاعر :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابًا

بل هذا بيت التوحيد عاد إلى التوحيد وعاد التوحيد إليه فالتقيتم جميعاً على قدر.

بيت التوحيد عاد إلى التوحيد ⟵ إخباريات عن العقيدة

---

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

[163] – سورة يوسف، الآية65.

[164] – سورة طه، الآية40.

[165] – سورة القمر، الآية12.

بعد النظر في الفكر الإصلاحي عند الإبراهيمي، والذي يقوم على استقامة المنهج، في فهم العقيدة التي تعدّ شرطاً في صحة الإسلام، وأساس العمل الصالح، وركيزة الإصلاح في توحيد الخالق ووحدة المخلوقين، توحيد المعبود ووحدة العابدين.

يلتفت البشير الإبراهيمي إلى اليوم الشاخص بين يديه، الذي يزدحم نهاره بهذه الجموع الغفيرة، ويكتظ مكانه بصبيانه ورجاله ونسائه وشيوخه. فيعطي الخطيب لكل عنصر من عناصر المشهد حظه على النحو التالي:

الاحتفاء باليوم الجمعة – الاحتفاء بالمكان مسجد كتشاوة – الاحتفاء بالجمهور المواكب الحاشدة. الصامت وهو معادل للإنّصات الذي يفهم منه أنّه من أجل حسن الاستماع، وسامع الصوت متجاوب معه متأثر ومؤثر به غالباً، فالصمت في هذه الحالة فعلاً تأثيرياً كبيراً؛ لأنه يُلقى من لدن خطيب مفوه في يوم مقدس وفي مكان مقدس فالكلّ مشغول بالتمعن والتفكير ومنسجم مع لحظة الفرح والتدبر في مقاصد الخطبة.ولأن استماع خطبة الجمعة يرتبط بالأجر والثواب فقد قال عليه الصلاة والسلام(من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة، فاستمع وانصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغى) رواه مسلم.

إنّ هذه المواكب الحاشدة بكم*
من رجال ونساء يغمرها الفرح ويطفح على وجوهها البِشر } إخباريات عن الفرحة
لتجسيمٌ لذلك المعنى الجليل، وتعبيرٌ فصيح عنه } بعيد النصر

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

إن الفرحة بعيد النصر تجسد إجابة الجمهور على الأفعال الكلامية لخطبة الإبراهيمي ويتجلى فعلها التأثيري في الصمت والإنّصات وحسن الاستماع، وهو حسّ حضاري عالي، فمثلما تكن متكلم جيد يجب أن تكون مستمع جيد، « بحث الصمت كفعل تأثيري يجعلنا نفترض مسبقا[166] »وانّ تخيم هذا الفعل على مجمل الخطبة راجع إلى قداسة الزمان والمكان المقترن بنشوة النصر. وهو أنّ المسجد عاد للساجدين الرّكع من أمة محمد، إخباريات عن عودة المسجد ودوره.

إنّه يقيم حقيقة النداء على ثلاث: "حقيقة اليوم الأغر بين أيام التاريخ، وحقيقة المسجد، حصة الإسلام من المغانم، ووديعة التاريخ المستعادة غلابا، وحقيقة التوحيد العائد للمكان والقلوب والمشاعر للمصلين."[167]

وتوظيف الإبراهيمي للألفاظ القرآنية في سياق غير سياقها "للساجدين الركع" تقوية جمال النّص والتأثير على المستمعين وهو يعرف كيف يوصل حجته إلى غيره بفعل التوجيه الذي يختص به المستدل وقدرة الخطيب تجعل المستمع يولي عناية كبيرة إلى الأفعال والقصود المصاحبة للأقوال والأفعال وقدرة الإبراهيمي على قراءة مسحة الوجوه وفق تقنيات لابد من توافرها في الخطاب من حسن استدلال في قوله تعالى:﴿وَإِذْ بَوَّانا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَان الْبَيْتِ أن لّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[168] "فلكي ننجز فعل الكلام، وبالتالي قوة فعل الكلام، لابد أيضاً من أنّ ننجز نوعاً آخر من الأفعال. فأنّ نقول شيئاً ما قد يترتب عليه أحياناً أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرفاته"[169]كأنّ اجعل مستمعي يقتنع بشيء ما، أو اجعله يخاف، أو يمتنع عن فعل

---

[166]- التعدد الصوتي من خلال السخرية في المنظور التداولي، ذهبية حمو الحاج، ،ص:124.

[167]- *Http://Rawdataladaab.Blogspot.Com/* مقال بعنوان مفهوم الاستقلال ورؤى المستقبل في أول خطبة

[168] - سورة الحج، الآية26.

[169] - *J. Austin ، How To Do Think With Words.P.95*

شيء. وقد يكون ذلك عن قصد و نية أو عن غير قصد، كما أنّ الفعل الإنجازي والفعل التأثيري يستلزمان معا الاتفاق.

كما أنّ كلمة لا إله الاّ الله هي فعل الإثبات والأساس فيها كسائر قوى فعل الكلام حصول طمأنينة النّفس وسكونها إلى الاعتقاد الصحيح الباعث على الإيمان المحرك للفعل المنجز للعمل، وأنّ الخطيب سلك طريقاً واضحاً بيّن القسمات في طرح عقيدة لا إله الاّ الله، التي لم تكن منهجاً نظرياً ولا منهجاً تجريديّاً إنّما كان باعثاً محركاً، يتصل بواقع الحياة وبمشكلات المجتمع عقيدة مستوعبة لقضايا العصر وشؤونه ومباحثه تعالج العلل المستعصية، في كلّ زمان ومكان وخاصة ما تعلق بالاحتلال والاستبداد والظلم.

فيوضح الخطيب في تعبيرياته Expressifs عن القوة الإنجازية ودورها المقصود والمحقق في سياق الموقف الكلّي البراجماتي مع ربط العلاقات الخارجية والداخلية بين الخطيب والمخاطبين في كون القلوب إذا عمِرت بالإيمان الصادق وتعلقت بصفاء العقيدة ووضوح الرؤية والتصور فإنّها تحقق المعجزات ، فلولا قوة الإيمان وصحة العقيدة لما انتصر الشعب الجزائري على الاستعمار الفرنسي.

فالإيمان الذي تترجم عنه كلمة لا إله الاّ الله — إخباريات عن فعل القوة

هو الذي أعاد المسجد إلى أهله — الإنجازية المرتبطة بفعل

وهو الذي أتى بالعجائب وخوارق العادات في هذه الثورة. — اليقين

إنّ لصدق الإيمان بالله آثاره الواضحات في واقع حياة الأمم، وفي انتصارها على أعدائها، فقد أعاد الإيمان المسجد إلى أهله، ولما غمرت العقيدة قلوب المجاهدين الصادقين في ثورة الجزائر المباركة أتى الله بالعجائب والخوارق التي لم تكن في الحسبان وبشارة التمكين حيّة شاخصة في عدم تكافؤ العدد والعدة بين الاستعمار وثلة من المجاهدين سلاحها الإيمان بالقضية الجزائرية يصاحبها التوكل على الله في عونه ومدده﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[170] .

كلمة لا إله الاّ الله ⟸ اعتقاد جازم ويقين راسخ في القلب، وعمل بالجوارح

أمل في الله يصاحبه عمل ⟸ فعل تحقيق العجائب والخوارق.

أما والله لو أنّ الاستعمار الغاشم أعاده إليّكم — توجيهات تؤكد أنّ المنى لا تنال

عفوا من غير تعب — إلاّ على جسر المشقة والنصب

وفيئة منه إلى الحق من دون نصب — فالبدايات المحرقة نهايتها مشرقة

لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الروعة والجلال — وإنّ الآمال لاتنقاد إلاّ اللصابرين

[170] – سورة الأنفال، الآية17.

إن القسم فعل كلامي غرضه تأكيد الخبر والأخبار عن أمر مضى وانقضى، أو وصف له، ويبدو ان القسم بنوعيه، بمعايير سيرل، مندرج ضمن درجة الشدة للغرض المتضمن في القول ضمن التقريريات بغرض تواصلي في دفع المخاطب الوثوق بكلام الخطيب. وكأنّه بذلك يقطع الطريق أمام بعض المتقولين والمقتولين من الداخل بفعل الاحباط والذين يرغبون في تفسير الحادث بما يرفع عن فرنسا جريمة الاستعمار. أو ان الاستقلال منحة وتفضلٌ من الاستعمار، فجاء القسم تنبيها ونداء للمتلقي الجزائري، حتي لاينس هون للاستعمار بمختلف اشكاله، وحتى تظل تلك التنبهات دماً تجرى مجرى الدم في عروقه.

فالخطيب يؤكد بالأيمان المغلظة غير حانث وهو فعل سلوكي بشيء من التعهد في ممارسة العداء السرمدي للاستعمار وأن جرائمه تتوارثها الاجيال وستبقى محفورة في الذاكرة، وأنّ النّصر سقته دماء طاهرة وبذلت في حقه مهج وأرواح، وقد صنع ملحمتها شعب أبي متلاحم شجاع يحرص على الموت مثلما كان العدو يحرص على الحياة ثورة ليس لها قائد أو زعيم فالكلّ اكتوى بنارها من رجال كانوا يحملون أرواحهم على أكفهم، إلى تلك المرأة التي كانت تمارس التطبيب وأخرى تجهز المجاهدين بالطعام.

لا يفوت البشير الإبراهيمي اللحظة الشاخصة الماثلة للعيان وهو يشترك مع الجمهور في النشوة والحبور بهذ اليوم المشهود ليتخذ منها مرتكزاً لبسط أفكاره التي

تتجه دوما صوب المستقبل، وهو زمن لم يوجد وكأنّه لا يريد للماضي من حضور إلاّ بالقدر الذي يشحذ به الهِمم، ويجدد به الطاقة، ويدفع به الجموع نحو غاية تتراءى له من بعيد. إنّه يخاطب الجمع الحاشد بـ "**يا معشر الجزائريين**".

لقد لجأ الإبراهيمي إلى تغيير مواقع عناصر التركيب لأغراض وغايات تداولية يريد تحقيقها، بالإضافة إلى أنّه يسعى إلى جعل خطابه يستجيب لحالة مخاطبه، لتحقيق التفاعل والإنّسجام ويعدد آفاق المنادى. ولكنه يختار الصيغة التي تناسب المعاني التي سيبثها من وراء الأفق الذي يفتحه النداء:

يا معشر الجزائريين: إذا عدت الأيام ذوات السمات، والغرر والشيات في تاريخ الجزائر فسيكون هذا اليوم أوضحها سمة وأطولها غرة واثبتها تمجيداً*.

ووظّف الخطيب كلمات في ثنايا قصيدته تنتمي إلى الحقل الدلالي ذاته وهي (.السمات، والغرر والشيات.) وهذا ما يساعد على جذب الإنّتباه وإثارة التفكير في فهم وفك شفرات هذا الخطاب.

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

فأعجبوا لتصاريف الاقدار. } إخباريات تنبه المخاطب على أمر محمود ليفعله على سبيل الترغيب والتشويق .

فالإغراء ترغيب المخاطب لزوم الفعل وهو من الأفعال الكلامية يهدف إلى التأثير في المخاطب وحمله على أداء الفعل، وبمصطلحات سيرل ينتمي إلى صف **الأمريات**، فالخطيب يحث مستمعيه على مشاركته التعجب في عمل الأقدار وكيف تدفع بأضدادها، دفع الظلم بالعدل، دفع الاستعباد بقدر الحرية، دفع قدر الاستعمار بالاستقلال. **فأعجبوا** تعبير كلامي يدل على الدهشة والاستغراب، عن الشعور الداخلي للإنّسان عند انفعاله حين يستعظم أمراً، أو صفة في شيء ما قد خفي سببها. في أن الأقدار تعمل في الخفاء، فما بين طرفة عين وانتباهها يغير الله من حالٍ إلى حالٍ .

فلقد كنا نمر على هذه الساحة مطرقين
ونشهد هذا المشهد المحزن منطوين على مضض
يصهر الجوانح ويسيل العبرات . } إخباريات توضح كيف كنا نعيش الذلّ والقهر مع الاستعمار.

كأنّ الأرض تلعننا بما فرّطنا في جنب ديننا،
وبما أضعنا بما كسبت أيدينا من ميراث أسلافنا
فلا نملك إلاّ **الحوقلة والاسترجاع** [171] . } تعبيريات عن أفعالنا اللّفظية دون الإنجازية.
ثم نرجع إلى مطالبات قولية هي كل ما نملك في ذلك الوقت.

[171]– الحوقله، اختصار كلمة(لاحول ولاقوة الا بالله) ،طلب العون من الله، يعني ما تستطيع ان تقوم بأي عمل من الأعمال الا إذا أعانگ الله عليه.

الاسترجاع، اختصار كلمة (انا لله وانا إليه راجعون) ،فهذه تقال عند المصيبة ، فيسلو الإنّسان بإذن الله،انا لله عبيد، وانا إليه راجعون أو محاسبون أو مجازين،سنرجع إليه .

ويواصل الخطيب دائماً مع طلبياته التي تتخللها توجيهات وهو يمارس نقد الذات ويكشف عن الفساد الذي مسّ شُعب الحياة، عالم فقد الحرية والنظام ويتطلع إلى حال غير حاله، ويتهيأ إلى هدمه ثم البناء. وكل من مرّ بتلك الساحة، وذلك المسجد، أيا كانت الساحة وأياًّ كان المسجد، لابد وأن يكون قد شعر بالحزن والغبن، وأحس بالانكسار والعار.

إنّ الخطيب يرفع للعين مشهدا تكرر في أيام الماضي يوما فيوم، ليجعل للحظة: لحظة قيام الجمعة معنى الشموخ، والفرحة، والعزّة، إنّه يقيم حقيقة النداء على ثلاث: "حقيقة اليوم الأغر بين أيام التاريخ، وحقيقة المسجد، حصة الإسلام من المغانم، ووديعة التاريخ المستعادة غلاباً، وحقيقة التوحيد العائد للمكان والقلوب والمشاعر".[172] وقد استعمل الخطيب بعض الألفاظ القرآنية بما يخدم السياق ويؤثر في السامعين، في قوله:" فرّطنا، جنب" المأخوذة من قوله تعالى:﴿ ان تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَان كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[173] وقوله:"كسبت أيدينا"﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أيدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[174] .

[172]-http://rawdataladaab.blogspot.com/ مقال بعنوان مفهوم الاستقلال ورؤى المستقبل في أول خطبة للبشير الإبراهيمي فهم جديد للحراك التاريخي. مدونة دحبيب مونسي ،19 نشرت من أغسطس(أكتوبر) 2010م.

[173]- سورة الزمر، الآية56

[174] - سورة الشورى، الآية30.

ولكنها نبهت الأذهان — إخباريات تؤكد كيف
وسجلت الاغتصاب — انتفض الشعب وكيف
وبذرت بذور الثورة في النفوس حتى تكلمت البنادق. — تخمّرت ثورته

إنّ الإخباريات assertifs تشير إلى الظلم والقهر الذي مارسه الاستعمار في حق الشعب الجزائري، وقد كان سبباً في إيقاظه، من خلال اختيار الخطيب لوحدات لسانية دالّة فكان ارتباط فعل التنبيه والاغتصاب، بإشعال فتيل الثورة في النفوس لتتكلل بثورة التحرير،ودحر الاستعمار.

أيها المؤمنون: ـــــــــــحين يستعمل نعت المؤمنين، يخيَّل إلينا أنّ دائرة الذين سيشملهم النداء تتجاوز الجزائريين إلى كل مؤمن يصله النداء. اليوم وغداً، لأن مضمون النداء يتسع لذلك كلّه. فهو يخاطب كلّ من خالط الإيمان بشاشة قلبه متخذاً موقفاً واقعياً من قانون الغاب الذي تحركه العدوانية، يقوم بشرحه وتوضيحه متدرجاً بسلم حجاجية قصد إقناع مخاطبه برؤيته، بالتمثيل للحيوانية والبهيمية وسقوط الإنّسان في حمأتها في الميل للظلم والاعتداء والشر.

وقد استعمل ألفاظ جاءت معاني حجاجية لتأكيد قوله باستعمال صيغة صرفية على وزن فعّال في صيغة مبالغة للدلالة على الكثرة والمعاودة والتكرار في قوله: "نزاعاً، نزاغاً"وذلك من أجل الاستدلال والإقناع. وبلوغ القصد وتحقيق الإثارة والتأثر، وقيادة

المتلقي إلى فكرة ما، مستعيناً ببعض الألفاظ القرآنية نزاعاً﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾[175] ونزاغاً﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ان الشَّيْطَان يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ان الشَّيْطَان كَان لِلإنّسَان عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[176].وقوله الجبلة﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأولين﴾[177] .

قد يبغي الوحش على الوحش فلا يكون غريبا
لأن البغي مما ركب في غرائزه
وقد يبغي الإنّسان على الإنّسان فلا يكون ذلك عجيباً
لأن في الإنّسان عرقًا نزاعاً إلى الحيوانية وشيطاناً نزاغًا بالظلم

إخباريات عن البغي والعدوانية في بعض الإنّسان والحيوان

وطبعا من الجبلة الأولى ميالا إلى الشرّ
ولكن العجيب الغريب معاً
والمؤلم المحزن معاً
أن يبغي دين عيسى روح الله وكلمته
على دين محمد الذي بشر به عيسى روح الله وكلمته.

إخباريات مؤلمة وحزينة عن اعتداء دين عيسى على دين محمد عليهما السلام.

ويواصل الشيخ البشير الإبراهيمي إخباریاته فالفعل المنجز هنا هو التعجب حيث يظهر مباشرة من الخطاب بمعناه الحرفي. ويظهر فعل الاستنتاج متعجباً ومستغرباً والألم والحزن يعتصر قلبه ساخراً من أتباع دين عيسى، كيف طوعت لهم أنفسهم وهم من أهل الإيمان- (الأنّبياء إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى

[175] - سورة المعارج، الآية16.
[176] - سورة الإسراء، الآية53.
[177] - سورة الشعراء، الآية184.

)[178]–أن يعتدوا على دين محمد صلى الله عليه وسلم، والخطيب يريد كشف وجه الاستعمار الحقيقي الذي ساق الصليب أمامه للسلب والنهب والاستعباد، وهو ما يتنافى مع روح الأديان التي جاءت بالملّة السمحة وحبّ الخير للناس كآفة.

ويتحقق شرط عقد النيّة والصدق في الخطاب، إذ أنّ الخطاب يطابق العالم. نلاحظ في هذه الخطبة ترتيباً للحجج، وهذا ما يعرف عند "ديكرو بالسلم الحجاجي؛ إذ يبدأ المتكلم في عرض حججه بالترتيب حتى يصل إلى الحجة الأقوى فبدأ بالعدوانية عند الحيوان فالإنّسان ليخلص إلى الاستعمار عندما يتستر باسم الدين. (البعثات التبشيرية، الحروب الصليبية).يقول الإبراهيمي:« التبشير بشكله الحاضر نتيجة من نتائج التعصب المسيحي المسلح، ومولود من مواليد القوة الطاغية، وأداة من أدوات السياسة في ثوب ديني وشكل كهنوتي، دفعته أولاً ليكون رائدها في الفتح وقائدها إلى الاستعمار[179] »

يا معشر المؤمنين: تنويع المنادي بما يتلاءم وإستراتجية الخطاب؛ ولأن ذلك يغير من النبرة الخطابية، وحين يعود البشير الإبراهيمي مرة ثانية إلى صيغة النداء وقد زاد فيها **يا** معشر المؤمنين نلحظ انعطافا نحو الجزائريين، ولكن دون أن يفقد الخطاب طابعه العام ليؤكد رسالة المسجد ووظيفته. وهو يختلف عن دور العبادة الأخرى من بيع وصلوات.

---

[178]– حديث شريف ، رواه البخاري.

[179] – محمد البشسر الإبراهيمي، الآثار ،م،س، ج.1،ص196.

إنّكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه

ولا فرحتم باسترجاعه فرحة الصبيان ساعة ثم تنقضي

ولكنكم استرجعتم معانيه التي كان يدلّ عليها المسجد في الإسلام

ووظائفه التي كان يؤديها

من إقامة شعائر

الصلوات والجُمع والتلاوة ودُروس العلّم النافعة

على اختلاف أنواعها

من دينية ودنيوية

فإنّ المسجد كان يؤدي وظيفة

المعهد والمدرسة والجامعة.

إخباريات عن دور المسجد في الإسلام

وهو التذكير بحقيقة المسجد ودوره التاريخي، فهو لا يؤدي دور الكهنوت وحتى لا تنتهي الفرحة عند حدود الشكل والمظهر والزينة، وتتخطى معانيه.إلى العمق والمقصد ورسالة المسجد هي وحدها الكفيلة بصد آثار الاستعمار المتبقية في الأرض واللّسان والقلب.والذود عن الخصوصية إنّه فسحة للتطّهر من أدران الماضي وأرجاسه.

إنّه النداء الذي يفتح التفكير على نظام تكويني تربوي جديد يكون بديلاً لما أقامه المستعمِر في البلاد لتكييف العقول وتسخير الطاقات وإعداد أجيال تابعة مستغربة.تعيش الذيلية والاستلاب فالمسجد بمعانيه التي هي له سيكون بديلاً للمدرسة والمعهد والجامعة في شكلها ومقرراتها الغربية، ويكون استمراراً لنظام أقامته الحضارة الإسلامية قروناً من قبل. في الحفاظ على الوحدة واجتماع الكلمة، وبث العلم وتنوير النّاس، والتعرض لمشكلات المجتمع التي يستعصي حلّها. إنّ النداء وهو يركز على الذم والمدح، في مقابلة الأيتين ﴿وَمَنْ اظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أولئك مَا كَان لَهُمْ أن يَدْخُلُوهَا إلا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا

خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخرة عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[180]، ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأخر وأقام الصَّلَاةَ وَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ الاّ اللَّهَ فَعَسَى أولئك أن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[181] فالمعاني لاتُعرف إلاّ بأضدادها.

يحمل في ثناياه تحذيراً للقائمين على شأن البلاد في يومها الجديد، فلا يقبلون على الحد من مهمة المساجد في إعادة تربية الشعب وتكوينه وتجنيده للبناء والإحياء. وعدم التنكر إلى الهوية الإسلامية، بعدما تأكد دوره في تحرير البلاد والعباد.
يا معشر الجزائريين: حيث خاطب الإبراهيمي بجملة انجازية صريحة الفعل الإنجازي هو الطلب والفعل التأثيري هو لفت الانتباه بالنداء والدعوة. بإدماج المخاطب واستمالته. فالنّص أداة للفعل في سياق تخاطبي محدد، لكن هذه الأداة تتحول هي نفسها إلى موضوع للتفكير والاشتغال والإبداع، وبهذا التحول يمتلك النّص فعالية أكثر قوة ونجاعة. في التحذير من تعطيل دور المسجد حتى لا يؤدي دور الكهنوت.

[180] – سورة البقرة، الآية114.
[181] – سورة التوبة، الآية18.

إنّ الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم: (إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه ولكنّه رضي أن يُطاع فيما دون ذلك).

إخباريات على أنّ الاستعمار نبت شيطاني.

ينحو الإبراهيمي إلى ربط قوة التشبيه بالإقناع فقد شبه الاستعمار بالشيطان في كيده وتحريشه والفعل الإنجازي المتضمن في القول عدم إتباع خطوات الاستعمار لقد وصفه من قبل قائلا:" الاستعمارُ كلُّهُ رِجْسٌ من عَمَل الشيطان، يَلْتَقِي القائمون به على سَجَايا خبيثة، ذو غرائزَ شَرِهةٍ، ونظراتٍ عميقة إلى وسائل الافتراس، وإخضاعِ الفرائسِ، وأَهَمُّ تلك الوسائلَ قتلُ المعنويات، وتَخديرُ الإحساسات الروحية"[182]

إن المراد من توظيف فعل القول هذا قوة متضمنة في التشبيه، وهي النصح والتحذير من الاستعمار؛ لأنه غير مؤتمن الجانب. لأنه يعلم أنّ انسلاخ الاستعمار من هذه الأمة بين ليلة وضحاها محال، تأباه الطبيعة البشرية التي ترضخ إلى العادة في أحوالها. غير أنّ الخطيب يستنفر العداوة الأزلية بين الإنّسان والشيطان. تلك العداوة التي لا يرجى برؤها أبد الدهر. إنّها الفكرة التي ما فتئ البشير الإبراهيمي يرددها فيما يقول ويكتب.

يمثل الابراهيمي الاستعمار بـ (شيطان، وإنّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً)" وإنّ الاستعمار شرّ، ومحال أنّ يأتي الشرّ بالخير، ومحال أن يجنى من الشوك العنب"[183]كما أنّ الوصول إلى المعنى الضمني يقتضي من المخاطب القيام بعمليات استدلاليةInférentiels Actes إلى جانب العمليات التفكيكية، حيث تصبح البنية

---

[182]- جريدة البصائر سنة 1949 العدد83

[183]- /Http://Rawdataladaab.Blogspot.Com مقال بعنوان مفهوم الاستقلال ورؤى المستقبل في أول خطة للبشير الإبراهيمي فهم جديد للحراك التاريخي. مدونة لحبيب مونسي ،19 نشرت من أغسطس(أكتوبر) 2010م.

اللّسانية للملفوظ مجرد معبر أو ممر يتم المرور منه للوصول إلى المعنى الضمني عامة، أو الفعل الإنجازي غبر المباشر بخاصة.

"فهو قد خرج من أرضكم"*، ينحو البشير إلى تأويل الحديث الشريف وإسقاطه على الواقع مبيناً خطر الاحتلال الذي لا ينتهي بانتهاء وجوده العسكري على أرض الجزائر مادامت ثقافته الاستعمارية التي –عمل على تجذيرها في عقول وقلوب البعض فصاروا يكرهونه كفكرة ولايخلفونه في السلوك – باقية حتى يصدهم عن دينهم وثقافتهم ولغتهم إن استطاع، تماماً كما يفعل الشيطان بالإنّسان حيث يوسوس له في صدره، ويزين له سوء عمله ليزيغ عن الحق. ويعدّ هذا الاقتباس ضرب من التشبيه يعادل فيه الخطيب بين حال الاستعمار وحال الشيطان إزاء من يكيد له.

ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم ولم يخرج من قلوب بعضكم فلا تعاملوه إلاّ فيما اضطررتم إليه وما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.	إخباريات عن آثار الاستعمار على الأرض والألسنة والقلوب

كما استعمل ضمير الجمع ليحسّس المخاطب بمشاركته في الخطاب، ويتفاعل مع الخطبة ويتأثر بها، ومثال ذلك : **أرضكم، ألسنتكم ،بعضكم، اضطررتم*** وهذه الألفاظ تدل على النّصح والاقتراح وأخذ الحيطة والحذر، فاستعملها بضمير الجمع حتى لا يخرج نفسه من دائرتها. ويشرك المخاطب في حمل الهمّ.

* - ينظر نص الخطبة في الملحق

* – ينظر نص الخطبة في الملحق

يا معشر الجزائريين: إنّ الثورة قد تركت في جسم أمتكم ندوباً لا تندمل إلاّ بعد عشرات السنين وتركت عشرات الآلاف من اليتامى والأيامى والمشوهين الذين فقدوا العائل والكافل وآلة العمل	إخباريات بما ارتكبه الأعداء في حقّنا من أفعال التعذيب

ويواصل الخطيب في هذا المقطع إخبارياته assertifs ثمّ يعود إلى التعبيريات ليصف حالة الشعب الجزائري، إذ يتقاسم الشاعر ومخاطبه المعرفة المشتركة والألم الواحد فقد فصّل في خطبته لما اقترف المستعمر من جرائم، وما حملت الأجساد من شهادات التعذيب، والتقتيل والتخريب،فقد أهلك الحرث والنسل، وتصور الخطبة جو ما بعد الاستعمار بالمقام الجنائزي المترع بالأحزان، يتحسس فيه كل جريح جِراحاته، ويتلمس كل مفتون آهاته، وحتى لاينس الشعب الجزائري مافعله الاستعمار.فهو يفضح أعماله، كي يحفظ التاريخ ذلك. ويُحفر في ذاكرة الشعب.

فاشملوهم بالرعاية حتى ينسى اليتيم مرارة اليتم وتنسى الأيم حرارة الثكل وينسى المشوّه أنّه عالة عليكم وامسحوا على أحزانهم بيد العطف والحنان فإنّهم أبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم.	توجيهات الخطيب للقائمين على الشأن العام بما هو واجب عليهم في معالجة مخلفات الثورة.

والملاحظ أنّ الأفعال التوجيهية تخلق أسباباً للمخاطب كي يؤدّي ما طُلب منه وتَحمله على القيام بفعل معيّن وتُشجعه، كما تبيّن أعلاه ،حيث حققّ فعلا إنجازيا هو الطلب.

فالإبراهيمي هنا، يشرئب بالأمل الفسيح نحو المستقبل ليجعل الماضي وراءه؛ لأن ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها، بل الوقت وقت الحاضر المطلّ على الغدّ القريب والبعيد. في فتح باب الأمل للنّاس والثورة لم تمر من غير آثار وندوب وجراح، وأنّ هذه الآثار ستستمر غداً، محفورةً في ذاكرة الشعب، وأنّ علاجها في الرعاية، وإزالة الأحزان،وتأكيد معاني الإخوة والتكافل. واستعمل الفعل الكلامي على وجه الطلب "اشملوهم، امسحوا"فتحقيق المتكلّم للفعل الإنجازي المباشر وإدراك المخاطب لهذا الفعل يتوقف على مراعاة الاصطلاحات اللّسانية بما فيها من أصوات وصرف وتركيب ودلالة وكذا مراعاة الحقل الخلفي من المعارف والمفترضات les assonmptionsفي اقتباس الإبراهيمي بما يتناص مع القرآن في قوله: **امسحوا** في قوله تعالى:

﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأيدِيكُمْ ان اللّهَ كَان عَفُوًّا غَفُورًا﴾[184]. وفي قوله ﴿وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلى الْكَعْبَينِ﴾[185] حيث تمثل وظيفة الاقتباس الحجاجية«ذلك التركيب يلون ما حوله ويشيع فيه من القوة ما يرفد طاقة ويوجه المتلقي إلى غايته... ليجعل المقتبس منصهراً تمام الانصهار »[186]

يا إخواني:

إنّكم خارجون من ثورة
إلتهمت الأخضر واليابس
وإنّكم اشتريتم حريتكم بالثمن الغالي
وقدمتم في سبيلها من الضحايا
ما لم يقدمه شعب من شعوب الأرض
قديما ولا حديثاً وحُزتم من إعجاب العالم بكم
ما لم يحزه شعب ثائر.

إخباريات تؤكد معاني
وقيم الثورة الجزائرية
وبطولات الشعب الجزائري.

وفي هذا المقام يؤكد الخطيب الإبراهيمي الإخباريات والتوجيهات التي تحمل القوة الإنجازية في فعل التمسك بالمعاني والقيم التي صنعتها إرادة الشعب وتعب في مرادها فقد اختار الخطيب ألفاظه بعناية فائقة من خلال التأكيدات والتوجيهات في إطار النّصح الصادق وهو يتحرك بكل خطى ثابتة، وكأنّ الرؤية وصناعة المستقبل التي يدفعها بين يديه تقوم على الشيء ونقيضه وما يصلحه أخيراً. فهو حين ينسب القائمين على شؤون البلاد في هذه الفترة الحرجة من الاستقلال الفتي، يناديهم ب"يا إخواني" ليخرج بهم من التعريض السابق إلى ما يراد بهم في مستقبل الأيام.وهو يؤكد

---

[184] – سورة النساء، الآية 43

[185] – سورة المائدة، الآية 6

[186]– الحجاج في الشعر العربي القديم،من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجرة بنيته وأساليبه ،سامية الدريدي ، علم الكتب للحديث والنشر والتوزيع ، إربد –الأردن ، جدار للكتاب العالمي ، عمان الأردن ، دط ، ت : 2007. ص118.

في إطار التوجيهات Directives على البعد العالمي للثورة الجزائرية، وعلى حيازة الإعجاب لدى شعوب المعمورة.

أفعال القرارات(التحذير) ← فاحذروا أن يركبكم الغرور
ويستّزلكم الشيطان،
فتُشوهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة
أو تقضوا على هذه السمعة العاطرة.

يوظف الإبراهيمي أفعال القراراتExecutifs للتحذير، ذلك أن ينتبهوا إلى ما يمكن أن يشوه محاسن هذا الجهد المبارك بسوء التدبير، والإهمال وغياب العمق الاستراتيجي، أو يستجيبوا ويستدرجهم الشيطان، أو يركبهم الغرور، فتكون النتيجة القضاء على سمعة هذه الثورة التي عبقت برائحتها الزكية جميع شعوب العالم الحر.وقد أتحف الخطيب خطبه ببعض ألوان البيان في مثل الاستعارة في قوله **يركبكم الغرور** فقد أضفت على النص جمالاً وزادته إقناعاً من حيث حسن المعنى وعمومه موجود في المستعار –وهو المركوب– الذي أبقى على لازمة من لوازمه حتى يقرب الصورة إلى المتلقي ويجعله يشترك معه في حمل الهمّ من خلال تقنيات الحجاج الهادفة إلى حث النّفوس على التسليم بالأطروحات المعروضة عليهم وهو ماذهب إليه **بيرلمان** Perelmen « دراسات تقنيات الخطاب التي تسمح

بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته» [187]

[187]– بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،164،أوت1992م ص74.

إنّ حكومتكم الفتية منكم
تلقت تركة مثقلة بالتكاليف
والتبعات في وقت ضيق لم يجاوز أسابيع
فأعينوها بقوّة
وانصحوها في ما يجب النّصح فيه بالتي هي أحسن
ولا تقطعوا أوقاتكم في السفاسف والصغائر
وانصرفوا بجميع قوّاكم
إلى الإصلاح والتجديدوالبناء والتشييد
ولا تجعلوا للشيطان بينكم وبينها منفذاً يدخل منه
ولا لحظوظ النفس بينكم مدخلاً.

أفعال التعهد
وتعبيراته الآملة
في الإصلاح والتجديد

يواصل الخطيب طلبياته التي تتخللها توجيهاته إلى السلطة الرسمية والسلطة الشعبية من أجل تظافر الجهود والتعاون على ما يجمع ولايفرق، يبني ولايهدم، ويدعوهم إلى رفع سقف الاهتمام، واستغلال الوقت الحضاري بما يفيد في تجاوز السفاسف من الأمور والانصراف إلى الإصلاح والتجديد والإعمار، ويحذرهم من الإثم الباطني بالتلاقي على وحدة المبدأ وقدسية الهدف، ونبذ الفرقة وأسبابها، وإغلاق السبيل في وجه حظوظ النفس ومداخل الشيطان، والانتصار للدين والوطن. ويبقى أنّ الخطاب الموجز يحقق فاعليته الإيصالية بإيجاز أدواته التعبيرية من قبل (**المتكلم**)، **ليقوم** (**المتلقي**) بتأويله وتفتيته.

ويعدّ أسلوب الأمر في قوله **أعينوها** فعلاً انجازياً متمثلاً في الطلب والفعل التأثيري هو الدعوة والحثّ، وفي قوله **انصحوها انصرفوا** يتوجّه الخطيب إلى مخاطبه بطريقة ليّنة عن طريق النصح والاقتراح والفعل التأثيري هنا هو تشجيع المخاطب وطمأنته. كما استعمل النهي في قوله: **ولا تقطعوا ولا تجعلوا** فالفعل الإنجازي هو النهي.

وتتجلى حقيقة الفعل التأثيري في الترغيب والتشجيع، حيث استعمل الخطيب الأفعال الإنجازية التالية: الأمر والنهي وهما فنين من فنون الإقناع فيكتسب القول بذلك قوة حجاجية تجعل الأفعال التوجيهية تؤثر على المتلقي بجعله يقوم بالواجب ويسهم في تطوير أمته ولايضيع الزمن الحضاري في الإصلاح والتغيير والتجديد. وكلاهما ينتميان إلى صنف **الأمريات** بمفهوم سيرل." الذي يرى أنّ الهدف الإنجازي للطلب هو ذاته الهدف الإنجازي للأمر، كلاهما يحاول أن يجعل المرسَل إليه يقوم بفعل شيء ما ولكن القوّة الإنجازية تختلف من ذلك اختلافاً بيناً.وبوجه عام، يمكن القول: إنّ القوة الإنجازية هي نتيجة لعدد من العناصر، في حين يكون الهدف الإنجازي واحد فقط، ولذلك فإنني أعتقد أنّه الأكثر أهمية"[188].

[188] :*John.R. Searle. Sens et Espression Etudes de Théorie des Actes du Langages. P.41.*

وفقكم الله جميعا،
وأجري الخير على أيديكم جميعا
وجمع أيديكم على خدمة الوطن
وقلوبكم على المحبة لأبناء الوطن
وجعلكم متعاونين على البّر والتقوى
غير متعاونين على الإثم والعدوان.

دعوات وتوجيهات آملة متأملة في تحقيق التوفيق واجتماع الكلمة والتعاون على البّر والتقوى

إذا تم خرق شرط الاستعلاء في الأمر، فإنّ القوة الإنجازية تكون مستلزمة على وجه الطلب والدعاء ونجد أفعال الإيضاح التي تتخللها الطلبيات في تجسيد التعاون على الخير، وتحقيق الألفة والمحبة والاتحاد، واجتماع الكلمة على خدمة الوطن والذود عن حياضه وقد اقتبس الإبراهيمي من القرآن الكريم ما يعضد دعوته للوحدة في قوله تعالى:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ ان اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[189]. وبلغة سيرل "حيث كان المسؤول عن تحقيق المطابقة في الوعديات هو المتكلم، والمسؤول عن تحقيقها في الأمريات هو المخاطب، صار هناك غرضان متضمنان في القول متميزان أخذ كلّ منهما مجموعته من الأفعال المتضمنة في القول."[190]

ثم يختم بالدعاء لهم وتأكيد حقيقة الاستخلاف في الأرض،القائم على التّوارث في حمل الرّسالة، والتقيّد بالأهداف العليا للأمة والدين والوطن .وقد تفنن الإبراهيمي في جعل المقدمة التي تنم عما سيتلوه من مضامين، وما سيلحقها من أفكار. وتجليات الموقف المرتبط بالتطلّع الكبير، الخارج عن مألوف الخطباء المثقل والمتكلف

[189] – سورة المائدة ، الآية 120

[190] – ينظر: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمنيكو، ، ترجمة سعيد علواش، ص:69.

بالأسجاع؛كي يكون الخطاب متناغماً ومتجانساً ومنسجماً ،وقد أحسن صنعاً–وهو المتضلع– عندما يربط سير الحوادث ويعللها. لنقرأ مجددا فهمه للتاريخ من أنّه قراءة للأمة ودراسة لقدراتها واستطاعتها،وحِراكها ودفعها للظلم في مقابل الحرية والعدل،والبناء والتشييد في مقابل الهدم والتخريب.

إن قيمة التاريخ تتجلى فيما يُقدم من معرفة لا فيما يسجل من أخبار. وكيف يُستثمر في الحاضر لاستشراف المستقبل.حيث يقول:« هذه الأيام التي تعرف بما يقع فيها من الأعمال، لابما يوضع لها من الأعلام، وتذكر بآثارها في الأمم، لابمواقعها من الأسبوع أو الشهر، هذه الأيام التي تطول وتتسع حتى تستغرق القرون وتستوعب الأجيال على حين يبقى غيرها محدود بمطلع الشمس ومغربها » [191] قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ امَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أمنا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فأولئك هُمُ الْفاسِقُونَ﴾[192] فحقيقة الإيمان المرتبط بالعقيدة التي يتحقق بها حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنّساني كلّه، فالاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة،لا على الظلم والاستبداد.وتظل خطب الإبراهيمي حافلة بالشواهد والاقتباس بهدف إضفاء « لون من القداسة على جانب من صياغة ذلك الخطاب لما في تلك النصوص من هبة وتقديس في ذاكرة الجماعة» [193] .

[191]– سورة النور، الآية55.

[192] – سورة المائدة ، الآية 120

[193]– التناص وجماليته في الشعر العربي المعاصر، جمال أمباركي ،م . س، ص58.

إنّ موالاةَ المستعمِر خروجٌ عن الإسلام
فهذا حكمٌ مجمَل
تفصيلُه أنّ الموالاة
مفاعلةٌ أصلُها الولاء أو الولاية
وتمسّها في معناها مادة التّولّي،
والألفاظ الثلاثة واردة على لسان الشرع
منوطٌ بها الحكم الذي حكمنا به
وهو الخروجُ عن الإسلام

أفعال الأحكام أنّ مولاة
الاستعمار
خروج عن الإسلام

الشيخ البشير الإبراهيمي لم يعش بعيداً عن وَعْي الواقع، وأحوال الوطن ،دون النظر في كيفية تنزيل الأحكام الشرعية على واقع الناس، من خلال أفعال الأحكام التي وردت في مدونته الصوتية في عدم مولاة الاستعمار والبراء منه. تحدياً لسياسة الاستعمار المحاربة للهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، خشية عليه من الذوبان والاضمحلال، مؤكداً بفتواه الجريئة وقد كانت الجرأة في ذلك الوقت في مثل هذه المسائل باباً من العذاب فكان ذلك منه تحديًا للاستعمار، وإبطالاً لكيده، وتعطيلاً لسحره وأثبت بهذه المواقف للجزائر إسلاميتها. والأمة تتربى على المواقف من خلال الخطب. لا على الكلام الذي لا ينبني عنه عمل.

وهي في الاستعمال الشرعيِّ
جاريةٌ على استعمالها اللّغوي
وهو في جملته ضدُّ العداوة،
لأن العربَ تقول: "وَالَيْتُ أو عاديت
وفلانٌ وليّ أو عدّو
وبنو فلانٌ أولياء أو أعداء
وعلى هذا المعنى تدور تصرّفات الكلمة
في الاستعمَالَين الشرعيّ واللغويّ .
وماذا بين الاستعمَار والإسلام من جوامعَ أو فوارق
حتى يكونَ ذلك الحكم الذي قلناه صحيحاً أو فاسداً.

إخباريات لغوية وشرعية عن فعل المولاة والمعادة للاستعمار

يشكل أسلوب المقارنة والموازنة في منهج التفكير عند الإبراهيمي؛ لتوضيح أفكاره وتجلية معانيه، فقد أستطاع أن يحقق نتائج إيجابية ذات أبعاد حضارية ونضالية ووطنية تنم عن شجاعة في الطرح، وحكمة في المعالجة، وإحاطة واسعة بعلوم اللّغة العربية وأساليبها.

إنّ الإسلام والاستعمار ضدّان
لا يلتقيان في مبدإٍ ولا في غاية
فالإسلام دينُ الحرية والتحرير
والاستعمار دين العبودية والاستعباد
والإسلام شرع الرحمةَ والرفق .
وأمر بالعدل والإحسان

توضيحات تبين الفرق بين الإسلام والاستعمار.

توضيحات تبين الفرق بين الإسلام والاستعمار.

والاستعمار قوامُه على الشّدة والقسوة والطغيان
والإسلام يدعو إلى السلام والاستقرار
والاستعمار يدعو إلى الحرب والتقتيل والتدمير والاضطراب
والإسلام يُثبت الأديان السماوية ويحميها
ويقرّ ما فيها من خيرٍ ويحترم أنبياءَها وكُتبَها
بل يجعل الإيمان بتلك الكتبِ وأولئك الرّسل قاعدةً من قواعده.
وأصلاً من أصوله، والاستعمار يكفُر بكلّ ذلك
ويعمَل على هدمه، خصوصاً الإسلام ونبيّه وقرآنه ومعتنقيه

ومن التعبيرات يمر الخطيب إلى أفعال الإيضاح Expositifs التي يتخلّلها نوع من الإثبات والتأكيد على أنّ الإسلام والاستعمار في مفترق طرق لا يلتقيان في نظره حيث يقول" الاستعمارُ كلُّهُ رِجْسٌ من عَمَل الشيطان، يَلْتَقِي القائمون به على سَجَايا خبيثة، ذو غرائزَ شَرِهةٍ، ونظراتٍ عميقة إلى وسائل الافتراس، واخضع الفرائسِ، وأَهَمُّ تلك الوسائل ًقتلُ المعنويات، وتَخديرُ الاحساسات الروحية".[194] جاءَ الاستعمار الَّدنِسُ الجزائرَ يَحْمِلُ: السيفَ والصليبَ، ذلك للتمكُّن، وحاربتْ فرنسا الإسلامَ لأنه قَطَعَ عليها الطريقَ لتذويب المجتمع الجزائري وسلخه من جذوره وإدماجه في المجتمع الفرنسي حتى ترتبط الجزائر بفرنسا برباط أبديٍّ، وقد فَعَلَتْ ذلك من أَول يوْمٍ دخلَتْ فيه الجزائر، وإلى آخِرِ يومٍ خرجَتْ فيه منها، ولكن الإسلام الصحيح وهب للجزائر الخير وقدم لها النّصر، ووقف لفرنسا بالمرصاد.

[194]– عيون البصائر للشيخ محمد البشير الإبراهيمي ،صفحة 86–طبعة دار المعارف ، مصر،

نستنتِج من كلّ ذلك أنّ الاستعمارَ عدوّ لدودٌ للإسلام وأهلِه فوجَب في حكم الإسلام اعتبارُ الاستعمار أعدَى أعدائِه، ووجب على المسلمين أن يطبِّقوا هذا الحكمَ وهو معاداةُ الاستعمار لا موالاته[195] .	نتيجة إخبارية تحث المسلمين على سبيل النصح في معادة الإسلام لا موالاته وهو فعل القرار.

أصل الموالاة هي المحبة، كما أنّ أصل المعاداة البغض، فإنّ التّحابّ يوجب التقارب والإتفاق، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف وهو ركن من أركان العقيدة، وشرط من شروط الإيمان .(باب الولاء والبراء).

الأفعال التوجيهية تخلق أسبابا للمخاطب كي يؤدّي ما طُلب منه وتحمله على القيام بفعل معيّن وتشجعه، كما تبيّن أعلاه.

[195]– الولاء لغة: قال ابن فارس: "الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب... من ذلك الولي: القريب... والولاء: الموالون، يقال: هؤلاء ولاء فلانٍ"، ثم قال: "والباب كلّه راجع إلى القرب"مقأييس اللّغة (6/141-142).

الاستعمارُ الغربيّ .

وكلّ استعمارٍ في الوجود غربيّ .

يزيد على مقاصدِه الجوهريّة

وهي الاستئثار والاستعلاء والاستغلال

مقصداً آخرَ أصيلاً وهو محوُ الإسلام

من الكرة الأرضية .

إخباريات عن

مقاصد الاستعمار

الجوهرية في محاربة الإسلام.

خوفاً من قوّته الكامنة

وخشيةً منه أن يعيدَ سيرتَه الأولى كرةً أخرى .

وجميعُ أعمال الاستعمار ترمي إلى تحقيق هذا المقص

فاحتضانه للحركاتِ التبشيرية وحمايتُه لها

وسيلةٌ من وسائل حربِه للإسلام

وتشجيعُه للضالين المضلّين من المسلمين

إخباريات واصفة

لسلوك الاستعمار

في حربه على الإسلام.

غايتُه تجريد الإسلام من روحانيته وسلطانه على النفوس.

ودائما وفي إطار الفعل الإنجازي تأتي الإخباريات في هذا المقطع لتشتمل على أساليب الاستعمار الماكرة في حربه على الإسلام، فهو يحمل السيف والصليب للتمكّن، « فقد كان استعماراً دينياً مسحياً عارياً؛ وقف للإسلام من أول

يوم»[196] ؛ قصد تدمير المرجعية الثقافية والحضارية للأمة، حتى تفقد مقومات وجودها، ويتمهد له السبيل لبسط سلطانه.

يقول الإبراهيمي:« الاستعمار جاء لهذا الوطن بثلاثة أشياء ليمحو بها ثلاثة أشياء: جاء باللاتينية ليغمر بها العروبة، وجاء باللّغة الفرنسية ليقضى بها على اللّغة العربية، وجاء بالمسيحية لينسخ بها الإسلام [197] »ومهما يكن، فإنّ التبشير في الجزائر أخفق في تحقيق أهدافه بسبب قوة تمسك الجزائريين بدينهم وعقيدتهم وإذا كان الإبراهيمي قد أعار اهتماماً بالغاً لعقيدة الأمة، فإنّه لم يغفل عن قضاياها الاجتماعية التي كان يحياها المجتمع الجزائري إبان الاحتلال. وتقوم فلسفته على العمق والشمولية، واعتماد الدين أساساً في الإصلاح في معالجة مختلف الظواهر الاجتماعية.

ويأتي في آخر قائمةِ الأسلحة
التي يستعمِلها الاستعمارُ الغربيّ لحرب الإسلام
اتّفاقُه بالإجماع على خلقِ دولةِ إسرائيل
في صميمِ الوطَن العربي
وانتزاعِ قطعةٍ مقدّسة من وطن الاسلام
وإعطائها لليهود
الذين يدينون بكذِب المسيح وصلبِه
وبالطعن في أمّه الطاهرة .

إخباريات عن
الاستعمار الغربي وكيف
أُغتصبت فلسطين.

[196] – الآثار، محمد البشير الإبراهيمي، م،ن ص80.
[197]– المرجع نفسه، ج.3،ص160.

نقرأ في الأنساق إخباريات عن فلسطين وكيف زرعت في جسم الأمة العربية الإسلامية يقول الإبراهيمي: « أيها العرب، أيها المسلمون: إن فلسطين وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة، إنّا إذن لخاسرون . » [198]

وما أجهل العرب إذا لم يعالجوا هذه الجرثومة الصهيونية الخبيثة بالاستئصال ! إنّهم – والله – أنْ لا يفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير." يا فلسطين! إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحاً دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير، وفي عنق كل مسلم جزائري لك – يا فلسطين – حق واجب الأداء وذمام متأكد الرعاية، فإنّ الذنب ليس ذنبه، وإنّما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه والمرء وداره، والمسلم وقبلته"[199]

[198]– عيون البصائر، ولينظروا في صفحة 496.

[199]– المرجع نفسه.

فالواجبُ على المسلمين أن يفهَموا هذا
وأن يعلَموا أنّ مَن كان عدوًّا
لهم فأقلّ درجاتِ الإنّصاف أن يكونوا أعداءً له
وأن موالاتَه بأي نوعٍ من أنواع الولاية
هي خروجٌ عن أحكام الإسلام
لأن معنى الموالاة
له أن تنصرَه على
نفسِك وعلى دينِك وعلى قومِك وعلى وطنِك .

توجيهات طلبية
للمسلمين
في ممارسة العداء ضد
الاستعمار وعدم
موالاته.

ويواصل الخطيب دائماً مع طلبياته التي تتخللها توجيهاته إلى المسلمين في عدم موالاة الاستعمار، لِيصل إلى النتيجة في إصدار الحكم الشرعي بأفعال القرارات ExeCutiifs في الخروج من ربقة الإسلام، بتقديم توضيحات Expositifis لسبب الموالاة.وتتمثل القوة الإنجازية في أفعال الأحكام.

والمعاذِير التي يعتَذر بها الموالون للاستعمار
كالمداراة وطلبِ المصلحة
يجب أن تدخُل في الموازين الإسلامية
والموازينُ الإسلاميّة دقيقةٌ
تزِن كلَّ شيء من ذلك بقَدرِه
وبقَدرِ الضرورة الداعيَة إليه
وأظهرُ ما تكون تلك الضروراتُ
في الأفراد لا في الجماعات ولا في الحكومات.

توجيهات الخطيب
للموالين الاستعمار
في شكل حوار على
أساس فقهي في رعاية
المصالح ودرء المفاسد.

فالخطيب يستعمل منهج المحاججه بما يمتلكه من مخزون فقهي يقتني ألفاظه ويراعي مقتضى الحال؛ لأن جمهوره تتنوع مستوياتهم الثقافية، فقد استند على نصوص فقهية طلب المصلحة، الضرورات وهو ما يدخل في رعاية المصلحة ودرء المفسدة، وأنّ الضرورات تبيح المحذورات. وهو بهذا الخطاب يكشف عن سلوكات المنهزمين المقتولين من الداخل ويردّ على ادعاءاتهم، ويكشف زيف معاذريهم.

وموالاةُ المستعمِر

أقبحُ وأشنَع ما تكون من الحكومات
وأقبحُ أنواعِها ان يُحالَف حيث يجب أن يُخالَف
وأنّ يُعاهَد حيث يجب أنّ يُجاهَد
وأقبحُ ما فيها من القبح أن يُحالَف
استعمارٌ على حربِ استعمار[200] .

كشف سلوكيات.

وفي تعبيرياته Assertifs تظهر التوضيحات على سبيل المقارنة بالقضية وما يناقضها في الدفاع عن أطروحته وحربه على الاستعمار وأذنابه "يُحالف ،يُخالف يعاهد، يجاهد، يحالف استعمار"مستعيناً بالقوانين التي تحكم السلم الحجاجي بما يعرف بقانون الخفض: La Loi D'abaissement «إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها »[201] .

200: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،ج 5، ص 68-70.

201– اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمان: المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب، ط:01، ت1998،ص277.

وقد كانتِ الحروب قبلَ اليوم لمعان بعضُها شريف

وقد يكون أحدُ الجانبَين فيها على حقّ

أما هذه الحروب التي لا تنتهي الواحدةُ منها

إلاّ وهي حاملٌ مُقْرِب بأخرى أشدَّ منها هولاً

وأشنعَ عاقبةً، فلم يبقَ فيها شيء من معاني الشّرفِ

ولا من معاني الرّحمة.

إخباريات توضح طبيعة الحروب ووسائلها غير الشريفة.

وتشمل الإخبارياتAssertives ضمن تصنيفات سيرل Searle للأفعال الكلامية التي تصف الواقع والأحداث في العالم الخارجي وتتواتر الإخباريات لتكشف طبيعة الحروب التي لاتنتهي، وقد جاءت لغة الخطيب قاسية وحادة في مواجهة المحتل بغرض تعريته من كلّ القيم الإنّسانية التي يدعيها في الظاهر ويعمل على مخالفتها في الواقع، فيصفه بأبشع الصفات وأقبح الصور كقوله: « الاستعمار سلّ يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح[202] » ومرجعية الفتوى عند الإبراهيمي مستمدة من قوله تعالى﴿يَا أيهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ اليهود وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنّه مِنْهُمْ إنّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[203].

[202]– الآثار _عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ،م،ص 350.

[203] – سورة المائدة، الآية51.

معاني الكرامَة الإنّسانية، من ولا

وأنّما هي حربٌ مجنونة

يبعثُها حبُّ الاستعلاء والتسلّط على الضعفاء إخباريات عن الحرب

والاستئثار بخيراتِ أرضهم المجنونة التي لاتنضبط بضابط

والضعفاءُ دائماً هم الأدوات التي تقَع بها الحرب ولاتحتكم إلى شرع.

وتقَع عليها الحرب،

فهم في السِّلم محلُّ النّزاع

وفي الحربِ ميدان الصّراع.

ويواصل الخطيب الإبراهيمي إخباریاته واصفاً الحروب المجنونة التي يقودها النظام الغربي، والتي تقوم على بسط السيطرة والنفوذ والاستئثار بخيرات المستضعفين، نظام ليس له أصدقاء دائمون وليس له أعداء دائمون، بل له مصالح دائمة. نظام فقد التوازن والرحمة، فقد الوازع والخلق. فمن خلال تأكيده على الوجه الحقيقي للحروب المرتبطة بالأطماع والمصالح نلاحظ أن التعبيريات هي الطاغية على الأفعال الكلامية الأخرى، ولقد استعمل الشاعر جملا إنجازية تشتمل على فعل مضارع مبني للمعلوم المتكلم المفرد، تفيد الإنّجاز وتدلّ على الحركية والتفاعل مثلا نلاحظ أنّ التعبيريات هي الطاغية على الأفعال الكلامية الأخرى، ولقد استعمل الخطيب جملاً إنجازية تشتمل على فعل مضارع مبني للمعلوم، تفيد الإنّجاز وتدلّ على الحركية والتفاعل مثل :

يبعثها، تقع فالفعل التأثيري هنا، كشف طبيعة الصراع ونوايا المستعمرين وأطماعهم.

لامِثال للبلاهةِ والبَلادة

أوضح من محالفة الضعيفِ للقويّ

إلاّ إذا صحّ في الواقع وفي حُكم العقل

أن يحالِف الديكُ النسر، أو تحالِفَ الشاة الذئب.

تعبيرات ساخرة من الاستعمار.

يواصل الخطيب تعبيراته Expressifs بتهكم وسخرية الإخباريات التهكمية Assertifs Ironique ممن يستخفون بالشعوب المقهورة ويطعنون في قدراتها العقلية والفكرية وهذا التهكّم راجع إلى إحساس الخطيب بمأساة الأمة وحتى تتضح الصورة فيقوم بموازنه يستحيل تحقيقها في الواقع. على سبيل المنطق المقلوب فكيف يتحالف الديك مع النسر، أم كيف تتصالح الشاة مع الذئب.

كيفَ نحالِف الأقوياءَ

وقد دلّت التجاربُ أنهم أنّما يحالفوننا

ليتَّخذوا من أبنائنا وقوداً للحَرب،

ومن أرضِنا ميداناً لها،

ومن خيراتِ أرضنا ازواداً للقائمين بها،

ثم تنتهي الحربُ ونحن المغلوبون الخاسرون

على كلّ حال، وقد تكرّرت النذُر فهل من مُدَّكِر؟ !

إخباريات بما ارتكبه الأعداء في حقّنا.

ونلاحظ دقة اختيار الوحدات اللّسانية الدّالة، بإخبارياته ليواجه المستعمِر بأفعاله الشنيعة وما أرتكبه في حق الشعوب المستضعفة وقد ظهرت براعة الخطيب في

التدرج الحجاجي والاقتباس في قوله "**فهل من مدكر**" ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآن لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[204] من أجل الإقناع والتأثير.

ويرجع مرة أخرى إلى التعبيريات ليعبر عن حالة التذمّر عن طريق الاستفهام بقوله:فهل من مدّكر؟ أمّا الفعل التأثيري المتحقق هو التنبيه والتذكير للشعوب كي تستفيق من سباتها وغفلتها فتدرك حقيقة الاستعمار.وقانون الغاب الذي يحكمه، رغم ما يتدثر به من شعارات بابها من قِبله الرحمة وباطنُها من قبله العذاب. ممّا يجعل المخاطب يعقد مقارنة،و يستنكر الوضع.

أيها المسلمون

أفراداً وهيئات وحكومات :
لا توالُوا الاستعمارَ
فإنّ موالاتَه عداوةٌ لله وخروجٌ عن دينه.
ولا تتولّوه في سِلم ولا حَرب
فان مصلحتَه في السِّلم قبل مصالحكم،
وغنيمَته في الحرب هي أوطانكم .
ولا تعاهِدوه فإنّه لا عهدَ له .
ولا تأمَنوه فإنّه لا أمان له ولا أيمان.

توجيهات طلبية.

فقد استعمل الخطيب الأفعال الإنجازية: النّداء في قوله: أيها المسلمون وهي أفعال توجيهية تؤثر على المتلقي سواء كانوا أفراد أو هيئات أو حكومات،في عدم موالاة

[204] – سورة القمر ، الآية32.

الاستعمار لِيخلص إلى فعل القرار والحكم بصدور الفتوي الدينية **فإن موالاتَه عداوةٌ لله وخروجٌ عن دينه**. ولقد خاطب الإبراهيمي الأمة بجملة إنجازية صريحة تحُكّم الشرع فالفعل الإنجازي هو الطلب إذ يدعوها إلى تدارك ما فاتها حتى تستفيق من غيبوبتها لتواكب سير الأمم والفعل التأثيري هو لفت الانتباه بالنداء والدعوة .

فالخطيب يخبرنا بحقيقة الأشياء والمواقف التي يجب أن تُتخذ. القوة الإنجازية هي التحريض وإثارة الانفعال حيث يستنهض الهمّم الراكدة ويوجهها ويعيد لها الأمل، وتحقيق الاستنكار. كما استعمل ضمير الجمع ليحسّس المخَاطب بمشاركته في الخطاب، ويتفاعل مع الخطبة ويتأثر بها في قوله: **لا توالُوا، ولا تعاهِدوه، ولا تأمَنوه فبنفنيست** يعتبر الضمائر وعاء المصطلحات"وبهدف إضفاء لون من القداسة على جانب من صياغة ذلك الخطاب لما في تلك النصوص من هبة وتقديس في ذاكرة الجماعة"[205]نجد الإبراهيمي يوظف الحديث الشريف–وهو الذي عرفه رواية ودراية– "ألا إنّه لا أيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له"رواه الطبراني. ولئن وُجد في خُطبه بعض التّكرار، فما ذلك إلاّ من قبيل تقرير المعنى وتجميل الأسلوب بغرض إثبات المقصود وتمكينه في نفس السامع، والتّكرار عند الخطيب تأسيس لمعنى جديد، يلفت به نظر المخاطب، ويثير اهتمامه، ويؤكد رجاءه.

إنّ الاستعمارَ يلفِظ أنفاسَه الأخيرة
فلا يكتُبْ عليكم التاريخُ
أنّكم زِدتم في عمره يوماً بموالاتكم له .
ولا تحالِفوه فإنّ من طَبعِه الحيوانيّ
أنّ يأكلَ حليفَه قبلَ عدوِّه .

توضيحات تبين أنّ موالاة المستعمر تزيد في عمر الاحتلال.

[205]– التناص وجماليته في الشعر العربي المعاصر ،جمال مباركي، ، م، س، ص58.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم وهو الغفور الرحيم.

استعمل الخطيب بعض الأدوات النحوية التي قامت بإنجاز أفعال كلامية منها:" إنّ أنّ"وهي أدوات لغوية حجاجية بقصد التأكيد والإقناع نلاحظ في هذه الخطبة ترتيباً للحجج، وهذا ما يُعرف عند ديكرو بالسلم الحجاجي؛ إذ يبدأ المتكلم في عرض حججه بالترتيب حتى يصل إلى الحجة الأقوى، في عدم موالاة الاستعمار والنتيجة حتى لا يكتب التاريخ الزيادة في عمره، والإبراهيمي يقيم الحجة ويبرئ الذمة لله وينصح أولئك المتخاذلين المتساقطين في ترك موالاة الاستعمار وخاصة بعدما تأكد ولاح في الأفق له أسباب زواله ورحيله، وحتي لا يكتب التاريخ عليهم الزيادة في عمره وقد تجرّد من كلّ القيّم الإنّسانية ونزع إلى طبعه الحيواني العدواني.وتتجلى القوة الإنجازية في التحريض على الاستعمار وتجفيف منابع دعمه.

ثم يخلص للخطيب بالدعاء وهو لازمة من لوازم الخطبة الدينية في رجاء يصاحبه خوف، بعد أنّ أدى الأمانة ونصح للأمة وأصلح ولم يتبع سبيل المفسدين. وهي آخر ما ينهي الخطيب خطبته، ويختم كلامه، ويتحقَّق به تمام الموضوع وكماله، ويسمَّى ذلك حسن الانتهاء، كما أنّ براعة الاستهلال تسمَّى حسن المطلع وكما يجب التألُّق في المطلع، تجب البراعة في المقطع؛ إذ هو الأثر الباقي في نفوس المستمعين بعد الإتمام، وآخر ما يتردَّد صداه في قلوبهم، وبه تتمُّ الفائدة للخاتمة الأثر في بقاء قوة الخطبة في أذهان المستمعين؛ لأنها آخر جزء منها، وهي آخر ما ينساه المستمع من

حديث الخطيب؛ والسبب إنّ المستمع يركِّز على مقدمة الخطبة وخاتمتها، إما في وسطها وما يتعلَّق بموضوع الخطبة، فربما أصيب المسمع بقلة التركيز، وشرود الذهن.

ومن ثم، توجب على الخطيب الاهتمام بالخاتمة، التي يراعى فيها الوضوح، والتأثير، والجمال والروعة، وهو ما تجلى في مدونة الإبراهيمي من خطب مسجدية أو إذاعية مسموعة، انبنت عليها مواقف دينية وتاريخية وفق منهج الوسطية والاعتدال الذي ارتكزت عليه جمعية العلماء المسلمين تربيةً وتعليماً وإصلاحا، وهو ما ينسجم مع نظرية الأفعال الكلامية تداولياً.

الملـــــــــحق

السيرة المختصرة للشيخ البشير الإبراهيمي

من أعلام الفكر والأدب في العالم العربي ومن العلماء العاملين في الجزائر. رفيق النضال لعبد الحميد ابن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية الجزائرية، ونائبه ثم خليفته في رئاسة جمعية العلماء، ومجاهد باللّسان والقلم لتحرير الشعوب من الاستعمار، وتحرير العقول من الجهل والخرافات.

ولد في 13 شوال 1306 هـ الموافق 14 جوان عام 1889م في قرية أولاد إبراهيم برأس الوادي قرب ولاية برج بوعريريج. تلقى تعليمه الأول على والده وعمه؛ فحفظ القران ودرس بعض المتون في الفقه واللّغة.؛

غادر الجزائر عام 1330 هـ الموافق 1911 ملتحقاً بوالده الذي كان قد سبقه إلى الحجاز، وتابع تعليمه في المدينة، وتعرف على الشيخ ابن باديس عندما زار المدينة عام 1331 هـ الموافق1913، غادر الحجاز عام 1335 هـ 1916 قاصداً دمشق، حيث اشتغل بالتدريس، وشارك في تأسيس المجمع العلمي الذي كان من غاياته تعريب الإدارات الحكومية، وهناك التقى بعلماء دمشق وأدبائها، ويتذكرهم بعد ثلاثين سنة من عودته إلى الجزائر فيكتب في (البصائر) العدد 64 عام 1949: "ولقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلاّ قليلاً، فأشهد صادقاً أنّها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وإنّها هي الجزء العامر في عمري الغامر، ولا أكذب الله، فأنا قرير العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن (الجزائر) ولكن... مَن لي فيه بصدر رحب، وصحب كأولئك الصحب؛ ويرعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع وسقت، وأفرغت فيها ما وسقت، فكم كانت لنا فيها من مجالس نتناقل فيها الأدب، ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية...".[206]

[206]:عيون البصائر، العدد 46، 1949.

في عام 1338 هـ الموافق 1920 غادر الإبراهيمي دمشق إلى الجزائر، وبدأ بدعوته إلى الإصلاح ونشر العلم في مدينة سطيف، حيث دعا إلى إقامة مسجد حرّ (غير تابع للإدارة الحكومية) وفي عام 1924 زاره ابن باديس وعرض عليه فكرة إقامة جمعية العلماء، وبعد تأسيس الجمعية أُختِير الإبراهيمي نائباً لرئيسها، وانتدب من قِبل الجمعية لأصعب مهمة وهي نشر الإصلاح في غرب الجزائر وفي مدينة وهران وهي المعقل الحصين للصوفية الطرقيين، فبادر إلى ذلك وبدأ ببناء المدارس الحرّة، وكان يحاضر في كل مكان يصل إليه، وهو الأديب البارع والمتكلم المفوَّه، وامتد نشاطه إلى تلمسان وهي واحة الثقافة العربية في غرب الجزائر وقامت قيامة الفئات المعادية من السياسيين والصوفيين وقدموا العرائض للوالي الفرنسي؛يلتمسون فيها إبعاد الشيخ الإبراهيمي ولكن الشيخ استمر في نشاطه، وبرزت المدارس العربية في وهران وتلمسان.

في عام 1939 كتب مقالاً في جريدة (الإصلاح)؛ فنفته فرنسا إلى بلدة **أفلو**[207] الصحراوية، وبعد وفاة ابن باديس انتخب رئيساً لجمعية العلماء وهو لا يزال في المنفي ولم يُفرج عنه إلا عام 1943، ثم اعتقل مرة ثانية عام 1945 وأفرج عنه بعد سنة. وفي عام 1947 عادت مجلة البصائر للصدور، وكانت مقالات الإبراهيمي فيها في الذروة العليا من البلاغة ومن الصراحة والنقد القاسي لفرنسا وعملاء فرنسا.

وافت المنية الرجل، يوم الخميس في 18 من المحرم 1385 هـ الموافق العشرين من أيار/ مايو عام 1965 عن عمر بلغ 76 سنة بعد أن عاش حياة كلها كفاح لإعادة المسلمين إلى دينهم القويم ؛ فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.[208]

---

[207]: مدينة أفلو،بلدية جزائرية تابعة لولاية الأغواط، وتعتبر أقدم دائرة في الولاية حيث عينت كدائرة في سنة 1954 م ،تبعد عن مدينة الأغواط ب100كلم وعن ولاية البيض 130كلم.

[208] :ينظر، مجلة البيان، العدد13.

خطب الإبراهيمي المسجدية والإعلامية.

أول خطبة جمعة :بمسجد كتشاوة بعد الاستقلال 02 نوفمبر 1962[209]

الحمد لله ثمّ الحمد لله، تعالت أسماؤه وتمت كلماته صدقًا وعدلاً، لا مبدل لكلماته، جعل النّصر يتنزّل من عنده على من يشاء من عباده حيث يبتليهم فيعلم المصلح من المفسد ويعلم صدق يقينهم وإخلاص نياتهم وصفاء سرائهم وطهارة ضمائرهم. سبحانه تعالى جعل السيف فرقانا بين الحق والباطل، وأنتج من المتضادات أضدادها، فأخرج القوّة من الضعف وولد الحرية من العبودية وجعل الموت طريقاً إلى الحياة، وما أعذب إذا كان للحياة طريقا، وبايعه عباده المؤمنون الصادقون على الموت، فباءوا بالصفقة الرابحة، و(إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[210]) سجانه تعالى جدّه، تجلى على بعض عباده بالغضب والسخط فأحال مساجد التوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتثليث[211]، وتجلى برحمته ورضاه على آخرين فأحال فيهم كنائس التثليث إلى مساجد للتوحيد، وما ظلم الأولين ولا حابى الآخرين، ولكنّها سنته في الكون وآياته في الأفاق يتبعها قوم فيفلحون، ويعرض عنها قوم فيخسرون.

209: ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة 5 جمادى الثانية، 1382هجرية الموافق ل 2نوفمبر 1962ميلادية، بحضور أركان الدولة ووفود غفيرة من مختلف الدول الا سلامية. آثار الامام الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله الدكتور أحمد الإبراهيمي، ج5، (1954-1964)، دار الغرب الاسلامي، ص.ب 5787-113بيروت، لبنان، ط1 ص305، 306، 307، 308.

210- سورة التوبة، الآية 111.

211: التثليث: تقول الكنيسه ان الله ثلاثه في واحد ،أي ثلاثه ألهةفي إله واحد :الاب والابن وروح القدس

وأشهد أنّ لا إله الاّ الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.

واشهد أنّ محمدا عبده ورسوله شرع الجهاد في سبيل الله، وقاتل لإعلاء كلمة الله حتى استقام دين الحق في نصابه وأدبر الباطل على كثرة أنصاره وأحزابه وجعل نصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة منوطاً بالإيمان والصبر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل متبع لهداه داعٍ بدعوته إلى يوم الدين. ونستنزل من رحمات الله الصَّيّبة، وصلواته الزاكية الطيبة لشهدائنا الأبرار ما يكون كفاء لبطولتهم في الدفاع عن شرف الحياة وحرمان الدين وعزة الإسلام وكرامة الإنّسان وحقوق الوطن. واستمد من الله اللّطف والإعانة لبقايا الموت وأثار الفناء ممن ابتلوا في هذه الثورة المباركة بالتعذيب في أبدانهم والتخريب لديارهم والتحيف لأموالهم. واسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمة ألفة تجمع الشمل، ووحدة تبعث القوّة ورحمة تضمد الجراح، وتعاونا يثمر المنفعة، وإخلاصا يهون العسير، وتوفيقا ينير السبيل، وتسديدا يقوّم الرأي ويثبت الأقدام وحكمة مستمدة من تعاليم الإسلام وروحانية الشرق وأمجاد العرب، وعزيمة تقطع دابر الاستعمار من النفوس، بعد أن قطعت دابره من الأرض. ونعوذ بالله ونبرأ إليه من كلّ داعٍ يدعو إلى الفرقة والخلاف، وكلّ ساعٍ يسعى إلى التفريق والتمزيق وكل ناعق ينعق بالفتنة والفساد. ونحيي بالعمار والثّمار والغيث المدرار هذه القطعة الغالية من أرض الإسلام التي نسميها الجزائر، والتي فيها نبتنا، وعلى حبّها ثبتنا، ومن نباتها غذينا وفي سبيلها أوذينا.

أحييك يا مغنى الكمال بواجب وأُنفق في أوصافِك الغرّ أوقاتي.

يا أتباع محمد عليه السلام هذا هو اليوم الأزهر الأنّور وهذا هو اليوم الأغر المحجل، وهذا هو اليوم المشهود في تاريخكم الإسلامي بهذا الشمال، وهذا اليوم هو

الغرّة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة، وهذا هو التاج المتألق في مفرقها، والصحيفة المذهبة الحواشي والطرز من كتابها.

وهذا المسجد هو حصة الإسلام من مغانم جهادكم، بل هو وديعة التاريخ في ذمكم، أضعتموها بالأمس مقهورين غير معذورين واسترجعتموها اليوم مشكورين غير مكفورين، وهذه بضاعتكم ردّت إليكم، أخذها الاستعمار منكم استلابًا، وأخذتموها منه غلابًا، بل هذا بيت التوحيد عاد إلى التوحيد وعاد التوحيد إليه فالتقيتم جميعا على قدر.

إنّ هذه المواكب الحاشدة بكم من رجال ونساء يغمرها الفرح ويطفح على وجوهها البِشر لتجسيمٌ لذلك المعنى الجليل، وتعبيرٌ فصيح عنه، وهو أن المسجد عاد للساجدين الرُكع من امة محمد، وان كلمة لا اله إلا الله عادت لمستقرها منه كان معناها دام مستقرا في نفوس المؤمنين، فالأيمان الذي تترجم عنه كلمة لا اله إلا الله، هو الذي أعاد المسجد إلى أهله، وهو الذي أتى بالعجائب وخوارق العادات في هذه الثورة.

أما والله لو أنّ الاستعمار الغاشم أعاده إليكم عفوا من غير تعب، وفيئة منه إلى الحق من دون نصب، لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الروعة والجلال.

يا معشر الجزائريين: إذا عدت الأيام ذوات السمات، والغرر والشيات في تاريخ الجزائر فسيكون هذا اليوم أوضحها سمة وأطولها غرّة وأثبتها تمجيدًا، فاعجبوا لتصاريف الأقدار، فلقد كنا نمرّ على هذه الساحة مطرقين، ونشهد هذا المشهد المحزن منطوين على مضض يصهر الجوانح ويسيل العبرات، كأنّ الأرض تلعننا بما فرّطنا في جنب ديننا، وبما أضعنا بما كسبت أيدينا من ميراث أسلافنا، فلا نملك إلا الحوقلة والاسترجاع، ثم نرجع إلى مطالبات قولية هي كل ما نملك في ذلك الوقت، ولكنّها نبهت الأذهان، وسجلت الاغتصاب وبذرت بذور الثورة في النّفوس حتى تكلمت البنادق.

أيها المؤمنون: قد يبغي الوحش على الوحش فلا يكون غريباً، لأن البغي مما ركب في غرائزه، وقد يبغي الإنّسان على الإنّسان فلا يكون ذلك عجيبا لأن في الإنّسان عرقًا نزاعاً إلى الحيوانية وشيطانا نزاغًا بالظلم وطبعا من الجبلة الأولى ميالا إلى الشر، ولكن العجيب الغريب معا، والمؤلم المحزن معا، أن يبغي دين عيسى روح الله وكلمته على دين محمد الذي بشر به عيسى روح الله وكلمته.

يا معشر المؤمنين: إنّكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه، ولا فرحتم باسترجاعه فرحة الصبيان ساعة ثم تنقضي، ولكنّكم استرجعتم معانيه التي كان يدل عليها المسجد في الإسلام ووظائفه التي كان يؤديها من إقامة شعائر الصلوات والجمع والتلاوة ودروس العلّم النافعة على اختلاف أنواعها، من دينية ودنيوية فإنّ المسجد كان يؤدي وظيفة المعهد والمدرسة والجامعة.

أيها المسلمون: إن الله ذمّ قومًا فقال: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خائفين لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)"[212] ، ومدح قومًا فقال: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)"[213] التوبة: 18

يا معشر الجزائريين: إنّ الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم: ((إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنّه رضي أن يطاع فيما دون ذلك))، فهو قد خرج من أرضكم، ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم، ولم يخرج

[212]- سورة البقرة، الآية114.

[213]- سورة التوبة، الآية18

من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه الاّ فيما اضطررتم إليه، وما أبيح للضرورة يقدر بقدرها.

يا معشر الجزائريين: إنّ الثورة قد تركت في جسم أمتكم ندوباً لا تندمل إلا بعد عشرات السنين وتركت عشرات الآلاف من اليتامى والأيامى والمشوهين الذين فقدوا العائل والكافل وآلة العمل فاشملوهم بالرعاية حتى ينسى اليتيم مرارة اليتم، وتنسى الأيم حرارة الثكل، وينسى المشوه أنّه عالة عليكم، وامسحوا على أحزانهم بيد العطف والحنان فإنّهم أبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم.

يا إخواني: إنّكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر واليابس، وأنكم اشتريتم حريتكم بالثمن الغالي، وقدمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدمه شعب من شعوب الأرض قديماً ولا حديثاً، وحزتم من إعجاب العالم بكم ما لم يحزه شعب ثائر، فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستزلكم الشيطان، فتشوهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة أو تقضوا على هذه السمعة العاطرة.

إنّ حكومتكم الفتية منكم، تلقت تركة مثقلة بالتكاليف والتبعات في وقت ضيق لم يجاوز أسابيع، فأعينوها بقوّة، وانصحوها في ما يجب النّصح فيه بالتي هي أحسن، ولا تقطعوا أوقاتكم في السفاسف والصغائر، وانصرفوا بجميع قوّاكم إلى الإصلاح والتجديد، والبناء والتشييد، ولا تجعلوا للشيطان بينكم وبينها منفذاً يدخل منه، ولا لحظوظ النفس بينكم مدخلاً.

وفقكم الله جميعاً، وأجرى الخير على أيديكم جميعاً، وجمع أيديكم على خدمة الوطن، وقلوبكم على المحبة لأبناء الوطن، وجعلكم متعاونين على البر والتقوى غير متعاونين على الإثم والعدوان.

قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)"[214] النور: 55 .

[214]– سورة النور، الآية55.

كلمة بإذاعة صوت العرب: القاهرة 1955

موالاة المستعمر خروج عن الإسلام . قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا قلنا: "إنّ موالاةَ المستعمِر خروجٌ عن الاسلام" فهذا حكمٌ مجمَل، تفصيلُه أنّ الموالاة مفاعلةٌ أصلُها الولاء أو الولاية، وتمسّها في معناها مادة التّولّي، والألفاظ الثلاثة واردة على لسان الشرع، منوطٌ بها الحكم الذي حكمنا به وهو الخروجُ عن الإسلام، وهي في الاستعمال الشرعيِّ جاريةٌ على استعمالها اللّغوي، وهو في جملته ضدُّ العداوة، لإنّ العربَ تقول: وَالَيْتُ أو عاديت، وفلانٌ وليّ أو عدّو، وبنو فلانٌ أولياء أو أعداء، وعلى هذا المعنى تدور تصرّفات الكلمة في الاستعمَالَين الشرعيّ واللّغوي .وماذا بين الاستعمَار والإسلام من جوامعَ أو فوارق حتى يكونَ ذلك الحكم الذي قلناه صحيحاً أو فاسداً .

إنّ الإسلامَ والاستعمار ضدّان لا يلتقيان في مبدأ ولا في غاية، فالإسلام دينُ الحرية والتحرير، والاستعمار دين العبودية والاستعباد، والإسلام شرع الرحمةَ والرفق، وأمر بالعدل والإحسان، والاستعمار قوامُه على الشدّة والقسوة والطغيان، والإسلام يدعو إلى السلام والاستقرار، والاستعمار يدعو إلى الحرب والتقتيل والتدمير والاضطراب، والإسلام يُثبت الأديان السماوية ويحميها، ويقرّ ما فيها من خيرٍ ويحترم أنبياءَها وكتبَها، بل يجعل الإيمان بتلك الكتبِ وأولئك الرّسل قاعدةً من قواعده وأصلاً من أصوله، والاستعمار يكفُر بكلّ ذلك ويعمَل على هدمه، خصوصاً الإسلام ونبيّه وقرآنه ومعتنقيه. .

نستنتِج من كلّ ذلك أنّ الاستعمارَ عدوّ لدودٌ للإسلام وأهلِه، فوجَب في حكم الإسلام اعتبارُ الاستعمار أعدَى أعدائِه، ووجب على المسلمين أن يطبِّقوا هذا الحكمَ وهو معاداةُ الاستعمار لا موالاته .

الاستعمارُ الغربيّ . وكلّ استعمارٍ في الوجود غربيّ . يزيد على مقاصدِه الجوهريّة وهي الاستئثار والاستعلاء والاستغلال مقصداً آخرَ أصيلاً وهو محوُ الإسلام من الكرة الأرضية خوفاً من قوّته الكامنة، وخشيةً منه أن يعيدَ سيرتَه الأولى كرةً أخرى . وجميعُ أعمال الاستعمار ترمي إلى تحقيق هذا المقصد، فاحتضانه للحركاتِ التبشيرية وحمايتُه لها وسيلةٌ من وسائل حربِه للإسلام، وتشجيعُه للضآلين المضلّين من المسلمين غايتُه تجريد الإسلام من روحانيته وسلطانه على النّفوس، ثم محوُه بالتدريج، ونشرُه للإلحاد بين المسلمين وسيلةٌ من وسائل محوِ الاسلام، وحمايتُه للآفات الاجتماعية التي يحرّمها الإسلام ويحاربها كالخمر والبِّغاء والقِّمار ترمي إلى تلك الغاية، ففي الجزائر . مثلاً . يبيح الاستعمارُ الفرنسيّ فتحَ المقامِر لتبديد أموال المسلمين، وفتحَ المخامر لإفساد عقولهم وأبدانهم، وفتحَ المواخير لإفساد مجتمعهم، ولا يبيح فتحَ مدرسةٍ عربيّة تحيِي لغتَهم أو فتحَ مدرسةٍ دينيّة تحفَظ عليهم دينَهم .

ويأتي في آخر قائمةِ الأسلحة التي يستعمِلها الاستعمارُ الغربيّ لحرب الإسلام اتّفاقُه بالإجماع على خلقِ دولةِ إسرائيل في صميمِ الوطَن العربي، وانتزاعِ قطعةٍ مقدّسة من وطن الإسلام وإعطائها لليهود الذين يدينون بكذِب المسيح وصلبِه، وبالطعن في أمّه الطاهرة .

فالواجبُ على المسلمين أنّ يفهَموا هذا، وأنّ يعلَموا أنّ مَن كان عدوًّا لهم فأقلّ درجاتِ الإنّصاف أنّ يكونوا أعداءً له، وأنّ موالاتَه بأي نوعٍ من أنواع الولاية هي خروجٌ عن أحكام الإسلام، لأن معنى الموالاةِ له أن تنصرَه على نفسِك وعلى دينِك وعلى قومِك وعلى وطنِك .

والمعاذِير التي يعتَذر بها الموالون للاستعمار كالمداراة وطلبِ المصلحة يجب أن تدخُل في الموازين الإسلامية، والموازينُ الإسلاميّة دقيقةٌ تزِن كلَّ شيء من ذلك بقَدرِه وبقَدرِ الضرورة الداعيَة إليه، وأظهرُ ما تكون تلك الضروراتُ في الأفراد لا في الجماعات ولا في الحكومات .

وموالاةُ المستعمِر أقبحُ وأشنَع ما تكون من الحكومات، وأقبحُ أنواعِها أن يُحالَف حيث يجب أن يُخالَف،أن يُعاهَد حيث يجب أن يُجاهَد، وأقبحُ ما فيها من القبح أن يُحالَف استعمارٌ على حربِ استعمار .

وقد كانتِ الحروب قبلَ اليوم لمعان بعضُها شريف، وقد يكون أحدُ الجانبَين فيها على حقّ، أما هذه الحروب التي لا تنتهي الواحدةُ منها الاّ وهي حاملٌ مُقْرِب بأخرى أشدَّ منها هولاً وأشنعَ عاقبةً، فلم يبقَ فيها شيء من معاني الشّرفِ ولا من معاني الرّحمة ولا من معاني الكرامَة الإنّسانية، وإنّما هي حربٌ مجنونة يبعثُها حبُّ الاستعلاء والتسلّط على الضعفاء، والاستئثار بخيراتِ أرضهم، والضعفاءُ دائماً هم الأدوات التي تقَع بها الحرب، وتقَع عليها الحرب، فهم في السِّلم محلُّ النزاع، وفي الحربِ ميدان الصّراع .

لا مِثال للبلاهةِ والبَلادة أوضح من محالفة الضعيفِ للقويّ الاّ إذا صحّ في الواقع وفي حُكم العقل أن يحالِف الديكُ النسر، أو تحالِفَ الشاة الذئب .

كيفَ نحالِف الأقوياءَ وقد دلّت التجاربُ أنّهم إنّما يحالفوننا ليتَّخذوا من أبنائنا وقوداً للحَرب، ومن أرضِنا ميداناً لها، ومن خيراتِ أرضنا أزواداً للقائمين بها، ثم تنتهي الحربُ ونحن المغلوبون الخاسرون على كلّ حال، وقد تكرّرت النذُر فهل من مُدَّكِر؟! أيها المسلمون أفراداً وهيئات وحكومات : لا توالُوا الاستعمارَ فإنّ موالاتَه عداوةٌ لله وخروجٌ عن دينه .ولا تتولّوه في سِلم ولا حَرب فإنّ مصلحتَه في السِّلم قبل مصالحكم، وغنيمَته في الحرب هي أوطانكم .ولا تعاهِدوه فإنّه لا عهدَ له .ولا تأمَنوه فإنّه لا أمان

له ولا أيمان .إنّ الاستعمارَ يلفِظ انفاسَه الأخيرة فلا يكتُبْ عليكم التاريخُ أنّكم زِدتم في عمره يوماً بموالاتكم له .ولا تحالِفوه فإنّ من طَبعِه الحيوانيّ أن يأكلَ حليفَه قبلَ عدوِّه .والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [215]

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم وهو الغفور الرحيم.

[215]: آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي ،ج 5 ص.70-68.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖القرآن الكريم براوية ورش عن الإمام نافع.

المراجع العربية:

1. أبو الحسين أحمد ***بن فارس*** بن زكريا: معجم مقاييس اللّغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط2، ج2، 1991.
2. ***أبو يعقوب السكاكي سراج الدين***: مفتاح العلّوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلّمية.
3. ***أحمد الإبراهيمي***: آثار الإمام الإبراهيمي، ج1، 2، 3،4، 5، 6،دار الغرب الإسلامي، ص.ب 5787–113بيروت، ط1، لبنان.
4. ***أحمد المتوكل:*** آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنّسانية بالرّباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 5،ط: 1،ت:1993.
5. ***أحمد المتوكل:*** اللّسانيات الوظيفة، منشورات عكاظ، الرباط 1989
6. ***أحمد عزوز***: المدارس اللّسانية أعلامها مبادئها، ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار الأديب، للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
7. ***بوجادي(خليفة):*** في اللّسانيات التداولية،مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط01، ت2009.

8. ***جمال أمباركي:*** التناص وجماليته في الشعر العربي المعاصر، دار هومة الجزائر (بدون تاريخ).
9. ***حامد (خليل):*** المنطق البرغماتي عند تشارلز بيرس، دار اليانبيع للطباعة والنشر والتوزيع، بمصر، 1966.
10. ***الخطيب القزويني*** *(جلال الدين أبو عبد الله محمد)*، الإيضاح في علوم البلاغة – المعاني والبيان– دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. د.ت
11. ***ديفد كوزنر هوي***: الحلقة النقدية الأدب والتاريخ والهيرومينوطقيا الفلسفة، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، ت:2000.
12. ***ذهبية(حمو الحاج):*** لسانيات التلّفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر،والتوزيع، الجزائر، ط:01،ت:2005.
13. ***الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد):*** أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، عرف به أمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 1982.
14. ***سامية الدريدي:*** الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب للحديث والنشر والتوزيع، إربد – الأردن، جدار للكتاب العالمي، عمان الأردن، دط، ت: 2007.
15. ***سعيد بنكراد***: السّيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، سورية ط:02، ت:2005.
16. ***صلاح فضل***: بلاغة الخطاب وعلّم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164، أكتوبر/أب1992.

17. ***طالب سيد هاشم الطبطبائي***: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين، العرب،مطبوعات جامعة الكويت، الكويت،د ط، ت1994.

18. ***طه عبد الرحمان***: اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط:01، ت1998.

19. ***عباس محمد***: البشير أديباً، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران، بدون تاريخ.

20. ***عبد السلام عشير***: عندما نتواصل نغيَر مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، ت:2006.

21. ***عبد السلام هارون:*** الأساليب الإنّشائية في النحو.دار الجيل،بيروت 1990.

22. ***عبد المالك مرتاض***: فنون النثر الأدبي في الجزائر1931،1954 م.س، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1983.

23. ***عبد الهادي بن ظافر الشهري***: استرتيجات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتّحدة ، بيروت، لبنان ط:01،ت 2004.

24. ***عمر بلخير***: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط01، ت:2003.

25. ***الفقى (صبحي إبراهيم):*** علم اللّغة النصي، بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000.

26. ***محمد مفتاح***: تحليل الخطاب الشعري، المؤسّسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط:01،ت:1400هـ،1998.

27. ***محمود أحمد نحلة***: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2002.
28. ***مسعود صحراوي***: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط: 01، ت تموز (يوليو) 2005.
29. ***مصطفي عبد الحميد***: دراسات من اللّسانيات العربية، بنية الجملة العربية التراكيب اللّغوية التداولية علم النحو وعلم المعاني، دار ومكتبة الحامد عمان، 2003.

المراجع المترجمة:

1. ***جان سيرفوني***: الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، د ط، ت: 1998.
2. ***جون لانّكشو أوستين***: نظرية أفعال الكلام العامّة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا، الشرق، المغرب، ط02، ت2008
3. ***ج.براون، جورج يول***: تحليل الخطاب، ترجمة وتعريب، محمد لطفي الزايطي التريكي، جامعة الملك سعود، د ط ، ت: 1418 هـ / 1997.
4. ***روبرت دي بوجراند***: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسن، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط : 01، ت : 1418 هـ /1998.
5. ***فرانسواز أرمينكو***: ترجمة سعيد علواش، مركز الإنّماء القومي بغداد 1986. دط،دت.
6. ***فان ديك***: علم النص، المفاهيم والاتجاهات، ترجمة سعيد حسن البحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.مصر الجديدة،2003.

المراجع الأجنبية :

1. *Anne Reboul et Jacques Moeschler, La Pragmatique Aujourd'hui, Une Nouvelle Science de la Communication, Edition de Seuil, September 1998.*
2. *Catherine Kerbrat-Orecchioni, L'énonciation, De la Subjectivité Dans La Langue, Paris, Armand Colin.*
3. *Dominique Maingueneau, Elements de Linguistique Pour le Texte Littéraire, Bordas, 1er edition, (Nouvelle edition revue et argementée), Paris, 1986.*
4. *Dominique Maingueneau : Pragmatique Pour le Discours Littéraire Collection Lettres, SVP, Dunod, Paris 1977, P01.*
5. *E. Beneveniste : Problèmes de Linguistique Générale, Tome 11 Ed -3- 1974, Gallimard.*
6. *Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique Générale, édition Critique Présentée Par : Tullio De Mauro, Payothèque, Paris, France, 1983.*
7. *Françoise Armengaud, la Pragmatique, Presse Universitaire de France, Paris, 1er édition, 1985.*
   - *Gillian Brown & George Yule ، Discours Analysis ، Gambridge University Presse ، Cambridge ،1st Published ، 1983 ، P.8.*
8. *Jacques Moeschler, Argumentation et Conversation, éléments Pour Une Analyse Pragmatique du Discours, HATIER-CERDIF, Genève, 1985.*

9. *John. L. Austin, How to do Things With Words, The William James Lectures Delivered in 1955, Oxford University Press 1962, London-Oxford-New York.*
10. *John. L. Austin, Quand Dire C'est faire, Trad. Gilles Lane, Edition Du Seuil, 1970.*
11. *John. R. Searle: les Actes de Langage de Philosophie du Langage, Collection Hermann, Paris, 1972.*
12. *Martin Bracops, Introduction à la Pragmatique, les Théories Fondatrices: acte de Langage, Pragmatique Cognitive, Pragmatique intégrée, de Boeck, Edition Université Bruxelles, Belgique, 1er édition, 2006.*
13. *Oswald Ducrot, le Dire et le Dit, Les Editions de Minuit, Paris, France, 1984.*
14. *Patrick Charaudeaux et Dominique Maingueneau , Dictionnaire D'analyse du Discours , Edition du Seuil, Paris, France, Février 2002.*

الدوريـــات:

1. ***الحناش(محمد):*** الأساس المعرفي لمنظومة الإبداع، مقاربة لسانية تداولية، مجلة التواصل اللساني، 2001

2. ***الطاهر لوصيف***: التداولية اللّسانية، مجلة العربي والأدب، مجلة اللّغة والأدب جامعة الجزائر 2006.

3. ***الطاهر لوصيف***: التداولية اللّسانية، مجلة اللّغة و الأدب، جامعة الجزائر، العدد 17 جانفي 2006.

4. ***عبد الرحمان شيبان***: الإمام الشيخ البشير الإبراهيمي، مجلّة الثقافة، العدد 87، ماي 1985 .

5. ***مجلة عيون البصائر***: طبعة دار المعارف، مصر، سنة 1949 ،العدد83.

6. ***مجلة الموقف الأدبي***: مجلة أدبية شهرية، تصدر عن اتحاد كتاب العرب بدمشق، العدد 399، تموز 2004 .

مواقع الإنّترنيت:

مقال بعنوان مفهوم الاستقلال ورؤى المستقبل في أول خطبة للبشير الإبراهيمي فهم جديد للحراك التاريخي. مدونة د. حبيب مونسي 19 نشرت من أغسطس(أكتوبر) 2010م.

% % %

Http://Rawdataladaab.Blogspot.Com/

حول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، للشيخ عبد الرحمان شيبان رئيس جمعية العلماء الجزائريين منشور بموقع المجلس العلمي الألوكة.

% % %

د. توبي (لحسن): التعريف المصطلحاتي في بعض المعاجم العربية تعريف نموذجا، اللّسانيات العربية.

Http: //WWW. Arabzation.Org.M/Dounioads/Magalla/48/Docis24D: Doc

وسيمة(عبد المحسن المنصور):

% % %

التداولية. 820608: HttpM//WWW/Alyaum.Com/Issue/Page.Phpin

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ..... أ

مدخل 08

القصدية 12

المعطيات السّياقية: 12

الخطابة والخطاب عند الشيخ الإبراهيمي: 16

الفصل الأول
الأسس النظرية والمعرفية
للتّداولية

في مفهوم التداولية: 22

أ . الوظيفة الدّاخلية : 38

-وظيفة المحور: 38

-وظيفة البُؤرة: 38

ب . الوظيفة الخارجية : 39

-وظيفة المبتدأ 39

- وظيفة الذّيل: 39

- وظيفة المنادى: 39

الملفوظ (التلفظ) وعلاقته بتحليل الخطاب : 47

الملفوظية وإستراتيجية الحجاج : 51

Argumentation:

الفصل الثاني
التحليل التّداولي للخطاب

الخطاب بين التأثير والتلقي 58

الفعل الكلامي 64

الفعل التّصويتي: 64

الفعل الإنجازي: 66
الفعل التأثيري: 66
الفعل الإخباري: 67
حدث تعبيري: 68
حدث تأثيري: 68
حدث إنجازي أو إنشائي: 69
تصنيف أوستين للأفعال الكلامية: 69
التمرسية: 69
التكليف: 70
العرضية: 70
السلوكيات: 70
جون سيرل ونظرية الأفعال الكلامية : 71
الغرض الإنجازي: 72
اتجاه المطابقة: 72
الاعلانيات التوكيدات Assertives: 72
التوجيهات الإرشادية Directifs: 72
الأفعال الإلزامية Promessifs: 73
التعبيريات Expressifs: 73
الإعلانّات Déclarations: 73
الإخباريات Assertifs: 73
الأفعال الإنجازية : 74
التلّفظ: I' énonciation : 77
الافتراض المسبق: Pré supposition : 79

الأقوال المضمرة Les Sous-Entendus : 81
الفعل القضوي: L'acte Propositionnel : 83
نظرية الاستلزام الحواري: L'implicati Conversationnelle 84
مبدأ الكم أو القدر Quantité: 86
مبدأ الكيفQualité : 86
مبدأ الملاءمة Pertinence: 86
مبدأ الجهة Modalité : 86
خواص الاستلزام الحواري عند غرايس Grice 87
الإنّشاء والخبر في التّراث العربي: 87
الخبر الابتدائي 90
الخبر الطّلبي: 90
الخبر الإنّكاري: 90
الفصل الثالث **الفصل الثالث: (الجانب التطبيقي) الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي** 94
الجانب التطبيقي 174
خاتمة 176
ملحق 181
قائمة المصادر والمراجع 193
فهرس الموضوعات .....

ملخص الرسالة

بتعدد استعمالات اللّغة وارتباطها الوثيق بالسياق كان اختلاف الباحثين في هذا المجال بينا، فتنوعت آراؤهم وأثمرت جهودهم في إخراج نظريات ومقولات عُرفت في بداية تأسيسها بنظرية الأفعال الكلامية التي يندرج ضمنها موضوع هذا البحث والموسوم بعنوان: ***"الأفعال الكلامية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي"*** ورغبة منا في استكمال البحث فيما توصلت إليه جهود الدارسين في مجالات استعمال اللّغة ظلّت همّتنا معلقة في مد جسور التواصل مع النظرية التداولية وإمكانية تطبيقها على إبداعات **الشيخ البشير الإبراهيمي**. انطلاقا من التساؤل الآتي: ما علاقة اللّسانيات التداولية بتحليل الخطاب؟ وما مدى إسقاط نظرية الأفعال الكلامية على خطب الإبراهيمي الدينية، باعتبار أن الخطاب هو فعل كلامي شامل في حد ذاته؟.

وقد جاء الفصل الأول تأسيسيا، نعرض فيه إلى جملة من المحددات المعرفية والمفاهيمية التي قامت عليها النظرية التداولية.أما الفصل الثاني، فقد عمدنا فيها إلى البحث في إستراتيجية بناء الخطاب وعلاقته بالنظريات التداولية في فهم نظرية التلفظ، أما الفصل الثالث، فانصرفت جهودنا فيه إلى المجال التطبيقي من خلال رصد الأفعال الإنجازية والتأثيرية في خطب الشيخ البشير الإبراهيمي بين تصنيف أوستين ***Austin*** وسيرل*Searle* .

الكلمات المفتاحية

التداولية، أفعال الكلام، تحليل الخطاب، البشير الإبراهيمي، الخطبة، الحجاج، التأثير، الأفعال الإنجازية، الأفعال التأثيرية